جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الشمس في الشعر الجاهلي

إعداد
كمال فواز أحمد سلمان

إشراف
د.إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
2004 م

الشمس في الشعر الجاهلي

إعداد
كمال فواز أحمد سلمان

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2004/9/26 م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. إحسان الديك : مشرفاً	....
أ.د. عادل أبو عمشة: ممتحناً خارجياً	....
أ.د. حسن السلوادي: ممتحناً خارجياً	....

ب

الإهـــداء

إلى الأجيال الصاعِدة مِن الفلسطينيين فِي كُل مكان، فَهـم يحمِلـون شُـعلةَ النضال، ويمثلون روح شعبِنَا التي لا تُقْهر ولا تَموتُ.

إلى والدِي العزيز، وإلى والدتي التي عانَتْ وَأعانَتْ، وإلى إخْـوتي وجيـه، وحسام، ونضال، وإلى أخواتي جميعاً وإلى زوجتي.

كلمة شكـر

الحمد لله رب العالَمين، مالكِ الملْكِ، يعِز من يشاء، ويذِلُّ من يشاء، وبعـد:
أتقدم بالشكْر والامتِنَان إلى كُل مرب فَاضِلٍ، إلى كُل منْ علمني حرفـاً، إلـى مـن أضاء لي الطَرِيقَ بعِلْمِهِ، لكُل أساتِذَةِ جامِعةِ النجاح، وأخُـص أسـاتِذَةَ قِـسم اللغَـة العربية، لما قدموه من إرشادٍ وتَوجِيهٍ لي في دِراستِي.

كما أخُص بالذكْر الأستاذَ المربي الفَاضِلْ: د.إحسان الديك، وأُقدم له جزيـلَ الشكْر؛ لما تَحمله من عنَاءِ التعبِ والكد في متَابعةِ هذَا البحـثِ، وإبـداءِ النـصحِ والإرشَادِ.

وأُقَدم شُكْري وامتِنَانِي للأخِ الفَاضِل أ. ثَابِت عزازمة وأُقَـدم لَـه احتِرامِـي وإِكْباري الخَالِصين لما تَكبده من عنَاءٍ ومشَقَةٍ في تَدقِيق جزئِياتِ البحثِ وطِباعته.

المـــحتويـــــات

ـ الإهداء. ج

ـ الشكر. د

ـ المحتويات. هـ

ـ ملخص الأطروحة باللغة العربية. ز

ـ المقدمة. 1

ـ الفَصلُ الأولُ: الشمس فِي الْموروث الإِنْسانِي: 3

الْمبحثُ الأولُ: الشمس فِي الْموروث الْقَدِيــم. 4

الْمبحثُ الثانِي: الشمس فِي الْموروث الْعربِي الْقَدِيم: 44

الْمطْلب الأولُ: الشمس فِي الْموروث الْيمنِــي.

الْمطْلب الثانِي: الشمس فِي الْموروث الْجاهِلي.

ـ الفَصلُ الثانِي: مواضِع ورودِ الشمسِ فِي الشعرِ الجاهِلي: 74

المبحث الأول: الشمس و المرأة. 75

المبحث الثاني: الشمس والحرب. 87

المبحث الثالث: الشمس وأغراض الشعر: 95

المدح والرثاء والفخر والهجاء.

المبحث الرابع: الشمس والطبيعة. 110

الشمس والأطلال والرحلة.

الشمس والحيوان.

ـ الفصل الثالث: الصورة الفنية للشمس: 124

المبحث الأول: صورة الشمس / دراسة فنية. 125

المبحث الثاني: أبعاد صورة الشمس في الشعر الجاهلي. 150

ـ الخاتمة. 182

ـ المصادر والمراجع. 185

ـ Abstract b

الشمس في الشعر الجاهلي

إعداد

كمال فواز أحمد سلمان

إشراف

د. إحسان الديك

الملـخص

يعرض الباحث في الفصل الأول من هذا البحث المكانة الدينية للشمس، أحد ثلاثة أركان ثالوث مقدس، في معتقدات الأمم القديمة في الفكر السومري والبابلي والأشوري والفينيقي، والمصري واليوناني والروماني والعبراني إضافة إلى اليمنيين والعرب الجاهليين، كما يعرض الباحث إلى علاقة الإلهة الكونية الكبرى من خلال رموزها المتبدلة بين النبات والحيوان، والغوص في وثنية هذا المعتقد وتجلياته، ومعرفة ما وصلت إليه هذه الديانة الكوكبية المتألهة في أحضان الحضارات القديمة، والرجوع إلى ما اكتشفه الباحثون والأثريون وما تبقى لهؤلاء الأفذاذ لسبر غور أمة درست حضاراتها بين عوامل التغيير المختلفة.

امتازت هذه الدراسة باتخاذ المنهج الأسطوري منهجا تعتمد عليه، وذلك بهدف معرفة القيمة الدينية لكوكب الشمس بين أبناء العصور القديمة، تلك الفترة التي سيطر الفكر الأسطوري على عقائدها.

أما الفصل الثاني من هذا المبحث؛ فقد انصب الاهتمام فيه حول المواضع التي وردت فيها الشمس في أشعار الجاهليين بعامة، دون التركيز على شاعر معين، إضافة إلى محاولة معرفة بعض النقاط التي تتفق بين شاعر وآخر في إظهار قضية بعينها، من خلال التعرف إلى رموز الشمس في الشعر الجاهلي، والمواضع التي ركز الشعراء فيها على ذكر الشمس، كما هو بين في حديث الشعراء عن المرأة، وعلاقتها بالشمس ومعرفة دور هذا الكوكب من خلال أغراض الشعر بأشكالها المتنوعة، ثم وصف حالة الشمس في أثناء الحرب والطبيعة الحية بنباتها

وحيوانها.

أما الفصل الثالث بقسميه، فاختص المبحث الأول منه بدراسة صور الشمس في أشعار الجاهليين دراسة فنية، ومعرفة ما في هذا المبحث من صور وتشبيهات تساعد في رسم صورة جميلة تضفي على شاعرية الشاعر الجاهلي فنية مميزة،ثم البحث في مصادر هذه الصور. أما المبحث الثاني من هذا الفصل، فيبحث في أبعاد الصورة سواء أكانت ميثولوجية دينية أو نفسية أواجتماعية، والتعرف إلى ما تركته الشمس من أثر في نفوس القدماء وأساس هذه الأبعاد.

المقدمـــة

الحمد   رب العالمين، ناصر المستضعفين، وأصلي على سيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم تسليم، وبعد: فهذه دراسة تاريخية أسطورية تحليلية، وقد اتجهت في هذه الدراسة صوب الشعر الجاهلي وما توفر لي من دواوين شعرائه، وذلك بهدف الوقوف على أصول تأليه الكوكب (الشمس)، ومعرفة أهمية هذا الكوكب من خلال الشعر الجاهلي بعامة.

اخترت هذه الدراسة في الشعر الجاهلي، بهدف معرفة التأصيل الديني عند القدماء، والاطلاع على أساس الصور الشعرية ذات الطابع الإلهي عند القدماء، وكذلك محاولة التعرف إلى العلائق بين الديانات الوضعية القديمة.

حاولت في هذا البحث الإفادة من مناهج دراسية عدة، كان المنهج الأسطوري الأساس فيها، ثم اعتمدت المنهج التاريخي في محاولة معرفة بداية هذه العبادة بين الأمم، من خلال التعرف إلى أساس الحضارات القديمة وأماكنها، ومن ثم اللجوء إلى المنهج التحليلي في معرفة الصور والدلالات المختلفة لمواضع ورود الشمس، ثم الانتقال إلى الأبعاد المختلفة الدينية منها والنفسية والاجتماعية.

لم يتناول هذا الموضوع في دراسات سابقة عليه بشكل متكامل، سوى بعض الجزئيات البسيطة جدا بين كتب الباحثين، لكنني حاولت الإفادة مما كتبه أساتذة أفاضل في باب الصور الفنية والشعرية وأبعادها، ككتاب الصورة الفنية في الشعر الجاهلي للدكتور نصرت عبد الرحمن، وكتاب الصورة في الشعر العربي للدكتور علي البطل، ثم كتاب انتربولوجية الصورة للدكتور قصي الحسين، ولا أنسى ذكر بحث أستاذي الفاضل د. إحسان الديك بعنوان الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي.

وقد تكون البحث من ثلاثة فصول:

تناولت في المبحث الأول من الفصل الأول المكانة الدينية للشمس في الحضارات القديمة، باعتبارها إلها سماويا، احتل مكانة مميزة عند من عبدها، وقد تتبعتها عند السومريين

والْبابِلِيين والآشُوريين والْفِينيقِيين والْمِصريين والْيونَانِيين والرومانِيين والْعِبرانِيين، أما المبحث الثاني، فقد شمل أهمية هذا الكوكب في الموروثين اليمني والجاهلي، وعبادة هذا الكوكب في الديانة القديمة.

أما الفصل الثاني فقد أفردته للوقوف على مواضع ورود الشمس في الشعر الجاهلي، وتحدثت فيه عن الشمس والمرأة، والشمس والحرب، والشمس وأغراض الشعر : المدح والرثاء والفخر والهجاء، والشمس والأطلال والرحلة والحيوان.

وقَسمتُ الفَصلَ الثالث إلى مبحثَين: خَصصتُ المبحثَ الأولَ لِدراسةِ صورةِ الشمسِ دِراسة فَنية، فَعرضتُ لِصورةِ الشمسِ وتشبيهاتِها، وكيفَ كانتِ الشمس مصدراً لِكثيرٍ مِن الصور، فِي الغَزل والحر، وإشراق الشمسِ وغروبِها، كما تَناولتُ بعض أَنواعِ الصور، وأَثَر اللون في الصورةِ الشمسِيةِ.

وفي المبحث الثاني مِن الفَصل الثّالث، تَحدثتُ عن أَبعاد صورةِ الشمسِ ميثولوجيا، مِن خِلال بعضِ الصورِ التي تَبدو فِيها مظاهر القَداسةِ كالشمسِ والإنسان، وصورة الشمس مع بعض الرموز الممثلة لها كالغزالة والناقة والثور، وعلاقة رحلة المحبوبة بالرحلة الكونية الكبرى. وفي البعد النفسي، تحدثت عن أثر إشراق الشمس وإشراق المحبوبة في نفس الشاعر الجاهلي، ثم تناولت أثر الشمس على الشاعر عند الغياب والشروق، وما يتبع هذين الوقتين من فرح وتشاؤم، وخوف وأمل.

أما في البعد الاجتماعي، فقد تناولت اللونين الأبيض والأصفر وما يحملانه من دلالات اجتماعية، وكذلك المكانة الاجتماعية لمن يشَبه بالشمس كالمحبوبة والممدوح.

الفَصلُ الأولُ

الشمس فِي الموروث الإنْسانِي

المبحثُ الأولُ: الشمس فِي الموروثِ الإنْسانِي القَدِيــمِ

المبحثُ الثانِي: الشمس فِي الموروث العربِي القَدِيمِ

المبحثُ الأولُ

الشمس فِي الموروثِ الإنْسانِي القَدِيمِ

اتجه العقْلُ البشَري إلى ظَواهر الطبيعةِ المحيطَةِ بِه، النافعة والضارة، اللينة والمدمرة، التي يبغي الوصول معها إلى إئتلافٍ وتواد، فجنح به خياله الواسع إلى تأليه المظاهر الكبرى في الكون، من كواكب وظواهر مختلفةٍ، وتقرب إليها بما رآه مَناسِباً لِذَلِك، باحِثاً عن خَيرها، دافِعاً لِشَرها، فَجعلَ لِكُل قِسمٍ مِن أقسامِ الطبيعةِ المؤَثرةِ، إلهاً مقَدساً، له أغلى ما وجد بين يديه.

ولعل أعظم كواكب المجموعة الشمسية التسعة، في نظر الإنسان القديم، كان ذاك الكوكب اللامع الذي يظهر كُل صباحٍ، معلِناً بداية يومٍ جديدٍ، ويغيب آخر النهار إيذاناً ببدءِ مرحلةٍ أخرى من ذاك اليوم؛ مما حدا بالإنسان القديم إلى أن يهتم بمراقبته عند الشروق، وعند المغيب؛ فقد ارتبطت حياته به، وتغنى به، ونسج حوله أساطير كثيرةً، لينزع عنها الدارسون تالياً هذا الغطاء، ولتنكشف خوافي الأمور مع العلم الحديث.

لفتت السماء نظر الإنسان من كُل جانبٍ؛ "بعظمتها وجلالها، بشمسها وكواكبها، وكل ما فيها من مظاهر الطبيعة يولد الشعور بالتصاغر والضعة أمامها، فهي تحيط بنا وتسيطر على مشاعرنا، وهكذا انبثقت الأديان من هذا الشعور"(1).

تكونت الديانة السومريـة من ثالوثَين اثنَين "أولهما يتألف مـن (آن) إلـه السمـاء و(إنليل) إله الجو، و(إنكي) إله الأرض والمياه "(2).

ويتكون الثالوث الثانـي من (ننـا) (Nanna) إلـه القمـر، وإله الشمس (أوتـو) (Utu). أَما الإلهة الثالثة وهي (إنانا) (Inanna) إلهة الحب والْخِصبِ لدى "السومريين"، والتي

---

(1) الهاشمي، طه: **تاريخ الأديان وفلسفتها**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1963م، ص73.

(2) علي، فاضل عبد الواحد: **الشمس والقمر والزهرة في ضوء النصوص السومرية والبابلية**، مجلـة الأقلام، بغـداد، العراق، العدد:2، سنة 2000م، ص63. وينظر: مسعود، ميخائيل: **الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام**، دار العلـم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص31، وينظر: الماجدي، خزعل: **الدين السومري، سلـسلة التـراث الروحـي للإنسان**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص112.

تقابلها "عشتار" عند "البابليين"[3].

واحتفظت "الشمس" بهذا الاسم، وبأسماء ما تزالُ تتَردد على الألسن لِتُطْلَقُ عليها، ولتخرجها من دائرة كونها ذاك الكوكب اللامع في قبة السماء الزرقاء، المتسمة بتوليفةٍ من الصفات المحورية، قد يكون من الأهمية التعرف إلى دلالاتها، وأبعادها الرمزية، في إطار التعدد والتنوع، وتطورها في كُل فترةٍ، وعند كُل أُمةٍ.

كان لسكان الرافدين خاصةً "السومريين" و"البابليين"، دور مهم وبخاصةٍ في علم الفلك، ومتابعة أحوال كوكب الشمس، وغيره مِن الكواكبِ؛ فكان لعبادةِ النيرين (الشمس والقمر) أثر بعيد، ومكانة مهمةٌ بينهم، في وقتٍ كان العقل البشري فيه، لم يزل في بدائيته من الفكر والاعتقاد، حين كان يخطو خطواته البدائية، إبان حياته البسيطة المقيدة المحدودة.

جذبت "الشمس" نظر الإنسان القديم؛ لما فيها من تأثيرٍ مهم في حياته وعمله، في محيط عيشه، وفي استمرار لياليه ونهاره وسنيه، فتوصل بفكره إلى أنه وغيره من الكائنات الحية، أقلّ شأناً منها، فعزا إليها نموه، وشفاءه، ومرضه، وأيقن ضرورة التقرب إليها، والتعبد لها، ولبقية الأجرام الأخرى؛ إرضاء لها، فبإرضائها ينال السعادة، والخير، والبركة، في حياته. فتقرب منها بالعبادة والتقدير، وشَيد لها المعابد، وقدم لها القرابين، فكان في هذه العبادة تطور كبير ورقي في التفكير، إذا قيست بالعبادات السابقة لها التي كانت تُؤَدى للأحجار والنباتات والأرواح.

وصِفَتِ "الشمس" بِصفاتٍ أهلتها لتستحق العبادة؛ إنها نور العالم، تُزيلُ الظلام، وتكشف أسرار الحياة، وتعرف كُل ما يدور في خلد البشر، وهي تعرف اللغات الإنسانية رغم اختلاف ألسنة ناطقيها، إنها تحمي المسافر، منذ أن تخطّ قدمه في السفر؛ لِتسهل له الصعاب، إنها "الشمس" الأنثى، ربة العالم وراعيته. وأي شيءٍ أكثر تأثيراً في حياة الإنسان، من "الشمس" الملتهبة المنيرة له نهاراً، وما يترتب عليها من ظروفٍ حياتيةٍ، "فالإنسان القديم كان يراها وجودا حيويا، لا يكشف الأشياء للبصر وحده، إنما يكشف الأسرار للبصيرة أيضا. لهذا عندما نسب

(3) ينظر: علي، فاضل عبد الواحد: **عشتار ومأساة تموز**، الأهالي للطباعة، دمشق، سوريا، ط1، 1999م، ص22.

الألوهية للشمس لم يكن يميز بين الشمس كوجود مادي والشمس كإله. لقد كانت هذه الفكرة أمرا طبيعيا بالنسبة للإنسان القديم، لعدم قدرته على تفسير الظاهرات الطبيعية، ولنقص الحس بالذات. فهو لم يكن قادرا على الفصل بين الفواعل الذاتية، كالأهلية للإبصار والتبصر بالبصر والبصيرة، والفواعل الخارجية كالنور للبصر، ففي وصف للشمس يندمج فيه الرأي بالرؤية، تذكر الشمس بالترنيمة التالية:

إنك تضيئين الكون والجبال وتكشفين الأسرار

كلّ ما خلقته أيا، ملك المجمع الإلهي، أوكله إليك

...

أنت تصاحبين المسافر على طريقه الصعبة"[4].

رأى الإِنْسان فِي الظواهِر الطبيعية قوى وأرواحاً، مثل: هبوب الرياح والعواصف، وحدوث البرق، والرعد، وهطول الأمطار، وحدوث الفيضانات... وبالمثل فإنه ُعزا إلى مثل هذه القِوى جميع مظَاهر التجدد والعطاء، مثل: ظهور العشب، وتفتح البراعم، وتكاثر الحيوانات، وكثرة الخيرات في موسم الربيع[5].

"كانَتْ المؤَلهات عِنْد الساميين تَتَألفُ كالإنسان مِن جسدٍ وروحٍ، فظاهر الشمس جسدها، والروح أو البعل في داخلها، فَهي شَمس وإله معا. فإذا عبدوا القوى الطبيعية وشخصوها تدريجيا، فلماذا لا يعبدون إله الشمس وهو سيد القوى ومانح غلال الأرض من ثمار وحبوب، ومالئ مخازنهم بخيرات الحصاد ؟ هذا الإله لم يكن في العراق وحسب، وإنما عمت عبادته سوريا وفلسطين"[6].

اختلف "السومريون" عن "البابليين" في تسميتهم للشمس، فأطلقوا عليها مسميات ذات

---

(4) الحوراني، يوسف: **البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم**، دار النهـار، بيـروت، لبنـان، 1978م، ص231.

(5) ينظر: علي: **عشتار ومأساة تموز**، ص99.

(6) الحوت، سليم:**في طريق الميثولوجيا عند العرب**، دار النهار، بيروت، لبنان، ط3، 1983م ص93.

دلالةٍ واضحةٍ، تُعبر عن حقيقـة معنى "الشمس"، "فقـد عبد السومريون الشمس تحت اسـم (أوتو Utu)، وسماها البابليون (شمشShamash)، والحقيقة أن الاسم في السومرية (Utu) يدل على معان متقاربة ومشتقة من طبيعة قرص الشمس مثل: الضوء والنور واليوم، واعتبرت الشمس في السومرية والبابلية إلها ذكرا، ويمثل إله الشمس الضوء المنير المنبعث من قرص الشمس كل يوم، والذي يبعث الدفء في الأرض، ويساعد على نمو النباتات"(7).

اختلفت المصادر السومرية عن المصادر البابليـة في أصل (أوتـو) ومـن والـده ؟ فـ"في النصوص السومرية يرد ذكر الإله (أوتو)، باعتباره ابنا لإله القمر (ننا)، بينما تعتبره المصادر البابلية ابنا لإله السماء (آنـو)، وكان له أكثر من مركـز، مخصص لعبادتـه في العراق القديـم، من أهمها مدينة سبـار (أبو حنيفة في ناحية اليوسفية)، وكذلك مدينة (لارسـة) في جنوب القطر(العـراق)، وعرف معـبده في كـلا المدينتـين، باسـم (E-babbar) ـ أي ـ المعبد الأبيض"(8).

تظهر في قصيدةٍ بابليةٍ ميزات إله "الشمس" (آوتو)، ابن إله السماء (آنو)، شمس الحقيقة الظاهرة دون زيفٍ، صاحب القوى الخارقة والمميز، صاحِب النظر والسمع؛ المرتفع ِلعلُوهِ في السماء، المتَألق في صِفَاتِه. تَقُولُ الترنيمة:

"ضخمةٌ هي أعضاؤُه
وهو فائق السمو منذ ولادته
إبني هو أوتُو
إبِني هو أوتُو
إبني هو شمس"(9).

وصور الساميون "الشمس" ِبصورٍ عدةٍ، فكان خيالهم يرتقي بهم إلى السماء حيث "الشمس"، ووفقوا بين خيالاتهم وعبادتهم لها، لتقترب من بعضها، فنظروا إلى الإله بأنه ملك،

---

(7) علي: **الشمس والقمر والزهرة في ضوء النصوص السومرية والبابلية**، مجلة الأقلام، العدد: 2000/2، ص64.

(8) **المرجع السابق،** ص 64.

(9) الشواف، قاسم: **ديوان الأساطير ـ سومر وأكاد وآشور ـ** دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، 2/ 125.

وله حاشيةٌ ومساعدون، فالإله (أوتو) "هو إله الشمس، ومن وزرائه نفينا (إله العـدل) ونيفسيا (إله السماواة) [إله السماوات] ، ابنه من زوجتـه (شفيردا) "[10].

بعد أن قسمت الأعمال بين الآلهة، وحددت الأدوار من خلال رمي الزهر أوالنرد الذي قام به الإلـه(سين)، كان نصيب الإله (شمش) مهمة التنبؤ بالمستقبل، وفيما يدور حول المرض والشفاء، يذكر النص:

"**رمى سين الباسل الزهر:**
(أي شمش) (قال لهذا الإله)، أنت الذي
جميع (أسرار) العرافة
وضعت في يدك...
أعلمني إذن، كيف ... ما يلائم
للشفاء ؟ من هذا المرض ..."[11].

اعتاد الإنسان أن ينسب ما يصيبه من حزنٍ إلى قوى خفيةٍ، وغالبا ما تكون الآلهة، وهذا ليس بالشيء الجديد، ففي الحضارة السومرية أُسنِدتْ ظروف الحياة بخيرها وشرها إلى مجموعة الآلهة الفلكية (سين وشماش وعشتار)، ولها "كانت تنسب الأحداث السعيدة أو السيئة، التي تحصل بالبلاد مثل الحملات الحربية، والغزوات ومرض الأمير أو موتـه والقحـط والفيضان... إلخ، وقد أضيفت إليها الظواهر الجوية: كالزوابع والأمطار والبروق والزلازل، كظواهر للإله (أدد) سيد العاصفة"([12]).

كانت المتابعة الدورية لحركة الأجرام السماوية أمراً مهماً؛ فكان ذلك مبنياً على الملاحظة والمقارنة؛ لتصبح لدى المتأملين خبرةٌ لا يستهان بها، فكانت بعض الأعمال مثل: "المراقبة الدائمة للأجرام، وكذلك تجميع ومركزة هذه المراقبات في أيدي الكهنة، كل هذا أوجد انعكاسه بشكل ملموس في الدين والميثولوجيا لدى شعوب ما بين النهرين، وبدأت عملية أفلكة

---

(10) العريبي، محمد: **الديانات الوضعية المنقرضة**، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص59.

(11) الشواف: **ديوان الأساطير**، 2/ 68.

(12) دلّو، برهان الدين: **حضارة مصر والعراق، التاريخ الاقتصادي ـ الاجتماعي ـ الثقافي والسياسي**، دار الفـارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ص387.

الآلهة منذ القدم، فالآلهة الحماة المحليون ذكورا وإناثا أصبحت تجمع مع الأجرام السماوية"[13].

فـ"الآلهة قد تظهر إرادتها في النجوم التي تُرصع قبة السماء؛ ولذا اتخذ سكان العراق الأقدمون أبرز الأجرام السماوية آلهةً، وعلى رأسها الكواكب النيرة الثلاثة (الشمس والقمر والزهرة)، وقد عدوا الإله القمر أقدمها، والقمر أبو الشمس والزهرة"[14].

تعددت الآلهة البابلية وظهر الإله "مردوخ" من بينها، وأصبح إلهاً شمسياً، واكتسب قيمته وصفاته من إله "الشمس"، ولم يحافظ على صفاتٍ ثابتةٍ، فكان ذا "شخصية غير مستقرة نتيجة احتوائها على مزيج من سمات إله الشمس وسمات إله الخصوبة"[15].

ولم تكن الآلهة العراقية التي تُؤَلفُ المجتمع الإلهي بنفس المنزلة وذات الصفات، بل تتطور مع مرور الزمن. فـ"مردوخ" قام بأدوارٍ مختلفةٍ، وحظي بمكانةٍ مرموقةٍ "فصار هذا الإله ـ فوق كونه إلها للشمس ـ إله الأرض والماء، وكان إنليل يمثلها، وكان هذا الجمع بين الأمرين سهلا، لأن مردوخ كان كإنليل إلها ثوراً، ومن ائتلاف الأرض والمـاء، صار مردوخ (إله الشمس) قادرا على أن يمنح الحياة على هذه الأرض، وأن يجعلها تتدفق بلا توقف"[16].

يمتاز الإله عادة بالقوة والإخبار بالغيب، وهو صاحب سن التشريعات، يرسم الطريق لِلملوك، ويراقِب البشر من السماء. فـ(شمش) إله "الشمس" الإله الذكر في الديانة البابلية، تتجسد صورته من خلال صفاته التي يعرفُ بها، فهو منير الأرض والعالم الآخر، (العالم السفلي)، فـ"كان يدعى (نور العالـم) و(نور الأعالي والأعمـاق)، (ونور السموات والأرض) و(نور الآلهة). فالإله (شمش) هو الذي يطارد الظلمات، ويقصر النهار، ويطيل الليل كما يشاء، وحياة الكون تتوقف عليه، فهو الذي يهب الحياة، وهو الذي يحيي الموتى، وهو إله العـدل، ألم يمل

---

(13) توكاريف، سيرغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة: د.أحمد فاضـل، الأهـالي للطباعـة والنـشر، ط1، 1998م، ص344.

(14) عياش، عبد القادر: **تقديس الماء وعبادة القمر**، دير الزور، سورية، (د. ت)، ص37.

(15) النوري، قيس: **الأساطير وعلم الأجناس**، أكاديمية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، العراق، (د.ت)،125/2.

(16) المطلبي، عبد الجبار: **قصة الثور الوحشي وتفسير وجودها**، مجلـة كليـة الآداب، بغـداد، العـدد 12 /1969م، ص217.

على (آور ـ نمو) و(حمورابي) الشرائع العادلة ؟ إن هذه الوظيفة التي يضطلع بها تتجلى في صوره التي يبدو فيها كقرص خارج من جبلين في الشرق، وهو يمسك أحيانا في يمناه بمفتاح يفتح به أبواب الشرق التي يعلو كلا منها أسد، وإلى يمناه ويسراه اثنان من الجن، وتنزل الأشعة من كتفه"[17].

لم يتوقف هذا الإله عند كونه نور العالم، ولو كان ذلك لكان هذا يعد نقصاً في ديانة القدماء، بل لم يقَصر هذا الإله في متابعة أمور رعيته، فقد سن لهم قوانين حياتيةً يوميةً، آمنوا بها أيما إيمانٍ، وأصبحت للملوك مكانة مميزة، فكانوا يقومون بدور الآلهة نيابة عنها، حتى " جرى تصوير الملوك على النقوش سوية وجها لوجه مع الآلهة أو بسمات إلهيـة، وبوصفهم آلهـة، وعلى شاهـدة [شاهد] قبر (نارامسين) بدا الملك في صورة لباس رأسه فيها ذي قرنين شبيهة بالإلـه، وعلى شاهدة [شاهد] رسمت عليها مجموعـة قوانين حمورابـي، يقـف الملك أمـام الإلـه (شاماش) ليتسلم القوانين من يديه"[18].

اتخِذَ الملك رمزاً من رموز الإله "الشمس" في الأرض، واحتل مكانةً متميزةً منذ قديم الزمن، وارتبط بآلهة الخصوبة، ولم يكن وصول الملك إلى زمام السلطة أمراً يسيراً عند القدماء، إنه إنسان ذو مكانةٍ مرموقةٍ لا يستَهان بها، ومحط أنظار أبناء جلدته، فرأوا ضرورة الاهتمام به، واحترامه وإعطائه هالةً قدسيةً، كما حظيت أعماله بتقديرٍ شديدٍ، وربطوا بينه وبين ما هو مقدس في حياتهم، ولم يكن أي شيءٍ أكثر قداسةً من الإلـه "الشمس". الملك ولـي الإله في الأرض، وما الظواهر الطبيعية من: مطرٍ، وغُيومٍ، ونور، وظلامٍ، إلا لأجله، وترتبط بـه، "فالملك هو الشمس، وصرفه للأموال يمثل أشعة الشمس"[19].

ويتطلب تطبيق الدين حض البشر على عبادة الآلهة بالقوة المادية والمعنوية، وبسياسةٍ تُطَبقُ، ولا بد من شخصٍ يمتاز بهذه المقدرة، ويكون سهل الاتصال بالبشر، فمن صاحب هذه

---

(17) الطعان، عبد الرضا: **الأبعاد المختلفة للفكر السياسي في العراق القـديم**، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغـداد (د.ت)، ص47.

(18) توكريف: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص342.

(19) النوري: **الأساطير وعلم الأجناس**، ص30.

الميزة غير الملك؟ فـ"الملوك في نظر البابليين القدماء عمال للآلهة"[20].

أدت مثل هذه العلاقة إلى تكريس عبادة "الشمس" وتقويتها، وأخذ الملوك في "بابل" يتسمون بأسماء "الشمس"، رغبة منهم في السلطة، ولتكون قداستهم من قداستها، فكان "من ملوكها قبل حمورابي من عرف باسم (شمس إيلونا) أي الشمس إلهنا"[21].

عِني "حمورابي" في فترة حكمه بالإله "شمش"، وعمل على بناء علاقةٍ طيبةٍ معه إرضاء له في كُل مطالبه، فكان "يقدم نفسه في المخطوطات كخادمٍ في حماية الإله (شماش)، إله الشمس والحق... ويعتقد أن "شماش" كان الإله الشخصي لـ"حمورابي"الإله الذي كان يتوجه إليه بشكلٍ خاص ويثق به، ولهذا السبب بالذات اعتبرت العتبة المقدسة لهذا الإله في "سيبار"، وهذه المدينة بالذات حظيت باهتمامٍ خاص من قِبـل الملك... ويتبين هذا من مخطوطةٍ تقـول: "أثناء حكمي الرائع الذي نصبني فيه (شماش)، حررت سكان سيبار، سكان مدينة شماش الأزلية من الخدمة من أجل شماش...""[22].

ويؤكد "حمورابي" العلاقة بينه وبين الإله بالتزامه بالعبادة والطاعة، ويدعو الإله للانتقام ممن يتمرد على أوامره، فـ"يصف نفسه في مطلع شرائعه، بأنه مطِيع لأوامر الإله (شمش) العظيم. وفي خاتمة شرائعه وعند تحذيره لمن يعتدي على شرائعه، يقول:

عسى شمس القاضي الجبار للسماء والأرض
الذي يهدي الكائنات الحية إلى الطريق المستقيم
...
عسى كلمة شمس المهلكة تكون عليه عاجلاً
وفي العالم الأسفل عسى أن يجعل طيفه يعطش للماء"[23].

---

(20) حِتي، فيليب: **موجز تاريخ الشرق الأدنى**،ترجمة:د.أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص57.

(21) زكي، د. أحمد كمال: **الأساطير دراسةٌ حضاريةٌ مقارنةٌ**، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1979م، ص22.

(22) كلنغل، هورست: **حمورابي ملك بابل وعصره**، ترجمة: د.غازي شريف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987م، ص137؛ وينظر: الحوراني: **البنية الذهنية**، ص234.

(23) الحوراني: **البنية الذهنية**، ص234.

ولم تكن حزم أشعة "الشمس" التي تُرسلُ من كتفي "حمورابي" عبثاً، بل هي بمثابة القوة والسلطة التي يتمتع بها؛ فهي شعاره، وبمثابة رتبةٍ عسكريةٍ، تبين مكانته في مجتمعه؛ بهذه الصفات أصبح "حمورابي" ملكاً يطّاع في "بابل"؛ لمكانته المميزة الجديرة بالاحترام والتقدير.

امتازت العلاقة بين "حمورابي" وإله "الشمس" بخصوصيتها، فلم يرسل إله "الشمس" وسيطاً ـِليبلغَه قوانين الحياة، وإنما قام بنفسه، و"أملى شخصيا قوانين العدالة على (أورانجو وحمورابي). وكثيرا ما كان يمثل برمز قرصي ذي أربعة خطوط، تنبعث منها حزم الأشعة. ومثلوه أيضا بهيئة آدمية، كما صور في أعلى مسلة حمورابي على هيئة ملك جالس على عرشه، وفي يمناه عصا وحلقة (رمزا الملكية) وتاجه مزين بأربعة أزواج من القرون، تنبعث من كتفيه حزم الأشعة وله لحية تتدلى على صدره"[(24)].

وصف الإله في النص السابق بصفات تُبين قوته وسلطته، وذلك من خلال استخدامه للعصا، وكانت الحلقة تشير إلى شموليتها، وأنه يصل إلى كُل مكانٍ، وكأن العالم بدايته ونهايته في يد الإله.

ويظهر إله "الشمس" في صورةٍ أخرى، وقد تغير ما في يده، فَـ"هو يشرق من خلال بوابة الجبال الشرقية، شاهرا سلاحه وهو المنشار المحدب المسنن"[(25)]. إلا أن الدلالة واحدة وهي السلطة المطلقة لتطبيق قانون العدالة والحق في بلاد الرافدين.

امتاز إله السماء بسماتٍ خاصةٍ، أهلته لمثل هذه الألوهية، بإعطاء كُل ذي حق حقه، فلا تمييز بين البشر، فَـ"الصفة المثلى التي تنسب للشمس هي العدالة والقضاء بالحق، ولا نرى هذه الصفة بعيدة عن وظيفة الشمس الطبيعية في كشف حقائق الأشياء وإزالة الغموض الذي يكتنف وجودها حين تكون الظلمة، فكما تنير الشمس للبصر الطريق الصحيح كذلك هي تنير للبصيرة

---

(24) دلّو: **حضارة مصر والعراق**، ص386؛ وينظر: علي، فاضل: **الشمس والقمر والزهـرة فـي ضـوء النـصوص السومرية والبابلية**، مجلة الأقلام،العدد:2/2000، ص64؛ وينظر: سليمان، د.توفيق: **دراساتٌ في حضارات غرب آسـية القديمـة**، دار دمشق، سوريا، ط1، 1985م، ص188.

(25) علي، فاضل: **الشمس والقمر والزهرة في ضوء النصوص السومرية والبابلية**، مجلة الأقـلام، العـدد:2/ 2000، ص64.

الصواب، وبرهان ذلك هو أن الشر يرتكب عادة في الظلمة، والشمس تفضح الأشرار وأعمالهم بنورها، ونسمع أحد المرنمين يدعو الإله الشمس بقوله:

أنشر شبكتك الواسعة لتقبض على الرجل
الذي يزني بامرأة صديقه
في يومٍ مشؤومٍ
ولما تتحول أسلحتك نحوه، لا يكون هناك من يخلّصه
فوالده في محاكمته، لا يقف إلى جانبه
وحتى إخوته لا يعترضون على حكم القاضي عليه"[26].

يظهر من أحد النصوص القديمة دور الإله "شمش" إله العدل، الذي يقف موقف المراقب والقاضي، فيشهد عقد معاهدة صداقةٍ بين نَسرٍ وحيةٍ، يقْسِمان أمام "شمش" على احترام هذا العهد، ويحنث النسر بعهده، ويأكل فراخ الحية، لكن "شمش" يعاقِبه بانتزاع ريشه، ويندم النسر على صنيعه، ويعِيد "شمش" له كامل قدرته:

"تصور النسر في قلبه أفكاراً شريرةً
...
نزل وأكل صغار الحية
وعادت الحية في المساء عندما زال النهار
...
وأمام شمش سالت دموعها (قائلةً):
وثقت بك، أيها البطل شمش"[27].

ولا تخلو أي عبادةٌ من بيوت ٍلتُقَام فيها الطقوس الدينية، لذا بنْيتْ المعابد باعتبارها دور عبادةٍ للآلهة، وعدتْ أفضل مكانٍ يتم فيه الاتصال بالآلهة، فـ"كانت آلهة شعوب الرافدين تسكن المعابد، وتُقَدم لها القرابين، والأعطيات، في طقوسٍ معقدةٍ"[28]. وما تقديم القرابين إلا دليلٌ على استعداد الْمضحي بتقديم نفسه من أجل الآلهة.

---

(26) الحوراني: **البنية الذهنية الحضارية**، ص234، 235.

(27) الشواف: **ديوان الأساطير**،494/2، 495.

(28) ينظر: العويدات، حسين: **الموت في الديانات الشرقية**، الأهالي للطباعة، دمشق، سوريا، ط4، 1995م، ص30.

قُدمتِ القرابين للإله (شمش)، وكان من بينها قلب الثور السماوي، ويظهر من الملحمة تقديم القرابين أولاً، ومن ثم الصلاة للإله، تقول الملحمة:

"**انتزعا قلبه**

ووضعاه قرباناً أمام شمش

ثُم ابتعدا (متراجعين) وسجدا أمام الإله"[(29)].

تغلب سكان الرافدين على أشعة شمس الصيف المحرقة باستخدام مياه الأنهار، وترمز حادثة مقتل ثور السماء بيدي "جلجامش" وأنكيدو إلى هذا الصراع، صراع الحياة، وتغلب السكان على قحط وجفاف الصيف.

كما رسم "السومريون" صورةً جميلةً، تُعبر عن صراع الليل والنهار، فصوروا "عبادة الشمس (نور الآلهة) الذي كان يقضي الليل في الأعماق الشمالية، حتى يفتح له الفجر أبوابه فيصعد في السماء كاللهب، ويضرب بعربته في أعماق القبـة الزرقاء، ولم تكن الشمس إلا عجلة في مركبته النارية"[(30)].

وحظي القمر بمنزلةٍ عاليةٍ عند "السومريين" و"البابليين"، رغم أن "الشمس" تفوقه حجماً وقوةً، لكن هذا لم يكن مقياساً عندهم. فـالقمر الأب، والشمس والزهرة ابناه، تكون مجتمعة عائلة كالأسرة البشرية، فـ"الناس قديما اعتمدوا على الشهر القمري في التقويم، فالقمر كما هو معروف يظهر في منازل يكون هلالاً، ومن ثم قمراً وأخيراً في المحاق ... وهي ظواهر طبيعية وظفها الإنسان منذ عصور موغلة في القدم، في تحديد التقويم الشهري ثم السنوي، ومعروف أيضا أن مثل هذه الصفة، لا تتوافر في الشمس التي تشرق فجر كل يوم وتغيب ليلا، دون أن يلاحظ الإنسان عليها أي تغير مهم، وفضلاً عن رابطة النسب التي تصور وجودها الأقدمون بين القمر (الأب)، وبين ولديه (الشمس والزهرة)، فإن الأجرام الإلهية الثلاثة تشكل الثالوث الثاني

---

(29) الشواف: **ديوان الأساطير**،347/4.

(30) ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، ترجمة: محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الـدول العربيـ ـة، ط3، 1965م، المجلد:1، الجزء:2، ص28 ـ 29؛ ينظـ ـر: بوفرحـ ـات، هـ ـدى: **قصـة وتاريـخ الحضارات العربيـ ـة ـ العـ ـراق والأردن ـ** الناشر:Editor Creps INI))، 1998 ـ 1999، ص40.

في العقيدة الدينية لسكان وادي الرافدين"[31].

لم تطرأ تغيراتٍ على المنظومة الدينية في عصر الإمبراطورية **الآشورية**، من القرن الثامن إلى القرن السابع ق.م؛ فـقد قام "الآشوريون" باستعارة الثقافة الرفيعة، والكتابة، والدين، من سكان "بابل" الأصليين، واستمرت الآلهة السومرية والبابلية في السلطة في عصر السيطرة الآشورية، وحافظ كهنة "بابل" الجبابرة على مواقعهم.

ظل "**الآشوريون**" متمسكين شديد التمسك بإله القبيلة القديم "آشور"، وقالوا إنه إله "الشمس" عينها، وكان في زعمهم إلهاً شديد البأس، يقود ملوكهم في حملاتهم الحربية الظافرة، ويرشق أعداءهم يميناً وشمالاً بسهامه القاتلة، وكانوا يرمزون إليه بقرص الشمس المجنح. وقد أخذوا ذلك عن حثيي "سوريا"، كما أخذ هؤلاء من قبل عن "المصريين"، وكانت إلهتهم العظيمة "عشتاروت" إلهة الحب التي كانت في "بابل"، ولم يكن للدين من مفعولٍ ولا تأثيرٍ في حياة العباد؛ وعلة ذلك أنهم لم يكونوا يؤمنون بالدنيوية، ولا بالحياة بعد الممات[32].

تكررت صورة إله "الشمس" كثيراً عند القدماء؛ فصورة إله "الشمس" عند "البابليين" عينها تعود مرةً أخرى عند الأشوريين، ونرى أن هذا التشابه كان من أهم أسبابه هو تأثر كل حضارة بسابقتها فعند الأشوريين (إله شمش) " أكثر صوره دائرة بأربعة أشعة تخرج بينها أشعة مجعدة تمثل المعبود الشمسي، ورمزالطيران الشمس من الشرق إلى الغرب تصور الكرة الشمسية ذات أجنحة وذيل طائر، وحيث تترك الشمس عرشها لتعبر الفلك تمتطي حصانا"[33].

بهذا كانت "الشمس" عند "الآشوريين" رمز الخير، يتوجهون لها بالعبادة والتقدير؛ فهي مانحة الضوء اللامع، محاربة الليل، منتصرةٌ عليه، وبظهور أشعتها يزول الظلام، ويبدأ يوم جديد.

---

(31) فاضل، علي: **الشمس والقمر والزهرة في النصوص السومرية والبابلية**، مجلة الأقلام،العدد:12/ ص63.

(32) ينظر: بريستد، جيمس هنري: **العصور القديمة**، ترجمة: داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيـروت، لبنان، 1983م، ص112.

(33) مظهر، سليمان: **قصة الديانات**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1998م، ص75.

تعددت الآلهة في المجتمع الرافدي، فَوجِد في كُل مدينةٍ إله، وأُقِيم فيها معبد مخصص له. ولم يختلف "الآشوريون" عن سابقيهم، إلا أننا نلمح ظاهرةً متغيرةً، ألا وهي ظهور الإله وله زوجةٌ تُعبد إلى جواره، "فعبد (شماش) بوجه خاص في مدينتي لارسـا (سنكره) وسيبـار (أبو حبـة). وقدسـه الآشوريـون وشـيدوا لـه بعض المعابـد، وعبـدت معـه زوجتـه (العزيزة) (آي) وأفضل أسمائها هو (العروس)، فهي عروس (شماش)، وكان (شماش) فوق كل شيء القاضي الأعظم، وسيد الكهانة والعرافة، وكان له طفلان (كِتّو) و(ميشار) أي العدالة والحق. وخلال الأسبوع المكرس لمعبد لاغاش نرى (غوديا) يشير إلى أن الشمس تضيء على العدالة والإله (أوتو) يطأ بقدميه الظلم"(34).

وقد سادت طريقةٌ عند الأمم السابقة، ألا وهي تسلم مقاليد الحكم من الآلهة، كما تسلم "حمورابي" حكمه من إله "الشمس"، كذلك الحال عند "الآشوريين"، فَـ"آشور" يتسلم مقاليد الحكم من (شمش)، فَـ"الإله (شمش) هو الذي بسط على العاهل (آشوربانيبال) ظلا من الاستحسان وسلمه الصولجان(•) الذي يحكم به الشعوب، ولو أن هذا العاهل لم يتردد عن أن يسمى بنفس الوقت الإله (ننورتا) ذلك الذي يعطى الصولجان، ويتوسـل العاهـل نبوخذ نصـر إلى الإلـه (شمـش) طالبا منـه أن يمنحـه إلـى الأبـد (صولجانه الخاص بالعدالة)، وكثيرا ما تتم الإشارة في الأناشيد إلى الإله (شمس) بهذه العبارات: "**أوه يا أنت، الذي يعطي الملك الصولجان والعرش**""(35).

واختلفت تسمية إله "الشمس" بين الشعوب، إلا أن الدلالة المكتسبة من الأسماء جميعاً هي المسؤولية والسلطة، "فعند الأشوريين كان رب الشمس يدعى باعل وهو أعظم الآلهة"(36).

---

(34) دلّو: **حضارة مصر والعراق**، ص386.

(•) الصولجان عند "ابن منظور": العود المعوج، وأما في التهذيب، فهو عصا يعطف طرفها، يضرب بهـا الكـرة علـى الدواب.

(35) الطعان: **الأبعاد المختلفة للفكر السياسي في العراق القديم**، ص123.

(36) صدقة، جان: **رموزٌ وطقوسٌ، دراسات في الميثولوجيا القديمة**، رياض الريس، لندن 1989م، ص116، 117.

ويرى "ابن منظور"في لسانه أن سبب تسمية زوج المرأة بعلا "لأنه سيدها ومالكها"[37]، وهذا يدل على أن "الشمس" إله ذكر لدى "الآشوريين"، ولم يكن مؤنثاً كما عند عرب جنوب الجزيرة العربية.

فـ"الآشوريون" لم يأتوا بشيءٍ جديدٍ تقريباً؛ والدين والثقافة لم يتغيرا، بل استمدت أصولهما من سكان الأمم السابقة لهم كـ"السومريين" و"البابليين".

لم يختلف جوهر العبادة عند **"الفينيقيين"** عن سابقيهم، وكأنها تتسلسل في سلمٍ يكون السابق لها أساساً، فـ"الفينيقيون" في ديانتهم تأثروا بالديانات السامية السابقة لهم، وبقيت الطبيعة جوهر العبادة، و"الشمس" أساسها، وارتبطوا بالأرض أيما ارتباطٍ، بحثاً عن الخِصبِ والنماء، وما يؤَثر فيها من مؤثراتٍ طبيعيةٍ سماويةٍ، "والواضح في مجموعة الاعتقادات والطقوس والعبادات التي كانت قوام الديانة الفينيقية، أن الفكرة المسيطرة هي سلطة الشمس الواقعية وفكرة الخصب. وهكذا كان التعلق الروحي بالشمـس يشكل الحافـز للتوسع في الإبحار نحـو الغـرب"[38].

أثرت "الشمس" في مصدر معيشة الفينيقي، في قحطها وخصوبتها؛ لذلك رأى الإنسان ضرورة تقديس هذا الكوكب المؤثر في حياته، والمراقب له من الأعلى، فهي ترسل أشعتها كالأسهم المضيئة إعلاناً يبدءِ العمل، وبزوالها يغشى الظلام الأرض، فتتوقف الحياة؛ لذلك يقَالُ: "الشمس لدى الفينيقيين تمثل إله العدل، لأنها ترى كل شيء على الأرض، وتعرف كل شيء في باطن الأرض أثناء هبوطها في المساء، وفي الميثولوجيا الفينيقية ترسل الشمس أشعتها إلى الأرض بأمر من الإله (موت)، حيث تحرق العشب وتجفف وجه الأرض"[39].

إن الفكرة المسيطرة هي سلطة "الشمس" المتمثلة في خِصبِها؛ فَعبِدتْ، وقُدستْ، وأُقِيمتْ

---

(37) **لسان العرب**، مادة (بعل).

(38) مازيل، جان: **تاريخ الحضـارة الفينيقيـة والكنعانيـة**، ترجمة: ربا الخش، دار الحوار، اللاذقيـة، سـوريا، ط1، 1998م، ص37، 38.

(39) نعمة، حسن: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات**، دار الفكر اللبنـاني، بيـروت، لبنان، 1994م، ص34.

لها طقوس خاصةٌ ضمن اعتقاداتٍ معينةٍ، و"انتشر من أوغاريت على طول الساحل الفينيقي شكل من أشكال الديانات قائم على فكرة الخصوبة والتعلق الروحي بالشمس وعبادة الظواهر الطبيعية الخارجة عن سيطرة الإنسان"(40).

ويحدد بـدء عبادة "الشمـس" عند "الفينيقيين" منـذ بـدءِ الخليقـة، فكـان "جنـوس (أي الجنس) وجنيتا (وهو المؤنث المقابل للمذكر السابق) أول من عبد الشمس"(41).

وعبد "الفينيقيون" ثالوثاً إلهياً ضم مجموعةً من الآلهة، وكان لبعض منها مسمياتٌ عدةٌ حسب كُل منطقةٍ؛ فقد "أقـام الفينيقيون في كل من صور وصيدون وجبيل عبـادة (بعـل) و(عشتروت) بالإضافة إلى ألوهية ثالثة تتفق وطموحاتهم في كل مدينة وهذه الآلهة كانت تمثل ثلاث قوى: الشمس والقمر والعقيدة أو المبدأ الإلهي في عمل الناس. فهي إذا تشكل الثالـوث الأعظم"(42).

وظهر في عبادة "الفينيقيين" الإله "دموزي"، الإله الذي يدل على التغير والتبدل، ففي بداية فتوته كان ابن "الشمس"، و يمثلُ الجزء الأول من فصول السنة، ثُم أصبح ذا أهميةٍ في ديانة البلاد، ويشمل مظاهر الطبيعة الخصبة، والجفاف، والموت، في آنٍ واحدٍ. فـ"يقولون: إنه كان ابن الشمس قبل أن يصبح إلهـا يمثل لغـز الحـياة والمـوت. كـذلك اتخـذت مدينـة صور الفينيقيـة الشمس إلها للمدينـة (ش م ش)"(43).

اعترى إله "الشمس" بعض التغير والتبدل في اسمه، ويمكن رد ذلك إلى وجود لهجاتٍ متقاربةٍ بين "الفينيقيين"، فـَ"لا شك في أن (شفش) في النصوص الأوغاريتية هي الشمس، أما لماذا تغيرت الميم إلى فاء في أوغاريت، فأمر لا نستطيع تحليله ولكن يجـب أن نتذكـر أن

---

(40) مازيل: **تاريخ الحضارة الفينيقية والكنعانية**، ص33.

(41) ج. كونتنو: **الحضارة الفينيقية**، ترجمة: د.محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ص 127.

(42) مازيل: **تاريخ الحضارة الفينيقية والكنعانية**، ص34.

(43) صدقة: **رموزٌ وطقوسٌ**، ص115.

(الميم والفاء) حرفان متقاربان في مخرجهما"[44].

ووضِعتْ أساطير كثيرةٌ لدى كثيرٍ من الشعوب، حول ظاهرتي: كسوف الشمس، وخسوف القمر، فوصفوا كائناتٍ هائلةً، تُلاحِقُ "الشمس" و"القمر" للإيقاع بهما. ويرى الفنيقيون " أن الكسوف عدو الشمس عبارة عن تنين هائل، يحـاول ابتلاعها، لكنه لا يقوى على ذلك، لأنها تعود حالا إلى الظهور والضياء، وقد كافأها البعل على صنيعها عندما أسعفت (عنـاة) على العثور على (البعـل) في قلـب الأرض، في مملكـة (موت) وساعدتها في حمل جثته إلى وجه الأرض فرد عنها شر التنين، وقال لها إن (كاشر وخاسس) سيكونان دوما إلى جانبك في وقت الضيق أي (وقت الكسوف)"[45].

ووصِفَتِ "الشمس" بالعدل وإعطاء الحقوق لأصحابها؛ رافضة أن يتجنى أحد على آخر، فالإلهة الشمس (شمش) تُراقِب وتُوبـخُ (موت) لصراعه مـع (بعل)، لذا "كانت الشمس توازن بين (البعل) و(موت) في صراعهما، أي بين الجفاف والري، بين الصيف والشتاء، وتهدد (موت) بشكواه للإله (إيل) عندما يتجنى على (البعل)، فهي حارسة للعدالة بين الناس وحافظة للتوازن بين الفصول"[46].

ويرتبط بهذه الفكرة القائمة على هذا الموت الفعلي لإله النبات في الصيف، وإحيائه في الربيع، عنصر آخر يكمن في القوة المتجددة للشمس، حينما تظهر بعد هزيمة الشتاء، وهذا يظهر في أسطورة "تموز".

نذكر أن أصل كلمـة (بعل) الطرف الآخر في الصراع مـع "مـوت" رمـز الجفاف "تعني السيد أو المولى أو الزوج أو المالك أو الرب... وقـد أصبحت (بعـل) مرادفـة لكلمـة إلـه، بحيث أصبـح هناك (بعـل شاميم) بعل السماء أي إله السماء، و(بعـل هارعد) أي إله

(44) فريحة، أنيس: **ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس شمرا)،** دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1980م، ص66.

(45) صدقة: **رموزٌ وطقوسٌ،** ص115؛ وينظر: فريحة، أنيس: **ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس شمرا)،** دار النهـار للنشر، 1980م، ص66.

(46) الحوراني: **البنية الذهنية،** ص236.

الرعد، وقد أصبح (بعل شاميم) الرب السامي الأسمى في الألف الأخير قبل الميلاد، كما أصبح تجسيدا للشمس والسماء ذاتها، ولذا فهو مانح المطر والشمس والخصب والمحاصيل"[47].

بنى "الكنعانيون" المعابد والهياكل للآلهة؛ لتقام فيها طقوس العبادة، ولم تُعبد الآلهة جميعاً في معبدٍ واحدٍ، بل كان لكل منها معبد خاص تَم بناؤه في المرتفعات؛ ليسهل الاتصال به وتقصر المسافة بين الأرض والسماء، حيث يسكن الإله المعبود، " فقد وجد في كل مدينة وكل قرية هياكل وتماثيل، ترمز لأشكال الآلهة كبيرة كانت أو صغيرة، مهمة كانت أو ثانوية"[48].

وتُعد الصلاةُ أهم ركنٍ من أركان العبادة للإله؛ أما طقوسها فتبدأ "بالتطهير، ويتم بغسل اليدين والوجه، وهو مفروض على كل الناس...ويلحق التطهر الغرف والبيوت والأدوات، وعند الصلاة يرفع المصلي عينيه إلى السماء وهو واقف ثم يركع، وأخيرا يرتمي على الأرض، وعند الصلاة للإله (بعل) يجب على المصلي خلع ثيابه وتعليقها بجواره، ولابد للكنعاني من التعري بشكل كامل حتى تكون صلاته صحيحة"[49].

لم تكن صورة السماء واحدةً بين شعوب العالم القديم، ولم يكن خيالهم ليرسمها بذاتها، بذكورتها وأنوثتها، "لقد كان خيال **المصريين** القدماء خيالا واسعا عريضا عميقا حقا، كما يقول العالم المصرولوجي (نجيب ميخائيل): فقد رأوا في السماء بقرة كبيرة تعتمد على قوائمها الأربع، التي تمثل دعائم السماء، وفيها يبحر قارب يحمل شمس الصباح"[50].

وتظهر السماء، مصدر الخِصبِ أما، تطبق على الأرض في كُل أنحائها، حيث عدها قدماء "المصريين" إلهةً أنثى، والأرض إلهاً ذكراً، وذلك على عكس تقاليد أكثر الحضارات، التي تعتبر السماء ذكراً يلقح بمطره الأرض الأنثى. فالسماء الأم " يرفعها في الفضاء إله الهـواء

---

(47) الميسري، عبد الوهاب محمد: **موسوعة اليهود واليهودية والـصهيونية**، دار الـشروق، القـاهرة، مـصر، ط1، 1999م، ص155.

(48) الباش، حسن: **الميثولوجيا الكنعانيةِ والاغتصاب التوراتي**، دار الجليل للطباعةِ والنشر والتوزيع، دمـشق، سـوريا، 1988م، ص39.

(49) **المرجع السابق**، ص43.

(50) مظهر: **قصة الديانات**، ص29.

(شو) ورأسها في الغرب وقدماها في الشـرق، تلد الشمس كل صباح، وتبتلعها ثانية كل مسـاء"[51].

عاش "المصري" في ظِل حياةٍ هادئةٍ، وعملٍ متصلٍ تفرضه عليه البيئة من زراعةٍ، وتربيةٍ للحيوان، تحت سمعه وبصره "النيل" و"الشمس" طوال النهار، ويبقى "النيل" في الليل، وتُعاود "الشمس" إشراقها كُل صباحٍ بغتةً من وراء رمال الصحراء، لِتُلْقِي بدفئها على برد ليل الصحاري، وتلهب الصيف، وتظهر السحب في السماء؛ لِتحجب قرص "الشمس" تارةً، وتنبلج عنه ثانيةً، كأنها في تناوبٍ في هذا العمل. فَـ"الشمس" أول هذه المولودات. ففي كُل يومٍ جديدٍ "تخرج من شرق الدنيا هينة لطيفة رقيقة جميلة، فلا تلبث أن ترتفع وتتسع ثم تأخذ طريقها في عالم السماء، تذرعه من الشرق إلى الغرب فإذا هي رائعة في الضحى، وإذا النهار يتجلى، وإذا الشمس في كبد السماء، أكبر ما تكون حجما وأروع ما تكون منظرا، وأشد ما تكون حرارة وقوة، فما تكاد تنحدر إلى الزوال حتى يأخذ لونها يصفر ثم يزداد اصفرارا، ثم يشتد اصفرارها إذا ما كان الأصيل، وما يكاد الأصيل يتلقاها، حتى يسرع بها إلى الغرب، وإذا بها قد ازينت لتتوارى بالحجاب"[52].

قدس "المصريون" "النيلَ" لفيضه عليهم بالخير والبركة، وألهوا "الشمس" لأنها ينبوع الحياة و"تصوروا في هاتَين الظاهرتَين (الشمس والنيل) إلهين اثنَين، كان لهما السيطرة على كُل من التطور الديني والعقلي منذ أقدم العهود التي عرفت، وهاتان الظاهرتان، لهما إلهان، إله الشمس (رع)، وإله الخضرة (أوزيـر)، وكانا الإلهين العظيمين في الحياة المصرية القديمـة"[53].

---

(51) نور الدين، عبد الحكيم: **تاريخ وحضارة مصر القديمة**، الخليج العربي للطباعـة والنـشر، مـصر، ط3، 1999م، ص115.

(52) بدوي، أحمد: **في موكب الشمس**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القـاهرة، مـصر، ط1، 1946م، الجـزء الأول، ص121.

(53) بريستد، جيمس هنري: **فجر الضمير**، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـاهرة، مـصر، ط1، 1999م، ص43.

واعتبر "المصريون" أن الخِصب الممنوح لأرضهم الطيبة؛ سببه "النيل" و"الشمس"، وقد تكون الآلهة المرتبطة بكُل من هاتَين الظاهرتَين، هي صاحبة اليد الأولى لحركتهما، ومسيرتهما، وتأثيرهما في حياة الأرض والناس. مما ساعد التوسع في قدسية الشمس عند المصريين، وقد "بدأت بين سكان الدلتا، وأنها لم تأخذ سبيلها إلى سكـان الجنوب إلا مع غزو الشماليين لهم"[(54)].

ومن الطبيعي أن ينشأ صراع بين عبدة (رع) إله "الشمس" وعبدة (أوزير) إله الزرع والخضرة، فـَ"شمس" النيل مشرقةٌ تبث سحرها في النفوس، لها لمعان يملأ العيون، ولِـ"النيل" جماله وهيبته عند فيضه، ماؤه أساس الخضرة والنبات، وأساس استمرار حياة الإنسان والحيوان.

تعددت صور إله "الشمس" في الديانة المصرية نتيجة تعدد العقائد والأفكار، حيث عبدت في "صورة (رع) و(آتوم) و(وحور أختي)، ويتخيلونها أحيانا، تعبر السماء في قارب، وأحيانا تطير في الجو بأجنحة عقاب، أو تتدحرج ككرة أمام جعل ضخم غير منظور"[(55)].

هذا التعدد في العبادات جعل في كُل منطقةٍ إلها لا يقبل الشرك، غيوراً في عبادته، وهذا يظهر مدى التسامح الديني إلى أقصى درجاته، حيث التعدد لا التوحيد والتقيد بإلهٍ معين.

صور عدة مجسمةٌ لِـ"الشمس" أبدعها الإنسان في "وادي النيل"، مثل (رع) و(آتوم) و(حور أختي) التي تم تجسيمها على الأرض ليستطيع المصري لمسها، وأن يراها حقيقةً كائنةً، بدلاً من كونها إلهاً سماوياً بعيداً عنه، ينظر إليه دون التبرك به.

ورأى المصري حياته مجموعةً من التعقيدات، وألغازاً يصعب حلها، فهو يعيش في كون يجهل سِر وجوده وأسبابه. كان على رأس هذه الألغاز القوة الطبيعية العظمى والكبرى، ألا وهي "الشمس". فقام المصري بتأليه هذا الكوكب، وعده خالقاً مميزاً يجب أن يعبد في بيئةٍ امتازت

---

(54) عكاشة، ثروت: **تاريخ الفن المصري**، دار المعارف، مصر، (د. ت)، ص182.

(55) موسى، محمد العزب: **أسرار الهرم الأكبر**، دراسة أثرية تاريخية عن هرم خوفو وعصره، دار المعارف، القـاهرة، مصر، ط2، (د.ت)، ص137.

بشدة تأثيرها في حياتهم، فعمدوا إلى تقديسها وتفضيلها على غيرها من الكواكب لشمولها في معظم حياتهم، كما "أتاحت أكثر من فرصة لأولئك الذين حاولوا أن يوطدوا وحدة مصر عن طريق العبادة، فاستخدمت الشمس قبل غيرها بهذا أو بذاك من الأسماء في سبيل بلوغ هذا الهدف"[56].

سيطر إله "الشمس" المصري (رع) على معظم الديانة المصرية، فكان "هو الاسم الذي أطلقه المصريون ـ خلال عصر الأسرات ـ على إلههم الشمسي الذي اعتقدوا أنه صانع كل ما نشاهده حولنا في العالم المرئي، وخالق السمـاء، وآلهتهـا والتوات ـ والعالم السفلـي ـ والكائنات التي تعيش فيه، هذا الاسم غير معروف أصل منشأه، وإن كان يبدو أن كلمة (رع) كانت تعني لديهم ـ خلال فترة من فترات تاريخهم ـ القدرة المبدعة الصانعـة، وأنهـم اختاروها بعد ذلك اسـما لإلههـم، لتعطـي معنى قريبا من كلمـة (خالق)"[57].

و"ذهب كهنة مدينة الشمس إلى أن هناك عددا كبيرا من الآلهة، ولهم مجلس رياسة عليا يتألف من ثمانية آلهة كبار ورئيسهم الأعظم هو (رع) أو إله الشمس"[58].

أثرت الطبيعة بمظاهرها في الإنسان، حتى لم يعد يستطيع أن يتناسى أثرها في حياته، وقد سيطرت على أفكاره، ليرى في بزوغ شمس الكون قوةً رهيبةً، ليستسلم لها بإمكانية الخلق والإبداع، وحركاتها لم تتوقف ولم تتوان ولو للحظةٍ صغيرةٍ، ليعترف بألوهيتها حقاً. "فإله الشمس قوة طبيعية، إذ هذه القوة تهبط إلى دنيا الناس، وتَتَصور ملكا على الأرض، له السيطرةُ التامة على حياة البشر، وليس لإنسان أن يشاركه فيما يعملُ، بيده مقاليد الأمور كلها"[59].

وشابه الناس في "مصر" بين السماء بأجرامها السماوية، وبين العائلة البشرية على الأرض، فالأسرة تتكون من أبٍ وأُم وأبناء لهما؛ ليتكون ثالوثٌ جدير بالتقدير والعناية. كما أن

---

(56) إيمار، أندريه، وأوبوايه، جانين: **تاريـخ الحضـارات العام**، إشراف: موريس كروزيه، ترجمـة: فريد داغر، فؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط3، 1994م، المجلد:1، ص 89.

(57) بدج، والاس: **آلهة المصريين**، ترجمة: محمد يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1998م، ص367.

(58) مراد، د.سعيد: **المدخل في تاريخ الأديان**، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ط1، 2000م، ص84.

(59) عكاشة: **تاريخ الفن المصري**، ص213.

الثالوث المقدس في بلاد الرافدين، كان يشمل "القمر" أباً و"الشمس" أُماً و"الزهرة" ابناً لهما، فقد وجِد في بلاد "النيل" ثالوثٌ آخر يشابهه، حيث بقيت "الشمس" أُماً وركْناً أساسـياً فيه أيضاً.

وكانت مصاهرة الآلهة مع البشر أمراً طبيعياً، تُؤَدي بـ"المصريين" إلى الاعتقاد أنهم من نسلهم، وملوكهم وحكامهم أنصاف آلهة تقوم بدور الآلهة، "ففرعون مصر يلقب بالصقر، لأنه وريث الإله (حورس) الصقر الذي جمع في شخصه كل السلطات المنسوبة إلى الطواطم المحلية، عندما قبلت بالسيادة كما تذكر الأساطير"(60).

وبلغ اهتمام "المصريين" بِالصقر كثيراً إلى أن "اتخـذوه رمـزا للسماء منذ أقدم العصور ... وجعلوا إحدى عينيه للشمس والأخرى للقمر، ورمزوا بأنفاسه المترددة إلى ذلك الهواء الذي يملأ فضاء الدنيا ما بين السماء والأرض"(61).

ومزج الإله (رع) بين الصورة الحيوانية والإنسانية وأطلقـت تسمـيات عِـدةٌ علـى إلـه "الشمـس"، يستشف منها علو المكانة والبعد، حيث يحلق الصقر، وذَهب "فلاحو وادي النيل المبكرين الأوائل إلى أن الشمس لابد أن تكون صقرا مثله، يقوم بطيرانه اليومي عبر السموات، ومن أجل ذلك أصبح قرص الشمس ذو الجناحين المنشورين أعم رمزا في الديانة المصرية، وقد انحدرت إلينا هذه الفكرة عن طريق الأدب العبراني في تشابيهه التي منها "جناح الصباح " و"شمس العدالة"... لتي تحمل الشفاء في جناحيها. و كـان إله الشمس بصفته صقـرا يسمى (حور)، [(حوريس) أو (حوروس) أو (حور أختى)]، أي (حـور الأفق)"(62).

ويستشف من أصل تسمية (حورس) الارتفاع والبعد، إضافة إلى مكانةٍ مرموقةٍ تمتع بها الإله عند "المصريين".

لم تسلم الآلهة من صراع الحياة أيضاً، فأُصِيب إله "الشمس" في جسده؛ مما حد من عمله

(60) دلّو: **حضارة مصر والعراق**، ص178.

(61) بدوي: **في موكب الشمس**، الجزء الأول، ص123.

(62) بريستيد: **فجر الضمير**، ص44؛ وينظر: عكاشة، ثروت: **تاريخ الفن المصري**، ص188.

في حياته، لقد فقد (حورس) إحدى عينيه في حياته؛ "إذ ورد في إحدى الأساطير أن إله الشمس فقد عينه بيد عدوه"(63).

وتظهر صورة أخرى لإله "الشمس" التي يتم فيها المزج بين الحيوان والإنسان، حيث يتم فيها اصطفاء أنواع خاصةٍ من الحيوانات، ففي الصورة السابقة يتميز الصقر بإمكانية التحليق في الأفق؛ ليكون قريباً من "الشمس"، أما في هذه الصورة فتم اختيار حيوانٍ يتصف بقوته وهيبته كالأسد. فتروي "الأسطورة أن أبا الهول هو إله الشمس ـ رغم أنه كتلة صخرية في مرتفع الجيزة بمصر ـ يمثل أسدا رابضا ورأسه رأس إنسان يلبس غطاء رأس فرعوني. وفي الألف الثالث قبل الميلاد قام (شيفرين) بالإيعاز إلى رجالـه لنحـت أبي الهول في الجيزة وطوله 240 قدماً، ويواجه الشمس المشرقة، وهو حامي الأهرامات ويمزق أعداء (رع) "(64).

ولم يكن وجود التماثيل القابعة حتى اليوم في عصرنا مجرد أشكالٍ فقط، لقد اتخذت بعض التجسيدات دلالة رمزيةً لبعض الآلهة، فأبو الهول "في الأسرة (18) اعتبره المصريون رمزا للإله (حور ـ أم ـ اخت) (حورماخيس)، أي حورس في الأفق، وهي الشمس في الصباح"(65).

وعامل "المصريون" هذا الإله بعنايةٍ شديدةٍ، واحترامٍ وتأليهٍ متميزين. فهو خالقٌ، وركن أساس في معبوداتهم، فـ"رع طبقا لتقاليد مصر كان الملك الأول وخالق العالم أتوم، وكانت هليوبوليس ـ كما يشير اسمها ـ المركز الرئيس لعبادة (رع)"(66).

وحظيت "هليوبوليس" باهتمامٍ شديدٍ من "المصريين"، "ففيها كان يقبع قصر فخم... في هذا القصر كانت تجري قصة الحياة، يفتح (رع) إله الشمس عينيه، فيبزغ الفجر على الوجود، وينهض من فراشه ليدلف إلى الحمام ليستحم بالماء البارد، وتقبل عليه (آنوبيس) إلهة الندى،

---

(63) بريستيد: **فجر الضمير**، ص45.

(64) الشيخ، حسين: **مصر تحت حكم اليونان والرومان**، دار المعرفة الجامعية، 1997م، مصر، ص131.

(65) حاتم، محمد عبد القادر وآخرون: **الموسوعة المصرية**، وزارة الثقافة والإعلام، مصر، (د.ت) 1 /70.

(66) هووك، صموئيل هنري: **منعطف المخيلة البشرية**، ترجمة: صبحي حديدي، دار الحوار، اللاذقيـة، سـوريا، ط1، 1983م، ص57.

فتصب عليه أباريقها الأربعة الطاهرة، وينطلق (حورس) فيدلك جسده، وينحني (توت) فيجفف ساقيه، وما يكاد الجميع ينهون حتى يرتدي الإله الأكبر ملابسه المتلألئة ذات البريق، وينطلق من أمامه الرسل تتسابق لإخلاء الطريق، ومن حوله جنود الموكب ينحنون حتى تلامس جباههم غبار الأرض، ويصل إلى زورقه العلوي الرأسي على ضفة النهر، فيستقله منزلقا به على الأفواه، بلا مجذاف ولا شراع ولا دفة، ويطلع النهار، فيهتف الناس والآلهة على الضفتين: (**تَباركْتَ يا رع... يا خالقَ السمواتِ والأرض... يا مرسي الجبال وساقي البحار... يا رسولَ الفَرح والحرارةِ والضوءِ إلى أرض السلامِ** ")[67].

هذه قِصةٌ تَتكرر كُل يومٍ، حيثُ تَطْلع الشمس ويتَساقَطُ الندى، وما أن تَسطع "الشمس" بأشعتِها، ويشتد وهجها، فَيطير الندى، وتَميلُ "الشمس" نحو غرب السماء لتهدأ رويداً رويداً، وليبحر الإله في زورقه عبر السماء إلى العالم السفلي، إلى الدنيا الآخرة، لتبدأ دورة الحياة من جديدٍ عند ظهور "الشمس".

وقد وصِفَ إله "الشمس" بأوصافٍ عدةٍ، تدل على أهمية هذا الإله، ودوره في الحياة، فهو يفوق غيره في صفاته، ولم تكن هذه الأسماء ثابتةً في كُل أوقات اليوم، "بل تختلف باختلاف مكـان الشمس على صفحة السمـاء، فهـو حين يشرق في الصباح يسمى (خِبري)، وكان يرمز إليه بشكل جعران، أو في بعض الأحيان بشكل جعران بداخـل دائرة تمثل قرص الشمـس")[68].

والتسمية (خبري) التي تظهـر فـي تسميات المؤرخـين لإله "الشمـس" هـي نفسها (خفرع)، هذا الإله "من مهماته أنه القوة، التي تمكن الملوك من نشر سلطانهم وحماية ممالكهم، ومن هنا أطلق ملوك عصر الأهرام (2200 ـ 2600) ق.م علـى أنفسهم لقب ابن (رع)، أي

(67) مظهر: **قصة الديانات**، ص20.

(68) سامسون، جوليا: **نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد**، ترجمة: مختـار الـسويفي، مراجعـة وتقديم: د.محمد جمال الدين مختار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط2، 1998م، ص75.

ابن الشمس "[69].

أما الاسم الثاني، فَيمثلُ مرحلةً متوسطةً من مسير الإله في رحلته عبر النهار، فهو "حين تصبح شمس الظهيرة بأعلى السماء (رع)، ويرمز إليه بشكل رجل له رأس صقر متوهج بقرص الشمس، وحين تميل الشمس نحو أفق الغرب فهو (آتون)، الذي يرمز إليه بقرص الشمس أوهو (رع آتوم) ويرمز إليه بشكل رجل"[70].

ويتخذ الإله الخالق (رع) ثلاثة أشكـالٍ تُكّون ثالوثاً هي (خبري ورع وآتوم)، وكان "هذا الثالوث الشمسي هو أساس لاهوت وميثولوجيا مدرسة (آون)، الذي يرى أن الإله "الشمس" ظهر أولا في شكل (آتوم) الذي ظهر من (نون) رمز المياه الهيولية السحيقة، والتي تلخص الثامون الإلهي الهيولي، ولكن (آتوم) لم يجد مكانا يقف عليه، فوقف على تل، ثم صعد فوق حجر على هيئة مسلة (بن بن Bin Bin) في (آون)، وهي رمز الشمس"[71].

وتظهر الأشكال الثلاثة السابقة في أسطورة (رع) و(إيزيس)، "وتتصل بالقدرة السحرية لاسم الإله، وفي هذه الأسطورة تكرس (إيزيس) قلبها لمعرفة الاسم السري لـ(رع)، بغية استخدامه في رقاها السحرية، لهذه الغاية تخلق أفعى وتضعها في طريق مرور (رع) عند عودته من قصـره، حين يخرج (رع) تلدغه الأفعى، ويقع فريسة آلام الحمى، يدعو(رع) لاجتماع مجلس الآلهة الذين يفدون مرتدين الحداد وبينهم (إيزيس)، فتقول إنها بحاجة لمعرفة اسم (رع) السري، كي تكون رقيتها ناجعة، يخبرها (رع) أنه كان (خِبري) في الصباح، و(رع) في الظهيرة، و(آتوم) في المساء، لكن (إيزيس) لا تصـدق أن واحدا من هذه الأسماء كان حقا هو الاسـم السري (لرع) الجبار، فتظل آلام الإله دون شفاء. أخيرا يكشف لها (رع) اسمـه السري، شريطة ألا تطلع أحـدا من الآلهـة عليـه، باستثناء (حورس)، عندها تستخدم (إيزيس) اسم (رع) الجبار، وتتمتم رقيتها التي تزيل تأثيرات سم الأفعى. وينتهي النص

(69) صعب، أديب: **الأديان الحية**، دار النهار، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص19، 20.

(70) سامسون: **نفرتيتي**، ص75.

(71) الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1999م، ص73.

بإرشادات حول استخدام الرقية في شفاء لدغ الأفعى"[72].

نستدل من هذه الأسطورة أن النهار والليل كانا مقسمين إلى ثلاثة أجزاءٍ، كُل منها يشْرفُ عليها شكلٌ من أشكال (رع) الثلاثة: (رع، وخبري، وآتوم)، فتتبدل أسماء الإله بتبدل "الشمس"، وقوة أشعتها.

ويظهر دور الأفعى في هذ الرقية بإعادة الحياة إلى إله "الشمس" (رع)، الذي أصابته الشيخوخة، فَـ(إيزيس) الساحرة تُشَكلُ ثعباناً وتدفع به ليلدغ الإله، فيصاب الملك الإلهي بنفس القوة التي انبعثت من جسده، فتقوم الأفعى في هذا المجال بدورٍ ثُنائي بين الحياة والموت.

ونرى من خلال بعض اللوحات الفنية مركب إله "الشمس" وقد أُحِيطَ بأفعى تعمل على حمايته من الأشرار، ويبدو إله "الشمس" في لوحاتٍ أخرى برأس صقرٍ عليه أفعى، تمد رأسها وتُراقِب ما يتعرض له من أذى[73].

يتوحد الإلـه العظيم والكبير (رع) مع آلهة أخرى أقلّ شأناً منه، فَـ"الإلهة الكبرى هي إيزيـس، هي أم الإله الصقر(حورس). كانت لها صلة مقدسة بمنح القوة لملوك مصر، وكانت تصور في بعض الأحيان وهي تقوم بإرضاع ابنها (حورس) الذي يتخذ في هذه الحالة شكل طفل طبيعي صغير، وقد حدث تطور فيما بعد حيث امتزج إله الشمس مع (حورس)، فأصبح (رع حور أختى) أي (حورس في الأفق)"[74].

وربط "المصريون" بين الحيوانات وآلهتهم، فهم يعتبرون الصقور أرواحاً مجسدةً للآلهة، حيث إن رسومها ما زالت باقيةً منقوشةً، وملونةً على الحوائط المصورة المصقولة للمعبد القابع أسفل التل، مع أنه من الممكن أن لا يعرف الساكن أن الصقر كان أول كائنٍ حي يتم عبادته في وادي النيل، وبالتالي فالاحترام الذي يظهرونه للصقر، لا بد وأن يكون بسبب تقاليد وصلتهم عبر

---

(72) هووك: **منعطف المخيلة البشرية**، ص61؛ وينظر: جريمال، نيقولا: **تاريخ مصر القديمة**، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة: د.زكية طبوزاده، دار الفكر للدراسات، القاهرة، مصر، ط1، 1991م، ص55.

(73) عكاشة: **تاريخ الفن المصري**، ص189، اللوحة (99).

(74) سامسون: **نفرتيتي**، ص75.

عددٍ لا حصر له من الأجيال السابقة لهم، جعلتهم يربطون بين الصقور والرسومات المنحوتة للآلهة في معبد (آمون ـ رع)[75].

وصور المصري الإله (أمون) بصورةٍ مزج فيها بين الحيوان والإنسان، ولم يقتصر تمثيلهم للآلهة بصور حيوانية بحته بل قد يكون الإله "رأسه رأس كبش، ويظهر كرجل ملتح يلبس قبعة فيها ريشتان طويلتان"[76].

ويصور (أمون ـ رع) في الفن المصري على هيئة إنسانٍ له لحيةٌ "يضع على رأسه ريشة ممزوجة متعددة الألوان (من الأحمر والأخضر والأزرق) ويلتف حـول رقبتـه عقـد (أو قلادة أو ياقة عريضة)، ويحيط بالذراعين والمعصمين أسـاور، وهو يجلس وعلى يمينـه (الأنك Ankh (وهو صليب على شكل حرف (T) يرمز إلى الحياة) وعلى يساره الصولجان (رمز صغير يعلوه قرص الشمس وتحيط به حـية). ويظهر أمـون مع زوجتـه (أمونت) فإنه كثيرا ما يصور على هيئة إنسان برأس ضفدعة، بينما تظهر زوجته على هيئة امرأة برأس أفعى"[77].

وهذه صورةٌ واضحةٌ تبين (أمون) وزوجته (أمونت)، وقد اشْتُق اسمها من اسمه بإضافة تاء تأنيثٍ لاسمها، واقترانهما بالأفعى والصولجان، وهما رمز السلطة والقوة، اختص بهما الإلهان.

والآلهة في صورها المتعددة ـ وإن كان بعضها في صورة حيوانٍ كامل السمات، كما هو حال الإله الثور (أبيس)، أو كمخلوقٍ له جسم الإنسـان ورأس الحيـوان، كما في شكل الإله (حورس)، الذي يمثلُ مزجاً بين البشر والحيوانات ـ لدليل ساطع على تطورٍ في نسج خيال "المصريين" القدماء، والتطلع إلى وجود وسيطٍ بين عالمي: الألوهية، والإنسانية، فلم يجد الإنسان إلا أن يتجه إلى الحيوانات الأكثر رقياً في الطبيعة بعد البشر، فاختار ما اختار منها لرسم حياته

---

(75) ينظر: بدج: **آلهة المصريين**، ص21.

(76) الشيخ: **مصر تحت حكم اليونان والرومان**، ص122، 123.

(77) إمام، عبد الفتاح إمام: **معجم ديانات وأساطير العالم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، (د.ت)، 1 / 82.

والتغلب على مشاق الحياة البائسة.

ويـرد في الديانات المصريـة القديمـة اسمان لإله "الشمـس"، آتوم وآتون (Aton)، "وكلاهما يمثلُ "الشمس"، (فآتوم) يمثلها بهيئة شيخ إنسي، و(آتون) يمثل قرص الشمس الذي يسطع على العالم في الصباح ويغرب في المساء، ومنعوا تمثيله بدمية أو صنم"[78].

وتعني كلمة (آتوم): "الذي تكامل بعد أن امتص الآخرين، وقد وجد بالتل البدائي الأرضي، وتلك حقائق توحي بأنه صور كممثل إلهي لكل هذه الكائنات الحية الأولى، التي نشأت منذ فجر التاريخ على التل البدائي، حيث اختلطت وفق تفسير لاهوتي"[79].

ابتدع "المصريون" فكرة خلق الآلهة من العدم، وقيام الإله بخلق نفسه، فـ"يروي لنا نص أسطوري كيف أن الإله (آتوم) خلق نفسه بنفسه بقدرته السحرية: (**أنا "نوو"، أنا الواحد الأحد ليس كمثلي شيء... لقد جلبت جسدي إلى الوجود، بفضل قدرتي السحرية، لقد خلقت نفسي بنفسي، وشكلت نفسي حسبما كنت أتمنى، حسب رغبتي**). وهكذا تشكل الخالق الإله الشمسي وسيطر حتى على الهيولي السابقة عليه، ولكـن (أتوم) صار رمزا للشمـس العجوز الغاربة"[80].

ولعبت السياسة دوراً مهماً في عبادة الآلهة، وكان الحاكم يغَير تغييراً جذرياً في عبادتها، حسبما يرتئي، فقد بقيت عبادة (آمون) فترةً من الزمن إلى أن وصل (أمنوفيس الرابع) إلى الحكم، فألغى عبادته والآلهة التقليدية، واستبدلها بعبادة قرص "الشمس" (آتون) الذي أصبح الإله الرسمي والوحيد للإمبراطورية[81].

جاءت عـبادة "آتـون" في فـترةٍ تاليـةٍ للإلـه "رع"، و"انتشرت عبـادة (آتـون) (Aton) في عهد الدولة الوسطى، إذ أعلنه الفرعون المصري أخناتون... الإله الوحـيد،

---

(78) العريبي: **الديانات الوضعية المنقرضة**، ص147.

(79) الماجدي: **الدين المصري**، ص73.

(80) **المرجع السابق**، ص75.

(81) ينظر: دلّو: **حضارة مصر والعراق**، ص179.

ومعنى لفظة (أخناتون) الذي يفرح بـ(آتـون). أما خليفـة (آتون) وهو (توت عنخ آمون)، فقد تحول من عبادة (آتون) إلى عبادة (آمون)"[82].

وهذه الأسماء المتعددة التي عرفَ بها إله "الشمس"، كانت تمر في تحولٍ واضحٍ، في تبادل اللغة لدى "المصريين"، خاصةً أنه كان يتم مبادلة اللغة مشافهةً.

تشير ترنيمة الإله "آتون" بدايةً إلى أنه يتصف بالجمال في لحظة شروقه، حيث القرص الأصفر الموزي اللون، وهي لحظة بداية الانفصال بين الشمس والأرض، عند الخروج من أفق المشرق، فتذكر الترنيمة:

"جميلٌ أنت عند الأفق حيث تلامس الأرض السماء
جميلٌ أنت يا آتون واهب الحياة وخالقها
عندما تُشْرقُ في الأفق الشرقي
تملأ الأرض كلها بهاء وجمالاً"[83].

وتُكرر الترنيمة جمال "أتون" القرص الدائري لحظة بزوغه، حيث بشروقه تبدأ الحياة من جديدٍ، فهو خالقها، يملأ الأرض بالنور الساطع والإشعاع المنير، فهو مسبغٌ رونق الجمال على الأرض كُلها، وذلك لعظمته، دون أن يترك شبراً منها بلا إضاءةٍ.

يغيب إله "الشمس" ليلاً في المساء، ويخَيم الظلام ليلف الأرض في صمتٍ مطبقٍ، لتتوقف الحياة مرةً ثانيةً بانقضاء ذلك اليوم، ليكمل "آتون" سيره في العالم السفلي خلف الأفق.

فقد ربط المصري بين العالم السفلي ومغيب "الشمس"، فما الحياة إلا نهر تمر وتبحر فيه سفينة الحياة، ويلتف حول "الشمس" ثعبان ليقيها شر الأعداء، فـ"عندما يترك الإله في الصباح العالم السفلي يغتسل في بحيرة (إيارو) ليزيل عن نفسه ذلك اللون القاتم الذي أضفاه عليه الليل، ويضع على جسمه ملابسه الحمراء، ثم يظهر في ذلك الجبل الخرافي المسمـى (بش) أو(باخو)

(82) العريبي: **الديانات الوضعية المنقرضة**، ص148.

(83) حتى: **موجز تاريخ الشرق الأدنى**، ص61، 62.

ويهب كل الكائنات الحياة والسرور"[84].

صنع "المصريون" قوارب للتنقل من مكانٍ لآخر، تسير على مياه "النيل" الذي لا يكل ولا ينضب؛ فربطوا بين جريان مياهه وحركة آلهتهم المتمثلة في "الشمس"، فالقوارب والمراكب أضحت أساساً في نقل كُل شيءٍ، وكان اعتقاد "المصريين" أن دار الدنيا تتشابه مع دار الآخرة، وأن "النيل" الأرضي هو صورةٌ مطابقةٌ لنيل السماء، والجنة بين جبلَين في مكانٍ منخفضٍ، يعبر منه نهر، لِتَمر منه سفينة الحياة.

وأبدع "المصريون" في خيالاتهم، حيث الصور الموحية والمعبرة، فكانت صورهم لا تبتعد عن الواقع كثيراً، فتَم الربط بين عبادة "الشمس" وبين صورتها المرتبطة بالحياة اليوميـة، وصوروا إله "الشمس" بعدة أشكال، " وقد تغيرت مظاهره الخارجية تبعا لهذا التحول، فتحول زورق الغاب المزدوج الذي كان يسبح فيه إله الشمس فيما قبل التاريخ إلى سفينة ملكية فاخرة، مثل سفينة فرعون الأرضية، وكان الاعتقاد أن إله الشمس يعبر بأبهته في هذه السفينة الشمسية الساطعة المحيطَ السماوي، كما كان فرعون يعبر النيل، وكانت له سفينتان واحدة في الصباح وأخرى للمساء، وقد ظهرت أساطير عدة تتحدث عن حكم إله الشمس على الأرض، غير أنه لم يبق منها إلا قطع صغيرة، فمنها الأسطورة التي تقص علينا ما أظهره نحوه بنو البشر بصفتهم رعاياه من نكران الجميل نحوه، حتى إنه اضطر إلى معاقبتهم، وكاد يفنيهم قبل أن يترك الأرض ويعتزل في السماء"[85].

يمتلك "رع" هذَين القاربين لحاجته إليهما في رحلتيه عند الصباح، وعند المساء، فـ"المصريون" يعتقدون "أن الشمس ملتهبة، لذلك كان من الصعب أن يفترضوا صعودها المباشر في السماء من التجمع المائي، فافترضوا أنها تقطع رحلتها فوق الماء داخل قارب أو قوارب ـ وبدقة أكثر ـ كانـوا يعتقدون أنها تعبر السماء في قاربيـن، قارب الصـباح

---

(84) عكاشة: **تاريخ الفن المصري**، ص186.

(85) بريستيد: **فجر الضمير**، ص46، وينظر: السويفي، مختار: **مراكب خوفو ـ حقائق لا أكاذيب ـ** الـدار المـصرية اللبنانية، ط1، 1989م، ص118.

(معتيت) (MATET) بمعنى (يصير قويا)، وقارب السماء (سيمكتيت) (SEMKTET) بمعنى (يصير ضعيفا)"[86].

فقارب الصباح تسير فيه "الشمس" بقوتها وأشعتها الملتهبة بانتظامٍ دقيقٍ، لِتُبدد الظلام والشر، وتُوزع أشعتها بالتساوي على جميع المعبودات، فتبدأ دورةً كُل يومٍ لتنتهي بعد ذلك في المغرب، أما في المساء، فيختفي "رع" في ظلمات الأفق، فتظلم الأرض، ويضيء العالم السفلي إقليم الجحيم الرابض في الأعماق، فيبدأ نورها يخبو رويداً رويداً، حتى يصير ضعيفاً إلى الزوال، ولتنتقل إلى العالم الآخر.

ويعيش الإله حياته في صراع بين قوتي: الخير، والشر، بظهوره في المشرق يكون قد وقف إلى جانب الخير، لكن الظلام والغيوم لا تدعه، فهي تقف بكامل قواها لتحجب نورها، وليستمر ساعاتٍ طوالٍ، ثم ما يلبث أن يظهر الإله مرةً ثانيةً، معلِناً انتصار النور على الظلام، ولابد من مساعدة هذا الإله بتعاويذ كهنته وطقوسها. هذا الصراع لطالما واجه الإنسان أيضاً قديماً وحديثاً، وهذه هي الحياة. إلا أن النصر والغلبة أخيراً لقوة الخير عند "المصريين"، ونستدل من هذه الطقوس والتعاويذ على ضعف الآلهة المصرية رغم ما أُسبِغَ عليها من ميزات.

فـ" لم يكن كبير الآلهـة (رع) يستطيع إنقـاذ قرصـه "الشمسي" من انقضاض التنـين (أبيب) عليه عند الشروق، إلا بوساطة طقوسٍ سحريةٍ معينةٍ، وتعاويذَ تُتْلى من قبل كهنة "طيبةَ" في أوقاتٍ معينـةٍ من الليل والنهار، من شأنـها إظهار الإلـه على خصمـه الأبدي"[87].

واستسلم "المصريون" للموت وما بعده؛ فشغلتهم الحياة الآخرة، وهيمنت على تفكيرهم وعقائدهم، وبنى مجتمعهم، وتنظيماتهم ونشاطهم، حتى إن حياتهم ـ كما يبدو ـ وكأنها أساس لحياةٍ أخرى هي ما بعد الموت، وقد تصور المصري المقبرة والتي تضيئها "الشمس" ليلاً على أنها مدخلٌ للعالم السفلي، كما نجد أن الهرم لم يكن مجرد مقبرةٍ تُحفَظُ فيها جثة المتوفّى، وإنما

(86) بدج: **آلهة المصريين**، ص368.

(87) ينظر: السواح، فراس: **دين الإنسان**، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا،(د.ت)، ص198.

كان بمثابة بيت الخلود، فبناؤه "جاء وليد العقيدة الشمسية القديمة، وكان بمثابة المعراج الذي يصعد به فرعون حيث يتحد مع أبيه السماء"[88].

وكان أيضاً من جهةٍ أخرى "باتجاهاته ومقاييسه أثرا شمسيا من الطراز الأول أو بمعنى آخر يعتبر ساعة شمسية كبرى، ولايمكن أن تكون هذه العلاقة القوية بين الهرم والشمس اليمانية محض مصادفة"[89].

ربط "المصريون" بين شروق "الشمس" وبين الجبال الشرقية لهم، فنظروا إلى أن إله "الشمس" يخرج من تلك الجبال، "وتذكر (نصوص الأهرام)[*] أن إله الشمس عندما ظهر على التل الأزلي، وقف على حجر هرمي الشكل، وهو الذي أصبح رمزا مقدسا لإله الشمس، والذي اتخذ منه فراعنة مصر الشكل الهرمي لمقابرهم في الدولتين القديمة والوسطى، واتخذت قمة المسلة[*] في الدولة الحديثة نفس الشكل الهرمي تمجيدا للإله (رع) "[90].

لم يهتم "المصريون" كثيراً ببناء المعابد ذات السقوف، إنما اهتموا ببناء المسلات والأعمدة المكشوفة، لتسطع أشعة "الشمس" مباشرةً داخل المعبد، هذا ما يؤكده بعض المؤرخين. يقول (روبرت فرجينو Robert Vergnieux):" فمنذ أن صار نور الشمس إله المصريين، لم يعودوا في حاجة لتماثيل داخل محاريب داخلية مظلمة، ولهذا بنوا معابدهم من دون أسقف، وأقاموا شعائرهم تحت الشمس مباشرة"[91].

---

(88) عكاشة: **تاريخ الفن المصري**، ص428.

(89) موسى: **أسرار الهرم الأكبر**، ص186.

(*) **نصوص الأهرام Pyramid Texts**: أقدم مجموعةٍ معروفةٍ من النصوص الدينية، منقوشةٌ علـى جـدران الغـرف الداخلية للأهرام الملكية لملوك الأسرتَين الخامسة والسادسة، ومنها نصوص بالغة القدم، تعود إلى عصر ما قبل التـاريخ. نقلاً عن: نونج، أريك هور: **وادي الملوك أفق الأبدية ـ العالم الآخر لدى قدماء المصريين** ـ ترجمة: محمـد العـزب موسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1996م، ص368.

(*) المسلة: هي أعمدةٌ مرتفعةٌ ذات نسقٍ هرمي بديعٍ، ونقوشٍ، وكتاباتٍ، تُمثلُ شعاع الشمس، وقد بناهـا ملـوك عـصر الأهرام. صعب، أديب: **الأديان الحية**، ص20.

(90) نور الدين: **تاريخ وحضارة مصر القديمة**، ص116.

(91) جور، ريك: **فراعنة الشمس**، ترجمة: حمدي أبو كيلة، مجلة الثقافة العالمية، العدد: 109،السنة: 2001م، ص35.

ارتبطت الديانة **اليونانية** بالسماء، كالديانات السابقة عليها، فتأمل اليوناني السماء، واستوحى من النجوم أشكالاً جعلها تقوم بدور الوساطة بين الآلهة و بين البشر، "فالكواكب عندهم هي الآلهة نفسها، ولهذه الآلهة من قصص الحب والانتقام والحسد والغيرة والمغامرات الغرامية ما يوجب إدخال النجوم في الحسابات... لكن الحضارة اليونانية لم تكد تترك مجموعة من المجوهرات النجومية الظاهرة إلا وأطلقت عليها اسما من أسماء الأبطال أو الضحايا أو الحيوانات التي دخلت تلك الأساطير، وأصبح معظم السماء المنظور في نصف الكرة الشمالي ذا مجموعة نجومية معروفة تحمل كلها أسماء الأبطال الأسطوريين"[92].

أضف إلى ذلك أن النصوص التي بين أيدينا تمتاز بقلة ما كُتِب عن ديانة "الشمس" عند "اليونانيين"، وسبب هذه النتيجة هو اليوناني عينه؛ فـ"صورة (هليوس) أو الشمس، لم ترق إلى مرتبة إله كريم للدولة إلا في جزيرة (رودس). فلا يوجد في اليونان شيء يضارع التدرج المعروف الذي كان لعبادة إله الشمس في أرض الجزيرة وفي مصر، ويبدو أنه كان من قوانين السيكلوجية الدينية عند الرجل اليوناني، أن في وسعه إكمال الفكرة الروحية والأخلاقية العليا للربوبية"[93].

زاوج اليونان بين "الشمس" و"القمر"؛ لاعتقادهم بتشابه الآلهة بالبشر، فكان طقس الزواج المقدس، ومراسيمه تُؤَدى بين الآلهة، ضمن طقسٍ اجتماعي عام، ومبعث مثل هذا الاعتقاد الفكري، أن كُل إلهٍ ذكرٍ بحاجةٍ إلى إلهةٍ أنثى، وكُل أنثى بحاجةٍ إلى ذكرٍ؛ كي تتكامل بينهما المسؤولية اللاهوتية، وتستمر الحياة."وفي أغنيةٍ من أغاني الزفاف في (الريجفادا) نجد سم (Sam) أي القمر وسوريا (Surya) أي شمس يمدحان كمثل أعلى للزواج... وفي الأسطورة اليونانية والرومانية نجد فكرة زواج القمر بالشمس، أو زواج الآلهة القمرية بالآلهة الشمسية،

(92) بدر، عبد الرحيم: **عن العرب والنجوم**، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا،العدد:7/ 1982م، ص14.

(93) هامرتن، السيرجون: **تاريخ العالم**، ترجمة: وزارة المعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، المجلد:2، ص 706.

تقوم بدور هام [مهم]، حتى أن سكان أثينا اتخذوا أيام اجتماع القمر بالشمس أياما للزفاف"[(94)].

جاء من تزاوج الآلهة بعضها ببعض الإله "أبولو"، فتذكر الأساطيراليونانية: "أن "أبولو" هو ابن (جوبيتير)، وجـاء بـه سفاحـا مـن (لاتـون) (Latone) ابنة عمه، وهو أخ توأم لأرتميس. وأقام له الإغريق في مختلف مدنهم ـ خاصة في دلف ـ معابد كثيرة كان يحج إليها اليونان وغيرهم؛ ليؤدوا مناسكهم، ويشهدوا منافـع لهم، ويسألوا الكهنـة عمـا يضمره الغـيب"[(95)].

حدا مثل هذا الاعتقاد اليونانيين أن يختاروا فترة إحياء المناسبات في فصلي: الصيف، والخريف، ولم يكن ذلك عفو الخاطر، بل كان بترتيبٍ وتعيينٍ مسبقَين، حيث تكون الآلهة في الربيع قد اكتست بحلةٍ جميلةٍ وبأبهى مناظر الطبيعة؛ أما في الصيف فتكون السماء الصافية جليةَ الوضوح؛ مما يسهلُ ظهور الآلهة اليونانية بأوضح صورها، فهي لامعةٌ كـ"الشمس" في وضوح النهار.

ويوجد تشابه بين "الشمس" و"أبولو" عند "اليونانيين"، فقد عد الاسمان وجهين لإلهٍ واحدٍ، وارتبطت "الشمس" عند "اليونانيين" بسلامة البشر؛ فالتعرض لأشعة "الشمس" مدةً طويلةً لا بد وأن يترك آثاراً على الإنسان، فهذه الأشعـة أساس كُـل تأثـيرٍ في الطبيعـة، و"يذكـر ذلك (بوزانياس) عندما ناقشه أحد أبنـاء صيدون في موضوع الآلهـة، مؤكـدا لـه أن (أبولو) ليس إلها، وإنما هو الشمس ذاتها التي تحرك الهواء النقي والصحي للإنسان"[(96)].

وأُسبغ على هذا الإله عدد من الصفات التي عرِفَ بها، فهو يصل كُل مكانٍ، فبإضاءته يستطلع، ويتنبأ كُل ما خَفِي عليه؛ لِذلك "كان (أبولو) إلها للنبوءة (Manteion). وهذه الصفة ترتبط بلقبه (فويبوس) الـذي يعنـي (المضيء) أو (المنير)، وربمـا أيضا بلقـب (الليكي)

---

(94) نيلسون، ديتلف وآخرون: **التاريخ العربي القديم**، ترجمة: فؤاد حسنين علي، مكتبة النهـضة المـصرية، القـاهرة، مصر، 1958م، ص202، 203.

(95) وافي: **الأدب اليوناني القديم**، دار المعارف، مصر، 1960م، ص19.

(96) الحوراني: **البنية الذهنية**، ص235.

بمعنى الضوء أو النور"[97].

وهذا دليلٌ واضح على ارتباط "أبولو" بـ"الشمس"؛ فاسمه نور وضوء ليس من الغريب أن تسمى به "الشمس"، وهي مصدر الإضاءة الأول في الكون. ولم يكن إله "الشمس" يقتصر عمله على ألوهيةٍ واحدةٍ بعينها، بل كانت ألوهيته واسعة الاتجاهات. هذا وعرفَ "أبولو" بعـدة أسماء، منـها:(فويبـوس)، و(لوكيـوس)، و(هيليـويس)، و(كونثيـوس)، و(ديليـوس)، و(سمينثيوس)، وهو رب "الشمس"، والتنبؤ، والشعر، والموسيقى، ورب الشفاء والطهارة، ومؤسس المدن والمستعمرات، وإله الشباب الفتي. وكان يجلس في عربته العسجدية التي تجرها الجياد المجنحة، تُرافِقُه الساعات الطوال[98].

رسم فلاسفة "اليونان" صوراً متعددة لـ"الشمس"؛ حيث نظر كُل منهم إليها من زاويةٍ مختلفةٍ أفضت بهم إلى إعطائها صورةً مشرقةً، "فيعتقد (هيرقليطس) أن الشمس تتجدد كل يوم، ويرى أفلاطون أن الشمـس صورة الخير تتمظهر في إطار الأشياء المرئية، أمـا أورفيه (Orphee) فيقول: (إن الشمس ذكاء العالم)"[99].

فـ"هيليوس الاسم اليوناني للشمس، تختلف شخصيتـه عن شخصيـة (أبولون) بطريقة غير واضحة، يحمل هيليوس النور إلى العالم، ويعبر السماء في هذا السبيل وهو يمتطي عربة مذهبة، وفي أثينا القديمة لعبت الشمس دورا ثانويا، وتفيد ميثولوجيا هيليوس أن عملية الخلق لها علاقة بالسحر وجهنم، وتضيف أن بوابة (هادس) Hades العالم اللامرئي تسمى بوابة الشمس"[100].

يتبين لنا أن الآلهة اليونانية قُسمتْ إلى قسمين اثنَين: آلهة كبار تحتل المكانة الأولى في

---

(97) علي، عبد اللطيف أحمـد: **التاريـخ اليونانـي ـ العصر الهلادي** ـ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1971م، ص311.

(98) ينظر: سلامة، أمين: **معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية**، دار الفكر العربي، مـصر،، ط1، 1955م، ص2.

(99) صدقة: **رموز وطقوس**، ص121.

(100)**المرجع السابق**، ص120، 121.

الديانة اليونانية، وأخرى صغيرة ثانوية، وهذا ظاهر من "أن إله الشمس (هليوس) لم يكن له فيها شأن كبير، ولذلك كان من الآلهة الصغرى"(101).

ولم تكن الظواهر الكونية جديدةً في ظهورها وتأثيرها على "اليونان"؛ فقد لاحظ "اليونانيون" بعض الظواهر ذات التأثير الواضح، ونسجت مخيلتهم تفسيراتٍ كثيرةً حولها، فقد ارتبط حدوثها بالآلهة. وبما أن الآلهة كالبشر عندهم، فما كان من هذه الظواهر جيداً نُسِب إلى سرور الإله وفرحه، وما كان منها سيئاً فقد رأوا في حدوثه تعبيراً عن غضب الآلهة، وينتهي بغضب الإله. فـ"كان الناس يعتقدون حتى قيام الفيلسوف(طاليس) أن الخسوف والكسوف، وسائر الأحداث الجوية مسببة عن غضب أحد الآلهة غضبا مؤقتا. أما طاليس فنادى على رؤوس الأشهاد أن حركات الأجرام السماوية هي بحسب نواميس طبيعية مقررة، وهكذا نفى الآلهة من دائرة التسلط على العالم الجوي"(102).

كان المجتمع **الروماني** مجتمعا زراعياً ورعوياً كغيره من المجتمعات، مثل هذه الحرف دفعته إلى عبادة آلهةٍ، تتعلق بمصدر عيشه؛ فهو يهتم بعبادة آلهة تهب الخير والْخِصب والنماء لِزراعته ومواشيه، كما خص الروماني إلهاً بعينـه. "وفـوق الآلهـة جميعـا عبدوا (جوبيتير)، الإله الذي يمنح المطر ونور الشمس، ويقرر مصائر الناس ويعطيهم علامات على ما سيأتي من أحداث، وسر تفوقه أن لديه من القوة الخارقة (Numen) مقـدارا يفوق ما للآلهـة الأخرى"(103).

يبدو من دراسة الحضارة الرومانية أن ديانة "الشمس" لم تكن منتشرة بشكلٍ واسعٍ في البلاد الرومانية، لكنها أصبحت "مهيمنةً في عهد أسرة سيفروس (Severus)، فكان إله "الشمس" يصور مع لحية سيفروس (Severus) المتميزة، واتخذ الإمبراطور لقب (الذي لا يقهر Invitus)، وكان هو اللقب الخاص بإله "الشمس"، وكان ذلك تطورا طبيعيا، فـ"الشمس" رمز

(101) ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، المجلد:2، الجزء:1، ص321.

(102) بريستد، جايمس هنري: **العصور القديمة**، ترجمة: داود قربان، الطبعـة الأمريكيـة، بيـروت، لبنـان، 1926م، ص234.

(103) صعب: **الأديان الحية**، ص23.

توحيدي رائع ونقطة تجميع للإمبراطورية بأسرها"[104].

وعرفَتِ الأسرة الحاكمة التي أسسها (سيفروس) بالأسرة السورية، وكان من بين أفراد الأسرة (باسيان) الفتى، صاحب المحاولة الجريئة الثانية في التاريخ، لنشر ديانة شمسيةٍ شموليةٍ، والذي طابق "الرومان" بينه وبين إلهه فدعوه (إيلاجابال). وكانت (جوليا دومنة) ابنة الكاهن الأعلى لمعبد "الشمس" في مدينة "حمص"، من الملوك الكهنة الذين حكموا المدينة قبل الفتح الروماني، وتسلموا ديانةً شمسيةً تُؤْمِن بإلهٍ أوحدٍ يدعى (إيلاجابال)، عبده أهل "حمص" منذ أن بدأت أخبار هذه المدينة تظهر في التاريخ مع نهايات الألف الأول قبل الميلاد. زوجت أخت (جوليا دومنة) الكبرى وتدعى (جوليا ميساء) ابنتيها (سهيمة) و(ممايا) إلى ضابطين سوريين، فأنجبت (سهيمة) (باسيان) الذي عين كاهناً أعلى لعبادة "الشمس" في "حمص"، وقد انتقل إليه المنصب بالوراثة، ولم يقبل (باسيان) بالمنصب إلا ليكون في وضع أفضل للتبشير بعقيدة "الشمس" الحمصية، وإلهها (إيلاجابال)، كان هم (إيلاجابال) يتجه بشكلٍ أساسي إلى نشر ديانة "الشمس" الحمصية وإحلالها ديناً عالمياً لزمانه. مع أن ديانة "الشمس" السورية لم تكن مجهزةً لأن تلعب دور ديانةٍ شموليةٍ، تلم أطراف الإمبراطورية الرومانية حول معتقدٍ ديني واحدٍ؛ وأسباب ذلك أفكار، وديانات، وفلسفاتٌ، تُنَازع قلوب وعقول شعوبٍ متَعلمةٍ تثق بالكتب وتتداولها، إضافةً إلى حركة إحياء التراث الروماني، التي قامت رداً على الأفكار الشرقية، التي كانت تضغط نحو مركز الإمبراطورية في "رومة"[105].

ورغم التأثر الشديد بين الحضارات القديمة واللاحقة لها، حصل تطور وتحولٌ للآلهة؛ فبعضها لم يبق على ما هو عليه، "فها هو بعل البقاع بعل هداد البعلبكي يصبح في العصر الروماني إلها شمسيا دون أن يفقد صفاته الأصلية كإله للخصب، وأبدل اسم مدينته من بعلبك إلى هليوبوليس (مدينة الشمس) ومثله بعل تدمر الذي أصبح بدوره إلها شمسيا... كما تغلب اسم بعلبك الأصلي، بعامل الزمن، على الاسـم الرومانـي المستحدث (هليوبوليس) واستمرت الآلهة

---

(104) بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة: د.إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د.عبد الغفار مكـاوي، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1996م، ص131، 132.

(105) ينظر: السواح: **دين الإنسان**، ص97 ـ 101.

السورية في غزو العالم الروماني"[106].

تعددت الآلهة في الديانة الرومانية، فظهر إلى جانب "جوبيتر" "بعل هـداد" الـذي يعـد "إلها للشمس، ويفسر اسمه أد أد ليعني واحدا واحدا، واسم هليوبوليس (مدينة الشمس) الذي أطلق على بعلبك يعكس رواج عبادة الشمس في الفترة الرومانية، لكنه لا يعني بالضرورة أن بعل هداد المحلي قد تساوى مع الشمس في العبادة"[107].

وأصبح " أدد" أحـد الآلهة العظام "وغالبا ما يرد ذكـر " شمس" و "أدد " مجتمعين كسيدي الرؤية، مقيمي الحكم والقضاء، إلهين ديانين، وكان يشترك معهما " مردوك " في حمل لقب الرب الديان. هذه العلاقة الوثيقة بين أدد ومفهوم القضاء والقدر تعبير آخر عن عظمة تأثير قوة الظواهر الطبيعية على حياة وفكر البشر"[108].

يظهر من الآلهة الرومانية أن "الشمس" لم تكن تفوق غيرها من الآلهة في الأهمية، فهي تُعادِلُ في كفة الميزان غيرها من المعبودات، وليس معنى ذلك أنها مهملةٌ، "فمع بدايات المسيحية، كان "بعل هداد" قد أصبح إلها للسماء "الشمس" و"القمر" من مواصفاتـه... فقامـت لذلك محاولة إدغامٍ بين الآلهـة، وبذلك تمت مساواة بعل (هـداد) مـع (زفـس ـ جوبيتر) وكلّل إلهاً لِـ"الشمس". وأصبحت بعلبك (مدينة بعل البقاع) "هليوبوليس" (مدينة الشمس) وأصبح "جوبيتر" (بعل) فيها "جوبيتر هليوبوليتانس""[109].

وكُل ممنوعٍ أو محظورٍ مرغوب، وما دام محظوراً فهو إذن قليل الوجود. لقد كان لموقع بلاد "الرومان" أثر مغَاير تجاه الكواكب؛ لما هِي عليه في بلاد العرب حيث "الشمس"، ففي بلاد "الرومان" تمتاز "الشمس" بقلة الظهور، فكان "الرومان" يقيمون الاحتفالات والأعياد لها، ووضعوا مواقيت لـذلك، وتَم اعتمـاد (الخامـس والعشرين) مـن كانـون الأول (ديسمبر)

(106) حداد، حسني وآخرون: **بعل هداد ـ دراسةٌ في التاريخ الديني السوري**، دار أمواج، بيـسان للنـشر والتوزيـع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص122ـ 123.

(107) **المرجع السابق**، ص38.

(108) حداد: **بعل هداد**، ص20ـ21.

(109) **المرجع السابق**، ص155، 156.

لاحتفال عيد الميلاد، وهو اليوم الذي تتوقف فيه "الشمس" عن الانحدار جنوباً، وتعود باتجاه الشمال إذ يبدأ طول النهار بالازدياد والليل بالانحسار ـ أي أن إله "الشمس" ينتصر على الظلام. إن هذا الاهتمام بانتصار "الشمس" يلاقي اهتماماً في "أوروبا" والأصقاع الشمالية، التي تُعاني من ظلام الشتاء أكثر مما هو في "سورية" وعامة الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط. والاحتفال "الروماني" الذي كان يدعى (Saturnalia) الذي عم أرجاء الإمبراطورية الرومانية ما هو إلا احتفالٌ بعودة "الشمس"[110].

تُعد بلاد الرافدين والجزيرة العربية و"مصر" مهد عبادة "الشمس" ومنطلقها، وذلك بسب بيئتها الطبيعية، فكانت تلك البلاد مصدراً يمد عبادة "الشمس" في غيرها من المناطق الأخرى، فـ"كان لـ(سول Sol) إله الشمس عبادة قديمة في (روما)، ولكن في عصر الإمبراطـور (أغسطس) حل (أبوللو) محله، وكان من الطبيعي مع تحرك الجاذبية للإمبراطورية الرومانية تجاه الشرق، أن تزداد عبادة الشمس قوة، ولقد كانت قوية بالفعل في الدعاية للإمبراطورية، فكان بيت (نيرون الذهبـي) مسكنا ملائما للشمـس المجسـدة، كمـا أضفـى (أنطونيوس Antonus) على الشمس احتراما خاصا"[111].

وتتشابه الأسطورة الرومانية بالأسطورة المصرية؛ فإله "الشمس" عند الرومان يعرف باسماء خاصةٍ به، ووفق أوقاتٍ معينةٍ، في الصباح، والمساء ومراتٍ أخرى وقت الظهيرة، كما هو الحال عند الإله المصري، والشيء نفسه نجده عند الرومان، فنجد "هيليوس" مرةً، وأخرى "أبولو"، فرب "الشمـس" "هيليوس" (Helios) "أضحـى يخلط بينه وبين (أبولو)، وكـان (هيليوس) إلها للشمس عند شروقها أكثر من (أبولو)، ثم تتحرك ـ الشمس ـ في فلكها وتغرب عندما يكون (أبولو) إلها للشمس عند غروبها، فكان (أبولو) يختص بالشمس عندما يغيب ضوؤها، ولا شأن له بها أثناء رحلتها اليومية عبر السموات... يشرق هيليوس كل صباح من (أوقيانوس) شرقا، ثم يقود عربته بجيادها الأربعة في طريقها خلال السموات ويغرب في المساء

(110) ينظر: **المرجع السابق**، ص165.

(111) بارندر: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ص131.

عند أوقيانوس غربا، كان له في كل من مكاني الشرق والغرب قصر فخم متين يستجم ويستريح فيه هو وخيوله"[112].

وصلت منزلة الإله (هيليوس) إلى مرحلةٍ شاملةٍ وعامةٍ، فشمل "الشمس" بكل "ما فيها من حياة وضياء وحرارة وشفاء، وهو علاوة على ذلك عين الدنيا التي لا يخفى عنها شيء، فصار بذلك مؤيدا للحق مشجعا له"[113].

لم تأت ديانة **اليهود** بشيءٍ جديدٍ من العبادة؛ فتعظيمهم وتقديسهم للآلهة كان كالشعوب السابقة، وفي الاتجاه نفسه، فكان التوجه نحو الشـرق أمـراً ضرورياً للصلاة لِـ"الشمـس"، مـن مكـان بزوغها، فَعبدوها وسجدوا لها، وقد نص على ذلك سفر حزقيال في الصحاح (8) عدد (16)، فيقول عن أحد أماكن الصلاة:" **عِنْد بابِ هيكل الرب بين الرواق والمذْبح، نَحو خَمسةٍ وعِشْرين رجلاً ظُهورهم نَحـو هيكل الرب، ووجوههم نَحـو الشرق، وهم ساجِدون للشمس نَحـو الشرق** "[114].

كان خيال "العبرانيين" يتسـم بالبساطة، فلـم يتوسعـوا كثيراً بأفكارهـم "الميثولوجية" "ويزكي هذا ما نجده في نظرتهم للإله، فهم ينظرون إليه قوةً مجردةً، لا تُحِيطُ به الظواهر، إذ هو يسمو عليها ولا تحده الأشكال لأنه لا صورة له"[115].

وبلغ من تعلقهم بإله "الشمس" أن سميتْ أسمـاء شخصياتٍ عبرانيةٍ بِـ"الشمـس"، منها الشخصيـة الشهيرة، شخصية "شمشون"، تصغير كلمة "شمس"، وهو اسم لشخصٍ يشَار إليه أحياناً بأنه آخر قضاة "العبرانيين"، وقد كان قاضياً من قبيلة "دان" مدة عشرين سنةً، قارع "الفلستيين" وأوقع بهم القتل، ووقع "شمشون" في غرام "دليلة" الفلستية، وعرفت "دليلة" أن سر قوة "شمشون" في شعره؛ لأنه كان نذير الرب، وهو في بطن أمه، فأتى "الفلستيون" عليه وهو نائم،

---

(112) سلامة: **معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية**، ص337.

(113) **المرجع السابق**، ص338.

(114) **الكتاب المقدس (العهد القديم)**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، مصر،(د.ت)، ص1185.

(115) عكاشة: **الإغريق بين الأسطورة والابداع**،دار المعارف، مصر،(د.ت)، ص347.

وجزوا شعره وأوثقوه بالسلاسل، وسملوا عينيه، فدفع "شمشون" العمودين، فسقط المعبد عليه وعلى من فيـه، فماتـوا جميعاً. يقـول بعض العلمـاء إن قصـة "شمشون" ما هي إلا أسطورةٌ خاصةٌ بِـ"الشمس"، "فشمشون" ما هو إلا الإله "شميش"، وشعره هو أشعة "الشمـس"، أما "دليلة" أي "الليل"، ذلك الوقت الذي تتوارى فيه "الشمس"(116).

وانتشرت عبادة "الشمس" في مناطقَ خاصةٍ بين "العبرانيين"، حتى عرِفَتِ المواقع التي عبِدتْ بأسمائها، فَـ"عبدت في مدن يهوذا، وقد اتخذت جملة مواضع لعبادة الشمس فيها عرفت بـ(بيت شمس ـ Beth Shemesh)"(117).

وسادت ديانة التثليث عند "العبرانيين"، كما كانت عند العرب القدماء، "فعند العبريين الثالوث (يهوه وبعل وعشترت).وقد كان هذا الثالوث يقدس في عصر الملوك من جميع أفراد الشعب، مع ملاحظة أن بعل أصبح كما هي العادة عند الساميين الشماليين (الشمس) مذكرا، وعشتر (الزهراء) مؤنثة. إلا أنه بالرغم من ذلك فإننا نجد الظاهرة العربية الأصلية القديمة أعني الشمس كإلهة أُم ومؤنثة... وكذلك في زواج يتم بين يهوه بالشمس.وفي جميع الحالات التي ترد فيها الشمس مؤنثة، أما (يهوه) رئيس الثالوث فيظهر في الهيئة العربية القديمة جدا كما يرجح ورود الاسم في النقوش اللحيانية"(118).

"ونفهم من العهد القديم أن الديانة العبرية القديمة قبل السبي كانت توصف بأنها ديانة قمر وشمس وكوكب، ويفخر أيوب بأنه لم يصل يوما ما سراً للشمس أو القمر"(119).

وعرفت الشمس بأسماء عدة منها "(ال حمون) EL_ Hamon و(بعل حمون) Ba، al Hamman في العبرانية، ويراد بها الشمس. وحمت (حمه) Hamma في العبرانية هي

---

(116) ينظر: الميسري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ص147، 148.

(117) علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، الجزء: 6/ 55.

(118) نيلسون: **التاريخ العربي القديم**، ص236، 237.

(119) **المرجع السابق**، ص238.

الشمس"[120].

([120]) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 /300.

المبحثُ الثاني

الشمس في الموروث العربي القَدِيم

بوحدة العبادة والدين تتكاتف الأمم والشعوب، ويصعب بث الخلاف بين الناس، فالعقيدة تعمل على عقد أبناء الديانة وربطهم تحت لواءٍ واحـدٍ، هذا ما قامت به **العقيـدة اليمنيـة**؛ فقد "لعبت العقيدة الدينية دورا هاما في توطيد وحدة (شعوب) الممالك اليمنية القديمة، ففكرة الدولة كان يعبر عنها بالثالوث (الإله والحاكم والشعب)"(121).

ورأى الباحثون أن عبادة النجوم انتشرت بين العرب جميعاً، وكـان الإنسان في "اليمن" ـ كغيره من الشعوب ـ يلتحف السماء ويفترش الأرض، ويفكر في هذه الكواكب السيارة، كُل حسب قوة تأثيره في حياته، مما جعل " لعبادة النجوم في ديانة عرب الجنوب مكانةعظيمة، غير أن هذه المكانة لم تكن مختصة بحمير وسبأ، فقد ذهب بعضهم إلى أن ديانة العرب عموما أو حتى ديانة السبأيين بكاملها إنما كانت مرتكزة على عبادة الأجرام السماوية"(122).

ولم يكن العرب "اليمنيون" يعبدون هذه الكواكب من باب الصدفة، بل "إن معظم الآثار المكتوبة التي عرفت حتى الآن من الحضارة العربية في اليمن تدل على أن العرب قد أخذوا يعبدون بعض الكواكب، وهذه نقلوها في الأرجح عن حضارة ما بين النهرين والفرس"(123).

ولا تزال الكشوف الأثرية المستمرة لعلماء الآثار، تُقَدم المعلومات المهمة والمفيدة، في معرفة خفايا حضارات العرب وعبادتهم، في بلادهم الجنوبية وبشكلٍ خاص في "اليمن"، كان ما اكتشفه الدكتور "يوسف محمد عبد ا " اكتشافاً مهماً، جلا بعض الحقائق العلمية حول عبادة أهل "اليمن" لِـ"الشمس"، وأظهر مكانة هذه الإلهة عندهم، وما كانت تحظى به من تقديسٍ وحسن عبادةٍ؛ فهي ترنيمةٌ بأكملها في مدح "الشمس" والشكر لها، ذُكِرتْ فيها بميزاتٍ عِدةٍ؛ أهلتها

---

(121) **الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، الجمهورية اليمنية،تنفيذ: دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ط1، 1992م، ص459.

(122) الحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص86، 87.

(123) بدر: **عن العرب والنجوم**، ص15.

لتستحق التقدير والتمييز.

يتبين لنا من دراسة ترنيمة الشمس العلائق بين الإنسان اليمني والإلهة "الشمس"، وتُظْهِر أن الإنسان خُلِقَ ضعيفاً يلجأ إلى من هو أقوى منه؛ لِمساعدته في رسمِ حياته والتغلب على مصاعبها ومشقاتها، قديماً وحديثاً، ومما جاء بهذا الصدد، في نَص ترنيمة الشمس:

"نَستَجِير بِكِ يا خَير فكُل ما يحدثُ هو مما صنَعتِ
بموسِمِ صيدِ خِنْوان مائةَ أُضحِيةٍ سفَحتِ"[124].

يبدأ نَص الترنيمة بجملة "**نَستَجِير بِكِ يا خَير**"، مبيناً شدة العلاقة والارتباط بـ"الشمس"، فيطلب العون منها، إنها المجيرة، والمنقذة، والمعيذة، وفي العربية: "أجاره ا ُ مِن الْعذَابِ: أَنْقَذَه"[125].

وعندما قال: "**صنَعتِ**"، هذه دلالةٌ واضحة على إثبات حقيقة أنوثة "الشمس" عند "اليمنيين"؛ فهي التي ترسم طريق الحياة، إنها صانعةٌ وخالقةٌ، هذا كُله بفضلها، ومِن عملها، كما وصِفَتْ بأنها "**خَيرٌ**"؛ فهي إلهة الخير والعون، بها يحل الخير في البلاد، إنها تختار خيار الأمور وأفضلها.

ويشِير النص إلى ظاهـرة تقديم الأضاحـي والقرابين، تقربـاً من الإلهـة "الشمس" في موسِمٍ حدده "اليمانيون"، واحتل ""الصيد المقدس " مكانا هاما ضمن إطار الممارسات الدينية للفئات الحاكمة... ومن ضمن الآلهـة التي كان لها (موسم صيد) الإلهـة (شمس)، وتقدم لنا ترنيمة الشمس التي عثر عليها في منطقة " قانية " صورة روحية شفافة تعكس الجو الديني الذي يجري فيه موسم الصيد للإلهة (شمس)، ويبدو أن الوعل كان الحيوان المقدس للإلـه (عثتر)، وأن أحـد الأغراض الهامـة [الْمهمةِ] التـي مـن أجلهـا يمارس (الصيد المقدس) هو

---

(124) عبد ا ، يوسف محمد: **ترنيمة الشمس**، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط1، 1989م، ص22،(صـيد خنوان: كان الناس قديما يتخذون للصيد مكانا معلوما، وزمانا محددا، يخرجون فيه ليصطادوا، وفي طقوس محددة، وكأنه نوع من العبادة، وإذا انحبس المطر عليهم يصطادون، استسقاء).

(125) **ابن منظور: لسان العرب**، مادة (جور).

التقرب للإله، أو الإلهة لضمان موسم مطير"[126].

و"الأضحية كما يقول ابن الأعرابي: الضحية الشاة التي تُذْبح ضحوةً مثل غديـةٍ وعشيةٍ"[127].

أما الأضحية والقربان، فهي: "قربة إلى القدسي (ا وسواه)، والتضحية هي وضع القدسي على محك اختبار ديني، تندرج في التراث الاجتماعي الثقافي الديني لكل جماعة، وتجري التضحية بكيفية احتفالية ومأساوية"[128].

وتذكر ترنيمة الشمس قائلةً:

"ورأْس قَبيلةِ ذِي قَسدٍ رفَعتِ

وصدر علْهان ذِي يحِير شَرحتِ

والفُقَراء فِي المآدبِ خُبزاً أَطْعمتِ

والعين مِن أَعلى الْوادِي أَجريتِ"[129].

ويكتمل كُل ما في الطبيعة من نقصٍ بعبادة الإلهة؛ فيعم الخير، وينعم الفقراء بِالخبز والطعام، وكُل الناس فقراء لِلإلهة، وكانت المعابد تُقَام في الأماكن المرتفعة، والمعبد مقر الإله، فَبعينه يراقِب كُل ما يجري في الأماكن الأخرى: كالسهول، والأودية، فَلا بد من التقرب من الإله واستجارته؛ لِينصر المظلومين والمقهورين، ولِيزيلَ عنهم الظلم، ولا يتم ذلك إلا بالتقرب من الآلهة، وبالإكثار من تقديم القرابين والأضاحي.

وتذكر الترنيمة قَائِلَةً:

---

(126) **الموسوعة اليمنية**، ص462.

(127) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ضحا).

(128) خليل، خليل أحمد: **معجم المصطلحات الدينية**، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص53.

(129) عبد ا : **ترنيمة الشمس**، ص22،(ذو قسد: في الأنساب بطن من حمير، علهان: اسم علم في النقوش اليمنية، ذو يحير: ينْمى إلى قبيلة يحير، ويحير اسم أرض في اليمن).

"**وفي الحربِ والشدةِ قويتِ**

ومن يحكُم بالباطِل محقْتِ"[130].

ويتضح من هذَين السطرين دور الإله أكثر وأكثر، وتظهر دلالةٌ مهمةٌ وهي السيطرة المطلقة؛ فهو حاكِم عادِلٌ، يظهر وقت الشدة والحرب؛ لِحل الخلاف بين المتنازعين، فله حضور زماني ومكاني، كما أنه يقتص من أصحاب الباطل، ويلْحِقُ بهم شَر هزيمةٍ.

أشاد "اليمانيون" بعطاء الإلهة وخصوبة الحياة، فلم يظهر من خلال الترنيمة أي نقصٍ عانى منه الإنسان من الآلهة، وهذا ظاهر في الترنيمة بكاملها، فتذكر قائلةً:

"**وغَدِير (تفِيض) لما نَقَص زيدتِ**

ولبان (إلعز) دائِماً ما بيضتِ

وسِحر اللاتِ إن اشْتَد ظَلامه بلَجتِ

ومن يجأَر ذَاكِراً نِعمكِ رزقْتِ

والكَرم صار خَمراً لما أَن سطَعتِ

وللإبِل المراعِي الوافِرةَ وسعتِ"[131].

اتصفت إلهة "الشمس" بصفاتٍ عديدةٍ، لقد أنزلت الأمطار، وسطعت أشعتها؛ فنبتت الزهور، والأعشاب، لِتكسو وجه الأرض، فاكتمل جمال الطبيعـة. ويظهر مـن عبارة (**سِحر اللاتِ**) أنها "الشمس" بعينها، وقد أدت دورها عندما اشتدت الظلمة، فانبلج ضوؤُها.

ويبرز دور الإلهة "الشمس" في وضع القوانين، وسن التشريعات، لتكون هذه نقطة تقاطعٍ واتحادٍ مع الحضارات السابقة لها، كالبابلية والسومرية مثلاً، فَـ"الشمس" في كلتيهما، هِي المسيطرة على البشر، وصاحبة الكلمة الأولى، فقَد أزالت كُل التشريعات الزائفة والخاطئة، وأبقت أصوب التشريعات وأصحها، فتذكر الترنيمة:

"**والشرع القَويم صحِيحاً أَبقَيتِ**".

(130)عبد ا : **ترنيمة الشمس**، ص23.

(131) **المرجع السابق**، ص23.

الليل ظلام دامِس يخْفِي الأعمال الشريرة، ويسهل على الغادر التنقل فيه بسهولةٍ، لكن من يحد من هذه الأعمال هو الإله القوي، مرسِلُ الأشعة؛ لِتكشف هؤلاء، فَالأشعة كالجنود المدافعين عن الشعوب، تَفْضح وتُظْهِر من يختبئ في الظلام. فَـ"الشمس" مجليةٌ وموضحةٌ، وصاحبة إظهار الحقائق، وهي مهلكة الأعداء، معيدة الحقوق لأهلها وطالبيها، حتى يرضى من تعثر حظه بنصيبه، وما كتبت الإلهة من أحكام فلا معارض لها، فهذه هي إرادتها، كلّ ذلك يتم ببزوغها من المشرق صباحاً، فتذكر الترنيمة:

"والليالِي الغُدر بِالإصباح جليتِ
وكُل من يطْلُب الحظ مالاً كسبتِ
وكُل من اعتَدى علينَا أَهلكْتِ
ورضِي من تَعثر حظه بِما قَسمتِ"[132].

ولا بد من شكرٍ وثناءٍ للإله، على هذه الأفعال، وعلى ما منحته من خيراتٍ ونعم لعبادها؛ لأنها مقَدرةُ الأرزاق والنعم، إنها لا تخل بمواعيدها، موفيةٌ بوعودها التي قطعتها على نفسها؛ لأن من صفات الإله الوفاء بالعهد، وإصلاح أحوال الناس، وهذا ما قامت به هذه الإلهة، فَأصلحت، وغيرت أحوال الناس، وهذا ما جاءت به الترنيمة:

"الْحمد يا خَير على نَعمائِكِ الَتِي قَدرتِ
وعدكِ الَذِي وعدتِ بِهِ أَصلحتِ".

وتتجلى "الشمس" في نهاية الترنيمة بِأوضح صورها، ويذْكَر اسمها مباشرةً؛ فَهي معينةٌ ومساعدةٌ على مصاعب الحياة، بِإنزالها لِلأمطار، وهذا يتطلب عبادةً وتضرعا لِلإلهة، إشارةً إلى تذلل البشر لها، فَقد انتهت الترنيمة بما يأتي:

"أَعنْتِنَا يا شَمس إن أَنْتِ أَمطَرتِ
نَتَضرع إِليكِ فَحتى بِالناس ضحيتِ".

ومن هنَا نجد التركيز على الماء وأهميته؛ حيث ذُكِرتْ في الترنيمة عيون الماء الجارية من أعالي الوديان، وجريان الغدران التي تفيض؛ وذلك لأن المجتَمع اليمِني كان مجتمعاً يميل

---

(132) عبد ا : **ترنيمة الشمس**، ص24.

إلى الرعي، بدليل ما ورد في الترنيمة من قول:

"**وللإبل المراعِي الوافِرة وسعتِ**".

هذه الإلهة لم تكن كغيرها من الآلهة، بل امتازت بصفاتٍ متَميزةٍ، تظهر قدرتها في السلم والحرب، وتقف إلى جانب البشر في الشدائد والمِحن؛ لِذَلِك تستحق العبادة.

لم يوصفْ إله "الشمس" بوصفٍ واحدٍ فقط؛ فَقَد "زعموا أن الشمس ملك من الملائكة، لها نفس وفعل وهي أصل نور القمر والكواكب، وأن الموجودات كلها منها"(133).

وكان أهل "اليمن" على قدرٍ من المعرفة بالنجوم، رغم عدم توفر الأجهزة العلمية، وعرفوا بعض الحقائق العلمية، التي أُثْبِتَتْ فيما بعد، فالشمس هِي التي تمد الأجرام الأخرى بالنور.

وتُسمى "الشمس" في البلاد العربية بِأسماء عِدةٍ، فهي " (نكرح) في النصوص المعينية، و(ذت حمم) (ذات حمم) (ذات حميم) في النصوص السبئيـة، كما قيل لها (ذت بعدن)، و(ذت غضرن)، و(ذت برن)، و(ذت ظهرن) في هـذه النصوص كذلك. وقيل لها (ذت صنم)، و(ذت صهرن)، و(ذت رحبن) في النصوص القتبانية، ومن الممكن التعرف على بعض هذه الأسماء التي أريد بها الشمس، فـ(ذت حمم) بمعنى (ذات حمم) و(ذات حميم)، وقد وردت لفظة (حميم) و(يحموم) في القرآن الكريم، والحميم الحار الشديد الحرارة"(134).

هذه الأسماء الجنوبية ذات دلالةٍ واضحةٍ، تتصف بها "الشمس" بالحاميـة، أو الحارة ذات الحرارة الشديدة، والساخنة المتقدة، أو الحرارة القوية لِـ"الشمس"، أو الحرارة.

سادت عبادة النجوم حضارة السبأيين، ففي حديث "سليمان" والهدهد دلالةٌ واضحة على عبادة أهل "سبأ" لِـ"الشمس، يقول تعالى: ﴿ **وجِئْتُك من سبأٍ بِنَبأٍ يقِينٍ * إني وجدتُ امرأةً**

---

(133) البلتاجي، محمد الأنوار أحمد: **من وصايا القرآن الكريم**، دار التراث العربـي للطباعـة، ط2، 1985م، ص173، 174.

(134) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 / 168.

تَملِكُهم وأُوتِيتْ مِن كُل شَيءٍ ولها عرشٌ عظِيـمٌ * وجدتُهـا وقَومـها يسجدون لِلشمس مِن دون ا ـ ﴾[135].

فقد روي في تفسير هذه الآية: أَن الهدهد وصل، فألفى دون هذه الملكة حجب جدران، فعمد إلى كُوةٍ كانت "بلقيس" صنعتها؛ لتدخل منها "الشمس" عند طلوعها، لمعنى عبادتها إليها، فدخل منها ورمى الكتاب إلى "بلقيس"، وهِي ـ فيما يروى ـ نائمةٌ، فلما انتبهت وجدته، فراعها وظنت أنه قد دخل عليها أحد، ثُم قامت فوجدت حالها كما عهدت، فنظرت إلى الكُوة تَهمماً بأمر "الشمس"، فرأت الهدهد فعلمت. قال "وهب بن زيدٍ": كانت لها كُوةٌ مستقبلةٌ مطلع "الشمس"، فَإِذَا طلعت سجدت، فسدها الهدهد بجناحيه، فارتفعت "الشمس" ولم تعلم، فلما استبطأت "الشمس" قامت تنظر، فَرمى الصحيفة إليها، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت، لأن ملك "سليمان" ـ ﷺ ـ كان في خاتمه، فقرأته، فجمعت الملأ من فوقها، فخاطبتهم في الأمر[136].

ولم تختلف ديانة "سبأ" عن ديانات سابقيهم، وفي مبدأها عن الديانات القديمة؛ فَهي ذات ثالوثٍ كوكبي "كان الإله الأب هو القمر، وكانت الإلهة الأم هي الشمس، أما الإله الابن فقد كان نجم الزهراء، وهذا الثالوث هو الموقاه، و(ذات حميم) وأحيانا (ذات بعـدان) ـ حسب الصيف أو الشتاء ـ وعشتر"[137].

عرف **العرب الجاهليون** كغيرهم من الشعوب السامية وغيرها عبادة "الشمس" قبل الميلاد، ويصعب على دارس هذه الديانة تحديد وقت عبادتها تحديداً دقيقاً، إِن لم يكن مستحيلاً؛ لعدم وجود الأدلة والبراهين التي تُثْبِتُ ذلك.

ودفعت تصوراتٌ كثيرةٌ وتخيلاتٌ "ميثولوجيةٌ" **العربي** في البادية، إلى الإيمان بوجود قوى خفيةٍ، روحيةٍ كامنةٍ مؤَثرةٍ في العالم الإنساني، فربط بينه وبين هذه الظواهر المحيطة به؛ مِما دفعه إلى صبغها بِهالةٍ قدسيةٍ، ورأى العربي "أن العبادة الأولى والفطرة الأولى تتجه إلى

---

(135) **سورة النمل:** الآيات 22 ـ 24.

(136) ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985م، 13 / 190.

(137) فخري، أحمد: **دراساتٌ في تاريخ الشرق القديم**،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1963م، ص129.

التوحيد، إلا أن عوامل كثيرة أخرى على مدى الزمن الطويل، تصيب العبادات والعقائد شيئا فشيئا بكثير من التحريف والتبديل، حتى يصير الواحد اثنين، والاثنان ثالوثاً، ومن الثالوث التعدد إلى مالا نهايـة"[138].

ولم يكن ينظر إلى جميع هذه الظواهر الطبيعية بنفس القيمة، فقد كان التفاوت ينتاب بعضها بعضا، كُل حسب تأثيره في مخيلته، "ونظراً لأن "الشمس" هي مصدر الحياة، والنماء، والدفء، ولأنها رمز الخصوبة أيضاً، والحياة، والتجدد، فقد عبدتها جميع الشعوب في منطقة الهلال الخصيب"[139].

تأثر العربي بعبادات "الشمس" عند الأسبقين، فنسج القصص حولها، وكانت "الشمس" إحدى أركان عبادة الثالوث الفلكي لدى العرب الأقدمين، التي تشمل "القمر" و"الزهرة" إضافة إلى "الشمس"، ولم يكتف العرب بعبادة "الشمس" و"القمر"، وإنما عرفوا كثيراً من النجوم والكواكب، فخروا لها ركعاً سجداً، فعبدوها وأكرموا بعضها، وأصبحت تتفشى بينهم عادة التخصص في العبادة بين القبائل. "فطائفة من العرب عبدت الكواكب والنجوم، كالشمس والقمر والزهرة ونضيف إلى مثل هذه الكواكب الثلاثة كواكب أخرى كالدبران والعيوق، والثريا والشعري والمرزم وعطارد وسهيل، فكنانة كانت تعبد القمر والدبران، وجرهم كانت تسجد للمشتري، وطيء عبدت الثريا والمرزم وسهيل، وبعض قبائل ربيعة عبدت المرزم، وطائفة من تميم عبدت الدبران، وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدت الشعرى العبور"[140].

وعرفَتِ "الشمس" و"القمر" بِالنيرين الكبيرين؛ لِوضوحهما في السماء، أما الكواكب الخمسة الأخرى الأقلّ تأثيراً، وهِي: "عطارد"، و"الزهرة"، و"المريخ" و"المشتري"، و"زحل"، فَأطلقوا عليها اسم "(الخُنس الكُنس). والاسم (خُنس) يعود لكونهم لاحظوها تسير في البروج

---

(138) أجواد، هتون: **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**،الرياض، السعودية،1993م، ص214.

(139) السهلي، محمد توفيق، والباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص27.

(140) سالم، د. السيد عبد العزيز: **دراسـاتٌ في تاريـخ العرب قبل الإسـلام**، مؤسسة شباب الجامعـة، الإسـكندرية، مصر، (د. ت)، 1/ 426.

والمنازل الفلكية سير النيرين الكبيرين، لكنها ترجع، وترجع وهـي (تَخنِـس). أمـا (كُنس)، فتعود لكونها تستتر كما تستتر الظباء في كِناسِها، وتَستر الظباء هو (كنسها)"[141].

وما يؤَكد أهمية وقدسية هذه المجموعة الكوكبية في ديانات العرب، اعتياد القرآن الكريم القسم بمعبودات عرب قبل الإسلام وتمجيدها مباشرةً؛ ليتحداهم من منطلق عبادتهم، في حديثه عن عبادةٍ جديدةٍ، قال تعالى: "**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ**"[142].

وبلغت النجوم مرتبةً عاليةً من القداسة، وتعلق "الجاهليون" بهذه النجـوم، فَـ"كانوا ينسبون إليها أفعالاً حادثة عنها، فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، كما كانوا يقرون بأثرها في الزرع والإنسان، وهي أمور أبطلها الإسلام، ودعا إلى التبرؤ منها بوصفها من أمور الوثنية"[143]، كما جاء في حديث الرسول ـ ﷺ ـ قال: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن، الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب، والاستسقاء بِالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب"[144].

يتبين لنا مِن هذه المعبودات أَن الإنسان العربي القديم كان ينظر إلى السماء، حيث يجِيلُ الناظر بصره ليتفكر في هذا الكون وخلقه، باحثاً عن خالقٍ ومؤَسسٍ له؛ فكانت الكواكب أكثر مظاهر الطبيعة قرباً إلى ذهنه. ولطبيعة الحياة أثر بالغٌ في طرق العبادة وطقوسها؛ فالبيئة التي يعمل سكانها بِالزراعة، يقَدسون ما يتصل بالإعانة على زراعتهم، كالشمس، والمطر، أو النهر والحيوان، والبيئة التي ينتشر أهلها بين الجبال والصحاري، يقَدسون ما يعِينُهم على حل مشاكلهم. كذلك الناحية السياسية أيضاً تُغَير في مجرى العبادة، فَالملك قد يكون كاهناً فيصرف عبادة قبيلته حسبما يرى، ووفق مزاجه، فتكون الناحية النفسية قد أثرت في ذلك. وما يؤَكد هذا

(141) القمني، سيد: **الأسطورة والتراث**، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1992م، ص64.

(142) **سورة التكوير**: الآيتان 15، 16.

(143) عبدالرحمن، إبراهيم: **الشعر الجاهلي ـ قضاياه الفنية والموضوعية**، دار النهـضة العربيـة، بيـروت، لبنـان، 1980م، ص45.

(144) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعـة دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د.ت)، 2/ 644.وينظر: **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حـاتم التميمـي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:2، 1993م، 7/ 412.

القول أن العرب قد تصوروا آلهتهم، وأشكالها، وعملها، حسب رغباتهم.

"يرجح المستشرقون التباين الظاهر بين عبادة الساميين الجنوبيين وعبادة الساميين الشماليين، وتقدم القمر على الشمس عند العرب الجنوبيين إلى الاختلاف في طبيعة الأقاليم وإلى التباين في الثقافة"[145].

عد "القمر" المعبود الرئيس في جنوب الجزيرة العربية، مع اختلافٍ في تسميته وتطورٍ في عبادته، ثُم تأتي بعده "الشمس"، ثُم "الزهرة"، فكان "القمر" مذكراً و"الشمس" مؤنثةً، والأول بمثابة الزوج للثانية، و"الزهرة" ابن لهما. كما ترتبط عبادة "الشمس" بحياة الزراعة، أساس نمو نباتاتهم وخصوبتها، ومرحلة الزراعة تاليةٌ للرعي؛ فبذلك تكون "الشمس"، والتعلق بها مرحلة أكثر تطورا من القمر وعبادته. فالقمر محور حياة البدوي واعتقاداته الدينية، وعبادته لاحقةٌ بحياة الرعي، والصحراء تُضيقُ عليه وعلى حيوانه ونباته.

" يرى بعض المؤرخين أن ديانات جميع الساميين الغربيين والعرب الجنوبيين تتصل بعبادة القمر، فهو مقدم عندهم على الشمس، لا كما هي الحال في عبادة البابليين، فهو الإله الرئيسي الذي ينفرد بالكثرة المطلقة من الأسماء والألقاب، الذي يسيطر على الحياة السياسية والدينية، ويبدو أن السبب في ذلك راجع إلى تلك العوامل الجغرافية والمناخية، فالشمس محرقة، أما القمر فهو دليل الركب ورسول القوافل. فكان القمر هو الأب السماوي، أما الشمس فقد اتخذت منزلة الأم العظمى"[146].

وأدت عبادة "القمر" عند العرب الجنوبيين تأثيراً مهماً في حياتهم، وسيطرت على كثيرٍ منها، فسيطرت على تصرفاتهم، ومواعيدهم، ومرور أيامهم، ولم تكن "الشمس" لِتُتبع في تواريخهم بل أصبح التأريخ قمرياً. "والتقويم القمري المعقد يتطلب دقةً في الحساب، لا يتطلبها التقويم المصري المعتمد على "الشمس"، وهذا التقويم لا يحتاج إلى تصحيحٍ مستمر، ويكتفي فيه

---

(145) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6/ 52.

(146) المطلبي، عبد الجبار: **قصة ثور الوحش وتفسير وجودها في القصيدة الجاهليـة**، العـدد:12، الـسنة: 1969م، ص231، 232.

بتحديد العلاقة بين النور والظلام، فلا يخضع إلا لعملية تتابع الفصول، ... فقد ظهر أنه [أي القمر] أقدر من "الشمس" على تقسيم دورة الأرض إلى اثنتي عشرة ساعةً، وأنه أكفأ في قياس الزمن، ومن ثم هو لا يزال في وسعه أن يهيء مقياساً ثابتاً لتنظيم الشؤون المختلفة"[147].

ويرتبط هذا التقويم بالذكورة والرجولة في الجنوب أيضاً، فـ"القمر" ذكر وأب في الجنوب، والأب أقوى طاقةً على تحمل العبء والمسؤولية، وهو مسؤول عن كُل شيءٍ في الوسط الاجتماعي العربي. و"الشمس" أنثى ضعيفةٌ، فكيف للأنثى أن تُتبع وتتصرف بأوقاتهم ؟

أَضِفْ إلى ذلك أَن العرب تأثروا بـ"كلدة" وبلاد "آشور"، حيث كان لديهم تقديم الليالي على الأيام، والليالي ترتبط بـ"القمر"، على العكس من الأيام المرتبطة بـ"الشمس"، فالشهور مبنيةٌ على مسيرة "القمر"، ومقيدةٌ بحركاته، وهذا يتفق ونظرة "الكلدانيين"[148].

أَما "الشمس" الأُم الكبرى فعبادتها قديمةٌ، واسمها جعل منها محط أنظار الناس؛ فهي تجذب إليها غيرها من الآلهة. "وفي أخبار الجاهليين وأشعارهم ما يؤكد عبادتهم لها، وهي عبادة تعود فيما ترجح هذه الأخبار إلى مرحلة بعينها من تاريخهم، كانوا يستقرون فيها بالأراضي الخصبة المنتشرة في أطراف الجزيرة ووسطها، حيث يكثر سقوط المطر، وتوجد الواحات التي يؤمها البدو انتجاعا للماء والكلأ أو وفاء بالنذور الدينية. وقد عرفت الشمس بين عبادها في هـذه الأماكن باسـم الإله (بعل) أي إلـه الأرض الخصبة، كمـا عرفت باسـم (ذو الشرى) بمعنى الإله المنير، وهما - أي (بعل وذو الشرى) صنمان مشهوران عند الجاهليين"[149].

وأخذ الإله "ذو الشرى" قسطاً من القداسة عند "الجاهليين"، مع جملة الأصنام الأخرى؛ يقول "برندن" في تاريخ "ثمود": "هي في الأصل شرى، وهي مرتفع جبلي في جنوب البتراء، وهي إله النبطيين، وقد اتخذه الصفويون أيضا إله السماء، ونعلم أن صنم شرى موجود في

---

(147) زكي: **الأساطير دراسةٌ حضاريةٌ مقارنةٌ**، ص104.

(148) ينظر: سالم: **دراساتٌ في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 1 / 411.

(149) عبد الرحمن، إبراهيم: **التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي**، مجلة فـصول،العدد:1المجلـد: 3، الـسنة: 1981م، ص129.

البتراء على شكل حجر مربع أسود، تذبح عليه الضحايا، ولهذا مذبح آخر في دومة الجندل، أما الصفويون فقد مثلوه على شكل رجل له لحية طويلة وعلى رأسه قبعة"[150].

وموضع هذا الصنم في مكانٍ يمتاز بالارتفاع كارتباطه بالجبل مثلاً، المكان الذي ظَن كثير بخروج "الشمس" من ورائه، لكن مثل هذه الأصنام ومواقعها تبقى تتعدد الروايات حولها، فيقول بعضهم عن الإله "ذي الشرى": "هو صنم لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد، وقد ورد في خبر لياقوت الحموي أن مكان الشرى هو موضع عند مكة"[151].

ويؤَكد بعض الباحثين أن الإله "ذا الشرى" هو "الشمس" عينها، في حديثهم عن عبادة الأنباط لها، يقول "شيخو": "كان النبطيون يعبدون الشمس عبادة خاصة، وكان لهم في عاصمتهم (سلع Petra) معبد كبير لإكرامها، وكانوا يدعونها باسم آخر وهو(ذو الشرى) أي (الإله المنير). وقـد ورد اسمه مرارا في كتابات عيون موسـى، ومدائن صالـح وطـور سينا"[152].

وعرفت "الشمس" عند العرب "بأورتال"، فَـ"جاء عند هيرودتس أن العرب كانوا يعبدون أورتال، وهي لفظة مركبة في اللغات الآرامية من كلمتي (نور) و(علا) أي النور المتعالي، وأرادوا به الشمس"[153]. فَقَد أطلقوا الجزء وهو النور أو الشعاع، وأرادوا به الإله ككُل، فَأصبحوا يعبرون عن الإله مرةً بِالشعاع، وأخرى بارتفاع المكانة وعلُوها.

"أما الإله (بعل) الذي عرف في المناطق الزراعية التي تحتاج إلى مطر أكثر أيام السنـة، ومنـها الأرض البعل، وهـي العالية التي لاتصل إليها المياه الجارية، فالشمـس هي

---

(150) حسن، حسين الحاج: **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيـروت، لبنان، 1998م، ص156، 157.

(151) داود، الأب جرجس: **أديان العرب قبل الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيـروت، لبنـان، ط1، 1981م، ص 306.

(152) الحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص60.

(153) دغيم، سميح: **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص145.

(البعل)، وبعلبك مدينة الشمس، لعلوها وارتفاعها الشاهق"[154].

وقد انتشرت الأصنام والأوثان بين القبائل تَقَرباً من "الإله الشمس" المعبود فصوروها، ونحتوها، ورمزوا لها بالأحجار والأشجار وغيرها، وتَخَيلَ "الجاهليون" تلك المواقع آهلةً بالأرواحِ، فأقاموا عليها خَدمةً، وسدنَةً، وحجاباً؛ للقيام بشؤونها، كما كان للكعبة حجاب وسدنةٌ يقومون على خدمتها، ويتولون أمرها، وفَتْح بابها وإغلاقه، كذلك كان للأصنام سدنةٌ يخدمونها. وتختلف أهمية السادن باختلاف أهمية الآلهة؛ فمرتبة سدنة "اللات" تفوق غيرها من الأصنام المحلية، وليس غريباً أن يكون السدنة من رؤساء القبائل، إذ يحق لهم أن يمتازوا باسم "الكاهن"، أو "الحازر"، أو "السادن"، أو "الحاجب"، أو "الحكم". وقد تكون السدانة وراثيةً [155].

و"أقام عرب الجاهلية للشمس صنما بيده جوهرة على لون النار، وله بيت وسدنة وحجاب، وكانوا يأتون البيت ويصلون فيه ثلاث مرات في اليوم، ويسجدون للشمس إذا طلعت، وإذا توسطت السماء، وإذا غربت. ولهذا نهـى الرسول ـ ﷺ ـ عن الصلاة في هـذه الأوقـات"[156].

واستمرت عبادة الأوثان، وقدس الْخَلَفُ الأصنام كأجدادهم السلفِ، وفي ذلك يقول تعالى على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ: **﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾**[157].

ونلمح ظاهرةً كانت موجودةً عند من عبد "الشمس" منذ القدم؛ أن يسمى الإنسان باسم ربه تبركاً به، وأملاً في نَيل رضاه، فـ" من الأصنام التي تسمى بها عدد من الأشخاص، فعرفوا بـ(عبد شمس)، وقد ذكر الأخباريون أن أول من تسمى به سبأ الأكبر، لأنه أول من عبد

(154) حسن: **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، ص129.

(155) ينظر: الحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص141.

(156) قلعه جي، عبد الفتاح: **رموزٌ وأساطير من الموروثات الشعبية**، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد: 68، الـسنة: 1997م، ص62.

(157) **سورة الأنبياء**: الآيتان 52، 53.

الشمس، فدعي بـ(عبد شمس) "[158].

وسيطرت عبادة "الشمس" على معظم أمور حياة بلاد العرب، حتى بلغت قداستها الأسماء التي "تسموا بها، كعبد شمس، وامرئ الشمس، وعبد الشارق، ومن الكتابات التي وجدت في بابل (لتغلتفلاسر)، التي يذكر فيها انتصاره على مدينة دومة الجندل، وظفره بملكتها التي كانت كاهنة للإله الشمس، نستدل على أن عبادة هذا الكوكب كانت قديمة في بلاد العرب، وهذا الرأي يؤيده ابن منظور بقوله: الشمس صنم قديم، وعبد شمس بطن من قريش، قيل سموا بذاك الصنم. ويقول ياقوت: إن (شُمس) صنم كان لبني تميم، وكان له بيت وكانت تعبده بنو أد كلها. وقد سماها العرب الإلهة، مما يعطينا دليلا قاطعا على عبادتها"[159].

وتقول مية بنت أم عتبة بن الحارث ويروى لغيرها: (الوافر)

تَروحنَـا مِن اللعباءِ عصراً فأعجلنَـا الإلهـةَ أن تَؤُوبا"[160].

أما عن سبب تسمية العرب بـ"عبد شمس"، و"امـرئ الشمس"، وما شاكلها، فيقول "الجاحـظ": "... ويسمون ببرج ولا يسمون بفلك، ويسمون بقمر وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح، ولم يسموا بأرض وسماء وهواء وماء... وهذه الأصول في الزجر أبلغ"[161].

اجتازت عبادة "الشمس" من الجنوب إلى شمال الجزيرة، فـ"عن أهل اليمن أخذ عرب الشمال عبادة الكواكب، وقوامها ثالوث كوكبي هو القمر والشمس والزهرة، وهو نفس الثالوث الكوكبي البابلي: القمر ويمثله الإله (سين)، والشمس ويمثلها الإله (شمش)، وكوكب الزهرة وتمثله الإلهة (عشتار)، والإله القمر (سين)، له المكانة الأولى في هذه المجموعة الثلاثية

---

(158) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،** 6 / 55، 56.

(159) داود: **أديان العرب قبل الإسلام،** ص338. وينظر: الحوفي، د.أحمد محمد: **الحياة العربية من الـشعر الجـاهلي،** مكتبة نهضة مصر، مصر، ط3، (د.ت) ص331.

([160]) ابن منظور: **لسان العرب،** مادة (أله).

(161) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السؤد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، 1 / 214.

باعتباره الأب للإله (شمش)، وكان يرمز للإله (سين) بالهلال، أما الإله (شمش) فأقل مرتبة من الإله القمر، في حين كانت الإلهة (عشتر) تمثل كوكب الزهرة"[162].

ويقترب اسم إلهة "الشمس" من لفظ الجلالة (ا) و(إله)، جل وعلا عن هذا التشبيه، فـ"عرفَتِ "الشمس" في شمال الجزيرة باسم (هاللات) أو (ال لات) أي الإلهة، والإلهـة الأم. لكننا نجدهـا في النقـوش اللحيانيـة باسـم (شمـس) الـذي ظهـر في اسـم العلـم (عم ـ شمس)"[163].

ويرى البعض أن "اللات" "تقع بالطائف، وهي أحدث من مناة، وكان يهودي يلت عندها السويق، وهي في موضع منارة مسجد بالطائف اليسرى اليوم "[164]، وقد ورد ذكرها في القرآن، قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم اللاتَ والْعزى** ﴾ **[165].**

أما المستشرق "ف.ف وينيت فيرى أن عرب الجنوب لا بد أن يكونوا قد عبدوها لكثرة الأسماء المركبة من اسم اللات لديهم، وإن كانت متأخرة، بينما ترد في نقوش عرب الشمال قبلهم، مما يدل على أن موطنها الأصلي كان في سوريا... في حين يعتقد (ر. ديسو) أن الأنباط هم الذين أدخلوا عبادتها إلى حوران"[166].

وتوسع اسم الإلهة "اللات"، فَأُطْلِقَ على فصلٍ من فصول السنة؛ لسطوع "الشمس"، وإشراقها، وحرارة الصيف، ووهجـه، وحمـه، فمثل هذه الميزات دعت أن تُسمى "الشمـس" (بذات حمم) و(ذات حميم)، وما تساوى مع مثل هذه المسميات في المعنى، فهي "اسم إلهة تمثل فصل الصيف عند البابليين (اللاتو)، وكانت أيضا من آلهة تدمر والنبط والصفويين، وكان النبط

---

(162) سالم: **دراساتٌ في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 1 / 409.

(163) أجواد: **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**، ص234.

(164) ابن الكلبي، هشام بن محمد: **كتاب الأصنام**، تحقيق: د.محمد عبد القادر، وأحمد محمد، مكتبة النهـضة المـصرية، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص228.

(165) **سورة النجم**: الآية 19.

(166) أجواد: **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**، ص242.

يعتبرونها إلهة الشمس، أما العرب فنسبوا إليها فصل الصيف"[167].

وما يؤكد ارتباط "اللات" بـ"الشمس" وبالصيف، ويزيد الحجة في ذلك، قول "عمرو بن لحي الجرهمي: "ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتو بالعزى لحر تهامة""[168].

كان ذلك لاعتقادهم أن "اللات" إلهةٌ أنثى، وأم تُمثلُ "الشمس"، إلا أن بعض المستشرقين أشار أنها لكوكب آخر؛ فيرى "(رينه ديسو) أنها تمثل كوكب الزهرة وليس الشمس"[169].

وقد مزج العرب بين "اللات" و"الزهرة"؛ ليصبح الاسمان لمعبودٍ واحدٍ، وما يؤيد هذا القول، "ماذكره الأب "شيخو"، عن اللات قوله: أجمع الأثريون على أن "اللات" هي "الزهرة"، ولنا على ذلك شهادة "هيرودتس" المؤرخ، قال: إن العرب يعبدون "الزهرة" السماوية، وهم يدعونها "أليتـا" (Alitta). وقد أصلح اسمها في محل آخر... فقالوا: "اللات""[170].

وبقيت هذه الصخرة إلهاً مقدساً يعبد فترةً من الزمن، إلى أن جاء الإسلام بنوره وهدايته، وحرم عبادة "الشمس" و"القمر"، معلناً عن بداية توحيدٍ جديدٍ، لإلهٍ واحدٍ في السماء أيضاً، كما حرم السجود للكواكب والأصنام، والصلاة والتقرب منها، واجتث كُل ما يتصل بها، وأخرج الناس من الظلام والعبودية، وذكر ا ـ عز وجل ـ "الشمس" و"القمر"؛ لأنهما أظهر الكواكب، وأوضحهما، وهما أعظم الثوابت، قال تعالى: **﴿ لا تسجدواْ للشمس ولاَ للقمر واسجدواْ للهِ الذي خلقهن إن كُنْتُم إياه تعبدون ﴾[171].**

فهدمتِ "اللات" في جملة ما هدِم من الأصنام، وأُحرقَ البيت، وقُوضتْ حجارته، فقد أمر الرسول ـ ﷺ ـ المغيرة بن شعبة ـ في أغلب الروايات ـ بهدمه، والناس ينظرون هلعاً

---

(167) سالم: **دراساتٌ في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 1 / 419.

(168) عجينة، د.محمد: **موسوعـة أساطـير العرب عن الجاهليـة ودلالاتهـا**، دار الفـارابي، بيـروت، لبنـان، ط1، 1994م، ص194؛ وينظر:عبد الحكيم: شوقي، **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، مكتبة مدبولي، القـاهرة، (د.ت). ص583.

(169) أجواد: **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**، ص241.

(170) الحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص69.

(171) **سورة فُصلت**: الآية 37.

وخشيةً؛ خوفاً أن ينالهم شيء من أذى، انتقاماً منهم، ونساء "ثقيف" يبكين، لكن شيئاً لم يحدث، ولما انتهى "المغيرة" من هدمها، أخذ مالها وحلِيها من الذهب والجزع، وأعطاه "أبا سفيان"[(172)].

هذا وقد تحدى ا - عز وجل - الكفار في عبادتهم ومعتقداتهم؛ لِيظْهر لهم سوء ما يصنعون، وبطلانه، وزيفه، فأتـى بسورةٍ بأكملها باسـم "الشمس"، مقْسِماً بها، قـال تعالـى: ﴿ **والشمس وضحاها * والْقَمرِ إِذَا تَلَاها** ﴾[(173)].

نستدل برأي علماء الإسلام عن الحكمة بالقسم بـ"الشمس"، "قال "ابن جرير":والصواب أن يقال أقسم ا بـ"الشمس" ونهارها؛ لأن ضوء "الشمس" الظاهـر هو النهار (**والْقَمرِ إِذَا تَلَاها**)، قال "مجاهد": تبعها... وقال "قتادةُ": إذا تلاها ليلة الهلال، إذا سقطت "الشمس"، رؤى الهلال"[(174)].

"وتدلنا الصفات التي كان العرب يسبغونها على "الشمس"، والتي كانوا يكنون بها عنها، كما تدلنا أسماء الأصنام التي اتخذوها لعبادتها، على أنها كانت لدى عبادها من "الجاهليين" وغيرهم إلهةً للخير والْخِصبِ، ومصدراً للعدل والقانون، ونقمةً على الظالمين والمجرمين. فقد كانت تُسمى بـ(ذات الرحاب)، و(ذات الغدران)، و(ذات اللون الذهبي)"[(175)].

هذه صورةٌ مشْرقَةٌ لِـ"الشمس"؛ أما الصورة الثانية لها، فتصفها بشدة حرارتها، وقوة توهجها، "إنها ذات حميم حقا، فـلا عجـب إذا ما دعيت بـ(ذت حـمم) و(ذات حميم) و(ذات الحميم) عند العرب الجنوبيين"[(176)].

وتُسمى "الشمس" بأسماء أخرى، لها دلالتها، اكْتُسِبتْ من مكانتها، فهي " (ذت بعدن) أي

---

(172) ينظر: علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 / 234.

(173) **سورة الشمس**: الآيتان 1، 2.

(174) ينظر: ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين: **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت)، 4 / 515.

(175) عبد الرحمن: **التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي**، مجلة فـصول،العدد:1،المجلـد: 3، الـسنة: 1981، ص129، 130.

(176) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 / 52.

البعيدة، وهي كنية قصد بها وصف الشمس عندما تكون بعيدة عن الأرض في أيام الشتاء، إذ تضعف حرارتها، وتصبح لذلك غير مؤذية للناس، ولعل المقصود بهذا الوصف، أنها تشمل بفضلها القريب والبعيد، أو أنها سمت عن أن يصل إليها أحد من الناس، فقد جاء في بعض نصوص المسند أنها (بعلمن بعدن وقريب) أي أنها بالعالم القريب والبعيد"(177).

يمكن القول ِإن مثل هذه الأسماء لم تكن جنوبية المنشأ؛ لأن "الشمس" في الجنوب تسطع أشعتها فترةً طويلةً من أيام السنة، وينفر العربي من حرارتها وقُربها، أما في الشمال فيمكن أن تتصف ِببعدِها في فصل الشتاء.

وتظهر ثنائياتٌ عديدةٌ في صفات "الشمس"؛ فَهي إلهة للحرب والخير معاً، كما أنها قريبةٌ وبعيدةٌ من الأرض. فَـ"الشمس" إلهةٌ للخير؛ لأنها مصدر إشعاعٍ مهم، لنمو النباتات نُمواً سريعاً في شمال الجزيرة العربية؛ ليحل الْخِصب، ويعم الخير على البلاد، وتنبت الأعشاب في المراعي، لترتسم الأرض بحلتها الخضراء، هذا كُله بفضل إلهة الخير. بعد ذلك يأتي الصيف الحار، ويحل الجفاف، ويجف الربيع، ويذوي كُل شيءٍ، وكأن الحياة ماتت.

أَما من حيث القرب والبعد، فَهي تختفي عن أنظار الناس كثيراً في الشتاء، وكأنها بعيدةٌ، لتعود مرةً ثانيةً في فصل الصيف، وكأنها تقترب من البشر لا تُفَارِقُهم.

وسميتِ "الشمس" بأسماء عدةٍ، تبدأ بِـ"ذات"؛ ِلتمنحها صفة التملك، وتدل على أَن هذه لفظةٌ تختص بأنثى، وذلك من وجود علامة التذكير (ذ) المختصة بالاسم المذكر إلى تاء التأنيث. وهذا ما يؤَكده علماء العربيـة، ويـرون "أن كـل اسـم ورد في المسـند استهل بلفظـة (ذت) أو (ذات) فيراد به الشمس، وهي إلهة، وكل لفظ بدأت بـ(ذ) و(ذي) فإنها تعني (إلها) وهو القمر أو عثتر"(178).

هذا وأُطْلِقَ على الشمس أسماء عدة ذات دلالات مختلفة، كان من أهمها "معنـى

---

(177) عبد الرحمن: **الشعر الجاهلي ـ قضاياه الفنية والموضوعية**، ص44.

(178) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،** 6 / 166.

طبيعـي هو الحر واللهيب، مثل (ذكاء) و(حناذ)، أو إلى لونـها وشعاعـها مثل: (الجوناء) و(الجونَة) و(الضحى) و(الضح) و(الشارق) و(الشرق) و(الشرق) و(الشريق) و(الشرقة)… و (بالجارية) و(الغزالة)"[179].

وسيطر اتجاه المشرق مكان خروج "الشمس" كثيراً على الأسماء التي أُطْلِقَتْ عليها؛ فقد اشْتُقتْ معظم الأسماء منه، أَما اسم الجارية، فهو مشتق من "جرت الشمس وسائر النجوم: سارت من المشرق إلى المغرب، والجارية: الشمـس، وسميتْ بذلك لجريها من القطر إلى القطر، التهذيب: الجاريـة عين الشمـس في السمـاء"[180]، قال تعالى: ﴿ **والشمـس تَجري لِمستَقَر لها**﴾[181].

ونجـد أَن "إلهـة الشمـس فـي العربيـة تقابـل عنـد الساميين الشماليين الإلهـة (أم الزهراء) المسماة (عشتر) أو (عشترت) ومن التسمية (أم عثتر) نفهم أنها أم طفل، وهو الطفل الإلهي المسمى (عثتر)، وهي كإلهة أم وإلهة وحيدة هي مثل (عشتر)، حامية النساء وإلهة الحمل والولادة"[182].

هذه الصفات تُظْهر الإلهة بأبهى صورها؛ فَهي مصدر العطاء، ومصدر الأمومة والأنوثة، إِنها أُم ترعى وليدها الصغير (عثتر)، ومن لِلمولود الصغير في المجتمعات الإنسانية، وحتى الحيوانية، غير الأم لِتُربيه ؟

واختلفت "الشمس" بين الجنوب والشمال؛ فقد أُنثَتْ عند عرب الجنوب، ولُقبتْ بأسماء تُثْبِتُ أنوثتـها، وتقابلها "تسميـة شماليـة يطلقها العـرب على إلـه الشمس، فاسمه (ال حمون) و(بعل حمون)، فهذان الاسمان مذكران، وذلك لأن المعبود الشمسي عند الساميين

---

(179) عجينة، د.محمد: **موسوعـة أساطـير العرب عن الجاهليـة ودلالاتها**، ص192.

(180) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (جرا).

(181) **سورة يس**: الآية 38.

(182) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 / 220.

الشماليين مذكر"[183].

وتظهر قوة العاطفة عند العرب في كُل شيءٍ، فكل ذكرٍ بحاجة إلى أنثى، وهذا هو حال "القمر" زوج "الشمس"، ولم يكتفوا بذلك، فـ"كانوا يجعلون لكل إله رفيقة (إلهة)، واسمها عبارة عن تأنيث اسمه كما في (بعل وبعلت)، و(إل) و(الت) أي (اللات)"[184].

ورسِمتْ أساطير زواجيةٌ كثيرةٌ، حول الثالوث الفلكي، الذي يتكون من أبٍ وأُم وطفلهما، هذه هي الصورة العائلية في السماء، وكان مصدر هذه الأساطير حركة الكواكب؛ فـ"لاحظ الإنسان كل شهر سير القمر في السماء، فإنه يجده مسرعا في سيره بخلاف الشمس، حتى إذا ما جاء وقت النقصان استطاع أن يلحق الشمس، وفي نفس الوقت يأخذ القمر في الاختفاء تدريجيا، حتى يغيب بعد أن يلحق بالشمس ثلاث ليال، يظهر بعدها هلالاً ثانياً، ومن ثم يأخذ في الزيادة ثانية، ويبتعد عن الشمس، فحركات القمر وقربه أو بعده من الشمس، واختفاؤه معها ثلاث ليال شهريا، حمل الإنسان الفطري في سائر أنحاء العالم على الاعتقاد بأن ذلك زواج سماوي"[185].

وشغل اختفاء "الشمس" وراء الأفق فكر العربي، فلم يكن يعرف كروية الأرض ودورانها، وتفاصيل حركة كواكبها، فاعتقاده أن هذه الكواكب تجري إلى عالم الأموات، العالم السفلي، ماوراء الأفق "قال تعالـى: ﴿ **والشمـس تَجري لِمستَقَر لها ذَلِكَ تَقْدِير الْعزِيزِ الْعلِيـم**﴾[186]. فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة، تكون أقرب ما تكون إلى العرش، فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل، صارت أبعد ما تكون إلى العرش، فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث"[187]. قال البخاري "حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبي ذر، قال: كنت مع النبي ـ ﷺ ـ في المسجد عند غروب الشمس، فقال ﷺ: " يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟

(183) نيلسون: **التاريخ العربي القديم**، 217.

(184) أجواد: **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**، ص215.

(185) نيلسون: **التاريخ العربي القديم**، ص202.

(186) **سورة يس:** الآية 38.

(187) ابن كثير: الإمام الحافظ عماد الدين: **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت،لبنان، (د.ت)، 3 / 571.

قلت: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾"[188].

وجاء القرآن الكريم موضحاً ومزيلاً لِكُل ما أشكل وصعب معرفته، على من اتبع "الشمس" وعبدها، وضل ضلالاً بعيداً، ونُسِجتْ الحكايات والأساطير المختلفة حول هذه الكواكب، ومن يعتقد إمكانية الوصول إلى مغربها، فيقول تعالى ـ في وصف ذي القرنين، الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها ـ: ﴿ **حتى إذا بلغَ مغْرب الشمس وجدها تغْرب فِي عينٍ حمِئةٍ ووجد عِنْدها قوماً قُلنا يا ذَا الْقرنَين إما أَن تُعذب وإما أَن تتخِذَ فِيهم حسناً** ﴾[189]، ويقَالُ إنما سمي "ذو القرنَين"؛ لأنه بلغ المشارق والمغارب، من حيث يطلع قرن "الشمس" ويغرب، وقوله تعالى: ﴿ **وجدها تغْرب فِي عينٍ حمِئةٍ** ﴾، وذلك من خرافات أهل الكتاب، واختلاف زنادقتهم، وكذبهم، أي رأى "الشمس" في منظره تغرب في البحر المحيط[190].

ويبين الجاهلي ماذا تعني له "الشمس"، من خلال ازدواجية صورتها، وارتباطها بها في مواضيع عِدةٍ؛ فَقَد عبر عن "الشمس" وغيرها من الكواكب بصورٍ عِدةٍ، كونتها طبيعتها الحية، وفرضت نفسها بنفسها، فـ"رمز الجاهليون عن الشمس بالمرأة والفرس والغزالة والمهاة والنخلة، وهذه رموز تختلط فيها الحيوانات بالنباتات وبالإنسان، وتعكس ـ بسب ذلك ـ صفات بعينها هي صفات الخصوبة والقوة والجمال، التي كانت تتصف بها هذه الإلهة الأم، كما تعكس صفات أخرى جسدية تجعل منها صورة مثالية للجمال والعطاء والحياة في لينها وقسوتها"[191].

وقَدِ استُخْدِمتِ الشجرة عند العرب رمزاً؛ لِتدل على "الشمس"؛ فالشجرة لم تكن من قبيل الزينة والخضرة فقط، بل كانت تحمل دلالةً رمزيةً عميقةً، تمس معتقد الإنسان وعبوديته، إنها الإله وشجرة الحياة؛ ومما يدل على ارتباطها بـ"الشمس"، أنه " كان لقريشٍ وبعض العرب شجرةٌ خضراء عظيمة يقدسونها تسمى ذات أنواط، والاسم ذات أنواط هو أحد ألقاب الشمس

([188]) البخاري:لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل: **الصحيح بحاشية السندي**، دار المعرفة، بيروت، لبنان،(د.ت)، 3/ 180.

(189) **سورة الكهف:** الآية 86.

(190) ينظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 3 / 101 ـ 102.

(191) عبد الرحمن: **الشعر الجاهلي ـ قضاياه الفنية والموضوعية**، ص52.

التي عرفناها بالاسم (الات)، كإله أم أنثى"[192].

وعرفَتِ "الشمس" مما سبق باسم (ذات)، وهو عينه الـذي عرفَتْ به الشجرة (ذات أنواطٍ)؛ أَما معنى الأنواط: "فَهي الْمعالِيقُ، أَي ما علقَ. ويقَـالُ ِنيطَ علَيهِ شَـيء: علقَ علَيـهِ"[193].

ذكر أبو واقد الليثي عبادة الكفار لهذه الشجرة فقال " (خرجـنا مع رسول ا ـ ﷺ ـ قبل حنين، فمررنا بسدرة، قلت: يا نبي ا : اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها، فقال النبي ـ ﷺ ـ: ا أكبر، هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى، اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، إنكم ستركبون سنن الذين من قبلكم"[194].

وكنى العرب وغيرهم الكواكب بأسماء بعض الحيوانات، وغيرها من الأشياء الأرضية، فانعكست هذه الأسماء على مؤلهاتهم، واربما " كان ذلك راجعا أيضا إلى ميل الإنسان منذ البدء إلى تشخيص ما فوق حواسه الخمس، وإحلاله محل المعبودات من إنسان وحيوان ونبات وجماد، تلك الأشياء التي تحفه من كل جانب... فلا بأس إذن من أن تكون تسمية الأمم القديمة مجاميع الكواكب نوعا من التشخيص المعنوي، حتى يتمكنوا من تصورها في عقولهم"[195].

ومِن أسماء الحيوانات التي أُطْلِقَتْ على الكواكب الغزالة، وهذا ما تُوضحه معاجم العربية: "الْغَزالَةُ: الشمس، وقِيلَ هِي الشمس عِنْد طُلُوعِها، ويقَالُ طَلَعتِ الْغَزالَةُ، ولا يقَالُ غَابتِ الْغَزالَةُ، ويقَالُ غَربتِ الْجونَةُ، وإِنما سميتْ جونَةً لأَنها تَسود عِنْد الْغُروبِ. ويقال الْغَزالَةُ: الشمس إِذَا ارتَفَع النهار. وقِيلَ: الْغَزالَةُ: عين الشمسِ. وغَزالَةُ الضحى، وغَزالاتُه بعدما تَنْبسِطُ

---

(192) القمني، سيد محمود: **القمر الأب أو الضلع الأكبر في الثـالوث**، مجلة الكرمل، نيقوسيا، قبرص،العدد: 26،الـسنة: 1987م، ص51.

(193) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (نوط).

(194) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر: **التفسير**، طبعة دار الفكر، بيروت، 1405 هـ ـ، 9/ 5.وينظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح:**التفسير**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردونـي، دار الـشعب، القاهرة، 1372 هـ، 7 / 273.

(195) الحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص84.

الشمس وتُضحِي "[196]

وفي ذلك يقول ذُو الرمةِ: (الوافر)

فأشرقْتُ الغزالةَ رأْس حوضى أراقِبهم ومـا أُغنـى قِبالا "[197].

وتُوضح المصادر القديمة أن الغزالة كانت معبودةً في الجزيرة العربية، بِدليل أن عبد المطلب " هو الذي جدد حفر زمزم بعدما كانت مطمومة من عهد جرهم، وهو أول من طلى الكعبة بذهب في أبوابها من تينك الغزالتين من ذهب، اللتين وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القلعية "[198]، ويقول ابن هشام في سيرته مشيرا إلى قصة دفن هذين التمثالين، " قال ابن اسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن، فدفنهما في زمزم، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا "[199]، ويقول امرؤ القيس: (الطويل)

وماذا عليـهِ أن ذكَـرتُ أَوانِساً كغِزلانِ رملٍ فِي محاريبِ أَقْيالِ [200].

وبلغ تقديس الغزال مرحلةً تستحق الذكر؛ حيث تُقَام الاحتفالات بِدفنه، "فكان بنو الحارث إذا وجدوا غزالا ميتا غطوه وكفنوه ودفنوه، تحزن القبيلة عليه ستة أيام"[201].

وتتضح رمزية الفرس؛ لِتُعبر عن "الشمس" فيظهر أن العرب "كانوا يهدون للشمس صورة الفرس نذرا، كما هو الشيء نفسه عند بعض الشعوب الأخرى. ومن الغريب اقتران عقر الخيل بالشمس في أسطورة النبي سليمان والخيل الخضر التي أخرجت له من البحر، وإذن فقد

---

(196) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (غزل).

([197]) ذو الرمة: **الديوان**،المكتبة الأهلية، بيروت، لبنان،1934م، ص 62.

(198) قطب، محمد علي: **مختصر سيرة ابن كثير**، طبعة دار السيرة، بيروت، لبنان، 1982م، ص 18.

([199]) ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، **السيرة**، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيـل، بيروت، 1411هـ، 1 / 244. وينظر: سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، أبو الربيع: **الاكتفاء بما تضمنه من مغـازي رسول ا والثلاثة الخلفاء**، تحقيق:د.محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1997 م، 1 / 125.

([200]) امرؤ القيس: **الديوان**، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 142.

(201) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 / 407.

لا تكون تسمية الشمس بذكاء والخيل بالمذكيات من باب الصدفة"[202].

ومما يؤكد إطلاق اسم الفرس على "الشمس"، وارتباطها بها، التقارب الدلالي بينهما؛ فأطلق العرب "اسم (ذُكاء) ـ بضم الذال ـ على الشمس، فيقالُ هي ذكاء طالعة. ويقالُ في المثل: جري المذكيات غلاب، أي جري المسن القُرح من الخيل أن تُغَالِب الجري غِلاَبا"[203].

ويوجد عامـلٌ مشترك، يوحـد بين "الشمس" والخـيل، ألا وهـو المرأة، ويظهـر من "الأساطير ذات الصلة بالكواكب أن الخيلَ رمز مِن رموزِ الشمسِ الإلهةِ الربةِ (ذات حميم وذات حمين)، وتنسجم تلك الرمزيةُ مع اقتران الحصان رمزا بصورة المرأة. وكان الحصان أو صورتُه تُقَدم لَها قُرباناً "[204].

تُجسد عبادة "الشمس" في الصلاة بأداء طقوسٍ معينةٍ، مقترنةٍ بوقتٍ ما، وإن لم تكن الصلاة في الجاهلية إلى الآلهة على نحو ما يفْهم من الصلاة في الإسلام. ولما كانت "الشمس" معبودةً، فكان لها بيتٌ خاص، وسدنَةٌ وحجاب، وكان عبدة "الشمس" يصلون لها ثلاث مراتٍ في اليوم، فكانوا يسجدون لها عند شروقها، وإذا توسطتِ السماء، وإذا أفلـت؛ ولِـذَا نهى الرسول ـ ﷺ ـ عن الصلاة في هذه الأوقات. "عن أَبِي عبدِ ا ِ الصّنَابِحِي ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ ا ِ ـ ﷺ ـ:قالَ " إن الشمس تَطْلُع بين قَرنَي الشيطَان، (أو قَالَ يطْلُع معها قَرنَا الشيطَان) فَإِذَا ارتَفَعتْ فَارقَها، فَإِذَا كانَتْ فِي وسطِ السماءِ قَارنَها، فَإِذَا دلَكَتْ (أو قَالَ زالتْ) فَارقَها، فَإِذَا دنَتْ لِلغُروبِ قَارنَها، فَإِذَا غَربتْ فَارقَها، فَلا تُصلوا هذِهِ الساعاتِ الثلاثَ "[205].

وكان "الجاهليون" يستقبلون "الشمس" ضحى عبادة لها؛ "فقد ذكر "الأسقع البكري الليثي، أَنه خرج إلى رسول ا ـ ﷺ ـ فصلى بالناس، ثُم رجع، فَوجد والده جالساً، مستقبل "الشمس"

---

(202) عجينة: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ص194، 195.

(203) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ذكا).

(204) عجينة: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**: 1 / 286، 287.

(205) ابن ماجه، أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد البـاقي، طبعـة دار الحـديث القـاهرة، (د.ت).وينظر: ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد، دار المعارف، مصر، ط2، 1980 م، وينظر:محمود، أبو إياس محمود بـن عبد اللطيف: **الجامع لأحكام الصلاة**، دائرة المكتبة الوطنية، عمان الأردن، ط2، 2002م، 2 / 394.

ضحى، فسلم عليه تسليم الإسلام، فقال له والده، أصبوت ؟ قلت: نعم أسلمت، قال عسى ا أن يجعلَ لك ولنا في ذلك خيراً"[206].

وقد "أشار العرب القدماء للقمر والشمس اللذين عبدوهما بهلال أفقي ودائرة، ويؤكد الهمذاني في الجزء الثامن من الإكليل، أن (رئام) المقدس فوق جبل أتقا من أرض همذان، كان منتجعا للحجيج، وفيه قلعة أمام بابها الضخم حائط نقشت عليه دائرة الشمس، وأضيف إليها الهلال، وكان إذا خرج الملك المقدس ووقـع نظره على صورة الشمس انحنـى أمامها"[207].

وينحني الملك إجلالاً واحتراماً لِـ"الشمس"، وهذا طقس يجري في معبد يحج إليه المتعبدون عبادةً وتقرباً من الإله؛ لِيسهل الاتصال به، وصورتها موقرةٌ تستحق العبادة والسجود. هذا الجرم السماوي يظهر نهاراً لتختفي بقية الأجرام السماوية؛ احتراماً له، وهيبةً ورهبةً منه، فَـ"الشمس" ذات طاقةٍ حراريةٍ، لا تُقَدر، فَهي واهِبةُ الحياة.

وكانت العرب تتعبد إلى معبوداتها بِالطواف، والقيام ببعض الطقوس والشعائر الدينية، ومِن النسك التي كانت تُقَدم لِـ"الشمس" التلبية في حجهم، فيبتهلون لها بالتقرب، فكانوا يلبون قائلين: "لبيك اللهم لبيك، لبيك ما نهارنا نجره، إدلاجه وحره وقره، لا نتقي شيئا ولا نضره، حجا لرب مستقيم بره"[208].

أما الإفاضة ـ وهي طقس تعبدِي يندفع فيه الناس بكثرةٍ، وهـم يلبـون لِـ"الشمس" ـ وخالف أهل الإسلام "الجاهليين" في ذلك، "فروي عن عمر ـ ﵁ ـ قال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمـس، ويقولـون: (أشرق ثبير) إشارة إلـى الشمس. وإن النبـي ـ ﷺ

(206) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: طه محمد الزينـي،، مكتبـة الكليات الإسلامية، مصر، ط1، (د.ت) 1: 53.

(207) زكي: **الأساطير دراسةٌ حضاريةٌ مقارنةٌ**، ص77.

(208) البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب: **المحبر**، رواية: أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، المكتـب التجـاري، بيروت، لبنان،(د.ت)، ص312.

ـ خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس"[209].

وعرفَ "ثَبير" في كلامهم بمعنيين، هما: "الشمس التي عبدها العرب قبل الإسلام، وبثبير أيضا اسم جبل بمكة. وكان العرب يقولون: أدخل يا ثبير في الشروق حتـى نسرع للنحـر"[210].

أدى "الجاهليون" طقوساً عدةً في عبادتهم لِـ"الشمس"، والتزموا بها، فكان منها الصلاة والصيام، والطواف، والإفاضة، ونحر القرابين، فكانت مثل هذه الأعمال أدلةً ساطعةً، تُثْبِتُ قوة العلاقة بالإله، وتقديسهم له.

وقصة نبي ا "إبراهيم" ـ عليه السلام ـ الواردة في القرآن الكريم، دليلٌ يقطع الشك باليقين، ولا يقبل التأويـل، حيث أكـد عبادة العرب والأقـوام السابقة للكواكـب، هذا وبين إبراهـيم ـ عليه السلام ـ أن "الشمس" كانت أظهر وأوضح له من بين غيرها من الكواكب، فقد تعبد لكوكب "الزهرة" بدايةً، فلما غابت عبد "القمر"، فلما أفل لم يجد أمامه إلا "الشمس" ـ الكوكب الأكثر بروزاً ـ وقد طمست بنورها الكواكب الأخرى، تلك الكواكب التي بلونها، وبأشعتها النيرة، وبجمالها فتنته، وخلبت عقله، وعقل قومه، ليعترف نبي ا بعد أن هداه رب العزة بضلاله، وتوصل إلى واقعٍ لا واقع سواه، لِيعود إلى رشْدِهِ. قال تعالى: ﴿ **وإذْ قالَ إبراهيم لأبيهِ آزر أتَتخِذُ أصنَاماً آلِهةً إني أراك وقومك فِي ضلالٍ مبينٍ * وكَذَلِك نُري إبراهِيم ملكُوتَ السماواتِ والأرض ولِيكُون مِن الموقِنين * فلما جن عليهِ الليلُ رأى كوكباً قالَ هذَا ربي فلما أفَلَ قالَ لا أحِب الآفِلين * فلما رأى القَمر بازِغاً قالَ هذَا ربي فلما أفَلَ قالَ لئِن لم يهدِني ربي لأكُونَن مِن القَومِ الضالين * فلما رأى الشمس بازِغَةً قالَ هذَا ربي هذَا أكْبر فلما أفلَتْ قالَ يا قَومِ إني بريءٌ مِما تُشْركُون * إني وجهتُ وجهي لِلذِي فَطَر السماواتِ والأرض حنِيفاً وما أنَاْ مِن المشْركِين *** ﴾[211].

---

(209) الحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص95.

(210) نعمة: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، ص193.

(211) **سورة الأنعام**: الآيات 74 ـ 79.

جمعت الآيات السابقة عبادة ثالوثٍ مقدسٍ عند القدماء، وبينت كيف خلبت عقول قوم نبي ا إبراهيم ـ عليه السلام ـ فـ"كان في هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، وبين خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة، فبين صلوات ا عليه وسلامه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيغ عنه يمينا ولا شمالا، ولا تملك لنفسها تصرفا، بل هي جرم من الأجرام خلقها ا منيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال، ومثل هذه لا تصلح للإلهية، ثم انتقل إلى القمر؛ فبين فيه مثل ما بين في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتهت الإلهية عن هذه الأجرام، بين براءته من عبادتهن"[212].

وتتأكد أنوثة "الشمس" عند العرب، في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَفَلَتْ** ﴾. "فقيل: إن تأنيث الشمس لتفخيمها وعظمها، فهو كقولهم رجل نسابة وعلامة، وإنما قال ﴿ **هَذَا رَبِّي** ﴾ على معنى هذا الطالع ربي، قاله الكسائي والأخفش. وقال غيرهما: أي هذا الضوء"[213].

ويصعب محو آثار عبادة "الشمس"، هذه العبادة التي استمرت مدةً طويلةً من الزمن، وما تزال الكشوف الأثرية في بحثٍ، وتَحرٍ مستَمِر، عن حقيقة هذه العبادة؛ فَقَد "لاحظ بعض السياح أن آثار عبادة الشمس والقمر لاتزال كامنة في نفوس بعض الناس والقبائل، حيث تتجلى في تقدير هذين الكوكبين، وفي تأنيب من يتطاول عليها بالشتم أو بكلام مسيء، وفي تعظيمها من بين سائر الكواكب تعظيما يشير إلى أنه من بقايا الوثنيـة، على الرغم من إسلام أولئك المعظمين"[214].

ويضافُ إلى هذه العبادة عادةٌ لاتزال مستمرةً حتى وقتنا هذا، والتي تنتقل إلى الأطفال

---

(212) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم،** 2 / 151.

(213) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن،** 7 / 27، 28.

(214) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،** 6 / 57.

جيلاً بعد جيلٍ، وهِي: "ما يفعله الغلام إذا سقطت له سن، أخذها بين السبابة والإبهام، واستقبل الشمس إذا طلعت وقذف بها وقال: يا شمس أبدليني بها سنا أحسن منها ولتجر في ظلمها آياتك، أو يقول آياؤك. وهما جميعا شعاع الشمس، وزعموا أنه يؤمن على أسنانه العوج إذا صنع ذلك"[215].

إن عبادة النجوم عند العرب تأتي من مجاورتهم للشعوب التي كانت تدين لمثل هذه المعتقدات، ولا سِيما صابئة "حران" و"الكلدانيين"، أضف إلى حاجتهم العلمية لمعرفة الوقت، وللاهتداء بِالنجوم في حلهم وترحالهم، وفي تحديد الجهات، حتى أصبحت لديهم معرفة مميزة بمطالعها وبأسمائها، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهميتها في حياتهم، قال تعالى: ﴿ **وبِالنجمِ هـم يهتَـدون** ﴾[216]

ويقول تعالى في موضعٍ آخر، مبيناً بطلان عبادة من عبد هـذه الكواكب، وأن يعـود في عبادتـه إلى خالقهـا: ﴿ **ومِن آياتِهِ الليلُ والنهار والشمس والقَمر * لا تَسجدواْ لِلشمس ولا لِلْقَمرِ* واسجدواْ لِلهِ الَّذِي خَلَقَهن** ﴾[217]. فهذه آيةٌ نستدل منها على عبادة "الشمس" و"القمر" معاً، فلا بد أن يكون "القمر" إلهاً رئيسياً، إلى جانب "الشمس".

ولم يتوقف العرب عند عبادة "الشمس" و"القمر"، بل انتقلت لِتشمل الركن الثالث في الثالوث المقدس، (الابن) وهو "الزهرة"، هذا النجم ألمع النجوم في السماء، بعد اختفاء "الشمس" و"القمر"؛ لِلاهتداء به في الصحراء، وللتعرف إلى الجهات، ومواقيت الليل، فنجد لها "ذكراً" في النصوص العربية الجنوبية، يسمى (عثتر)، وهو بمثابة (الابن) لِـ"الشمس" و"القمر"، هذا الثالوث الكوكبي يدل ـ في رأي الباحثين في أديان العرب الجنوبيين ـ على أن عبادة العرب الجنوبية هِي عبادة نجومٍ. وهو يمثلُ في نظرهم عائلةً إلهية مكونةً من ثلاثة أربابٍ هِي: الأب وهو

---

(215) الجارم، محمد نعمان: **أديان العرب في الجاهلية**،، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1923م، ص189.
(216) **سورة النحل**: الآية 16.
(217) **سورة فصلت**: الآية 37.

(القمر)، والابن وهو (الزهرة) والأم وهي (الشمس)"[218].

لقد تغير جنس "الشمس" و"الزهرة" عند "الساميين" الشماليين؛ أما "القمر" فَهو مذكر عند سائر "الساميين"، فَنجد "الشمس" مؤنثةً عند "الساميين" الجنوبيين، مذكرةً عند الشماليين، على العكس من "الزهرة"، فَهي مذكر عند الجنوبيين، مؤنثةٌ عند الشماليين.

هذا حد جغرافي فاصلٌ بين الشمال؛ حيث نجد "الشمس" مذكرةً، و"الزهرة" مؤنثةً، فنحن في الشمال، وإذا وجدنا عكس ذلك، فنحن في الجنوب، وفِي منطقة الحدود نجد شيئاً من الخلط، وهذَا المزج بين الوجهين أتعب الباحثين كثيراً قبل اكتشاف النقوش العربية الجنوبية[219].

اعتقد "الأنباط" أَن "الشمس" بحاجةٍ إلى حارسٍ يدافِع عنها، مِما قد تتعرض له من شرورٍ، ومن يستطيع الوصول إليها في الأعالي، سوى الحيوانات الطائرة في السماء؛ فَقَد تَم الربط بين آلهتهم والحيوانات، فَرأوا في النسر قوةً خارقةً، تستطيع الدفاع، وحمايـة "الشمس"، "وعثر الآثاريون على النسر برفقة حية، لكن أيضا من غير إله يحدد معنى هذا الرمز. ويرى (ف. ستريكا V.strika) أن النسر يرمز دائما في فنون الشرق القديم إلى إله الشمس فهو حامي الشمس، خاصة منحوتات النسور التي عثر عليها على مقابر الحجر"[220].

وبلغ من تقديس "الأنباط" لِـ"الشمس" الإكثار من وجود المعابد، حتى "أنهم كانوا يقيمون في كل بيت مذبحا عليه قربان من المشروبات، ويستهلكون في ذلك كثيرا من البخور الذي يملكون منه كميات ضخمة"[221].

ونستشهد برأي المؤرخ " (استرابو) أن (Helios) أي الشمس، هي الإله الأكبر عند النبط. ولكن الكتابات النبطية لاتؤيد هـذا الرأي. والإلـه الأكبر فيها هـو (اللات)، ولعـل

---

(218) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 / 57.

(219) ينظر: نيلسون: **التاريخ العربي**، ص231.

(220) أجواد: **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**، ص259، 260.

(221) الحلو، عبد ا : **صراع الممالك في التاريخ السوري القديم**، بيسان للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص301.

(استرابو) قصد بـه(اللات)، وإذا كان صحيحا فتكون (اللات) هي الشمس"[222].

وتترك "الشمس" أثرها في حياة البشر؛ لذلك عرِفَتْ باسم صاحبة الأثر، فَـ"نجد في النصوص النبطية، الإلهة الشمس وقد عرفت بـ(ربت الأثر)، بمعنى ربة التوهج، مما يدل على أن (أثرت) و(ذت أثر) و(ربت أثر) في القتبانية هذه الإلهة الشمس"[223].

وننتهي إلى القول: هذه هي "الشمس" اللامعة التي استبدت في السماء، لتدخل إلى عقول البشر والباحثين، إنها الأم، ورمز الحياة، والدين، والربوبية، فكان لِكُل أُمةٍ ـ قبل مجيء الديانات السماوية التي قطعت الشك باليقين ـ حضارتها، ولها طقوس وشعائر دينيةٌ وضعيةٌ بشريةٌ، اكتسبتها ونسجت خيوطها من قلب بيئتها. أسقطوا كُل معتقداتهم على شؤون حياتهم، فَما اعتقدوا به حلالاً قبلوه، وتَم تحريم ما فرضته عليه أنفسهم بِحرامه، فَكان لِكُل أُمةٍ آلهة تعبدها، وتُقَدسها، بِإقامة طقوسٍ تتشابه مع غيرها من الديانات، وقَد تتخذ منهاجاً آخر مختلفاً في طبيعته.

إلا أَن ما يمكن إجماله، هو تكون كثيرٍ من ديانات البشرية من ثالوثٍ واحـدٍ، سيطر عليها كثيراً، ألا وهـو (الشمس، والقمر، والزهرة). فاختيرت المعابد لِتُعد دور عبادةٍ، وأقرب مكانٍ يمثلُ حلقة وصلٍ بين الأرض ومن عليها من جهةٍ، والسماء والآلهة من ناحيةٍ ثانيةٍ. مثل هذه الديانات مبعثها حب التدين والاعتقاد. فكانت هذه العبادة مكاناً خِصباً يسلطُ عليه الباحثون أقلامهم؛ لِمعرفة الحقيقة، وإن كان الأمر في غاية التعقيد، وإنَ قصرت تلك الأقلام عن الوفاء، إلا أَن الأمر مستَمِر باستمرار الحياة في عروق البشر.

---

(222) الفيومي، محمد إبراهيم: **الفكر الديني الجاهلي**، دار الجيل، بيـروت، لبنـان، ط1، 1999م، ص250؛ وينظـر: عباس، إحسان: **تاريخ دولة الأنباط**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1987م، ص128؛ وينظر: علي: **المفصل فـي تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 / 55.

(223) علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 6 / 169.

الفصـــل الثـــانـي

مواضع ورود الشمس في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: الشمس و المرأة.

المبحث الثاني: الشمس والحرب.

المبحث الثالث: الشمس وأغراض الشعر:

المدح والرثاء والفخر والهجاء.

المبحث الرابع: الشمس والطبيعة.

الشمس والأطلال والرحلة.

الشمس والحيوان.

المبحث الأول

الشمس و المرأة

يظهر الذوق الجمالي من خلال دراسة الشعر الجاهلي، الذوق الذي تكثر فيه الصور والرموز والتعبيرات الجاهلية وتتنوع، فكانت المرأة، ممثلة صورة الحسن الأنثوي التي تفرض نفسها بنفسها على الشاعر، وعلى كل من تناول شعره فيما بعد، وتتبع الشعراء الجاهليون ظاهرة الوصف كدرب من دروب الإبداع والتألق في وصفهم، فشبهوا المحبوبةَ بالنيرين في أشعارهم كثيرا، فهي مرة قمر أوبدر، وأخرى شمس في حسنها.

رسم الشعراء مقاييس الجمال الأساسية فيمن أحبوا وتغزلوا، فكادت تكون هذه ظاهرة مشتركة لدى الشعراء الجاهليين في شعرهم، فوصفوا محبوبتهم بشخصية مثالية ذات اعتزاز بنفسيتها، فكان النيران (الشمس والقمر) مصدرا خصبا لرسم صورة الإبداع والجمال للوجه بشكل خاص، بما فيه من أسنان أشبهت حبات البرد، كما وصفت ببياض البشرة كالدرة، أو بصفارها[224] ثانية لكثرة الطيب والمسك، فارتسمت بصور حسنة، شملت كل صفات الأنوثة.

يأتي طرفة بن العبد في طليعة هؤلاء الشعراء، الذين خصصوا جزءا محددا من أشعارهم للحديث عن ثغر المحبوبة وعن منبت أسنانها، فلم يكن طرفة واصفا أسنانها فقط، بل رأى أن الشمس هي صاحبة الخلق والإبداع في وجود الأسنان، وهي المسؤولة أيضا عن تبديل ما أصيب منها بمرض، لتنبت أسنانا كحبات البرد ناصعة البياض الجميلة الباردة، ذات التناسق المنتظم، ليظهر جمالها إذا تبسمت. فكانت نظرة الشاعر لهذا الجانب من منطلق ميثولوجي، وما يؤكد هذه النظرة ظاهرة كانت من عادات الجاهليين؛ أن الصبيةَ إذا سقطت أسنانها، تأخذها وترمي بها في الشمس، ويطلب صاحبها من الشمس أن تبدلها سنا أجمل، لتكون بيضاء، وهذا

(224) ينظر، قيس بن الخطيم: **الديوان**، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيـروت، لبنـان: ط2، 1967م، ص58. وينظر الأعشى،الديوان: تحقيق: لجنة الدراسات في دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت)، ص77، والنابغة الذبياني، **شرح الديوان**: قدم وعلق على حواشيه: سيف الدين الكاتب وآخرون، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1989م، ص29.

المعنى ما أراد الشاعر طرفة قوله: (الرمل)

بدلتْـه الشـمس مِن منْبِتِـهِ بَرداً أبيـض مصـقُولَ الأشُـر
وإذا تَـضحـكُ تُـبـدِي حببـاً كـرضابِ المِسكِ بالماءِ الخَصِر(225)

أما تميز هذه الأسنان بالبياض فجاء للدلالة على سلامتها، وحسن جمالها وطهارة أصحابها، وقداسة هذا اللون في المجتمع الجاهلي، فالشمس عند طرفة هي صاحبة التغيير والتبديل.

ويقول قيس بن الخطيم في وصف محبوبته وقد ابتسمت؛ فبدا جمال لثتها ورقتها التي حسنت ودقت، ولم يذكر أسنانها مباشرة وإنما بصورة ضمنية حملت المعنى، فظهرت الأسنان ناصعة الجمال، كحب البرد الذي لمعت عليه الشمس: (الكامل)

تنكـل عن حمـش اللثاتِ كـأنه بردٌ جلتْـه الشمس فِي شؤْبوبِ
كشَـقِيقَةِ السـيراءِ أو كغَمامـةٍ بحريـةٍ فِـي عارضٍ مجنـوبِ(226)

هذا أنموذج من الغزل استهله كثير من الشعراء بوصف حبيباتهم عامة، وقد ركزوا فيه على الأسنان واللثة.

ويبين المرقش ثنايا محبوبته فاطمة التي ارتوت بماء السحاب، والسحاب هنا إشارة إلى ريق المحبوبة الذي يداعب أسنانها بلا انقطاع، ودون جفاف، لتبقى الطبيعة وعلى رأسها الشمس، هي المصدر الأول في جمال هذا الثغر، فيقول: (الطويل)

تَـراءتْ لنَـا يوم الرحِيـل بِوارِدٍ وعـذْبِ الثنَايا لـم يكُن متَراكِما
سقَاه حبِي المـزن فِـي متَهـدلٍ مِن الشمس رواه ربابا

(225) طَرَفةُ بن العبد: **الديوان**،شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـان، ط1، 1987م، ص41(الأشر: المحزز وقد استعمله للأسنان، الخصر: البارد).

(226) قيس بن الخطيم: **الـديوان**، ص 60.(تنكل: تبسم، حمش اللثات: رقيقها، الشؤبوب: الدفعة من المطر، السيراء: شقةُ حرير، الغمامة: السحابة غراء بيضاء).

سواجما[227]

والمتأمل للأبيات السابقة يلمس ظاهرة تم فيها الربط بين أجزاء الجسم الواحد، فربطوا بين ثغر المحبوبة وأسنانها اللامعة من ناحية، وبين لمعان الشمس.

ويصور طَرَفَةُ بن العبد في معلقته محبوبته بحال الظبية التي تداعب قطيعا من البقر الوحشية داخل غابة ملتفة بالأشجار، وإذا ما ابتسمت بانت لثتها وظهر جمالها، فهي سوداء اللون، داكنة الشفاه، تشبه الإقحوان في كثيب من الرمل، أما الشمس فقد ألقت بشعاعها على هذا الثغر فصقلته وهذبته حتى ظهر جماله. لذلك كان ثغر المحبوبة يبدو لامعا منيرا في نظر الشاعر، وريقها يعني دفء الحياة واستمرارها والارتباط بالمنازل، ويشرك الشاعر طرفة غزله بين جمال الطبيعة بشمسها، وجمال المجتمع المتمثل في المرأة، لتكون الشمس أساس جمال المحبوبة ومصدره، يقول طرفة: (الطويل)

خَـذُولٌ تُـراعِي ربـربأ بِخَميلـةٍ تنـاولُ أَطْرافَ البرير وتَرتَـدِي
وتَبسِـم عن أَلمى كـأَن منَـوراً تَـخَلّلَ حر الرمل دِعصٌ له نَدِي
سقَتْـه إِيـاةُ الشـمس إِلا لِثاتِـهِ أُسِـفّ ولـم تَكْدِم عليهِ بِإِثمِـدِ[228]

ويقصد طرفة بـ"سقَتْه إِياةُ الشمسِ، معنَاه حسنَتْه وبيضتْه وأَشْربتْه حسنَاً، وإياةُ الشمسِ: ضوؤُها وشُعاعها، فأَراد أَن ثَغْرها أَبيض براقٌ"[229].

يقرن الشعراء في وصفهم بين البرد وبين سطوع الشمس، من خلال صورة أسنان المحبوبة ولمعانها عندما تظهر للشمس، وفي هذه الصورة حس دقيق، تم المزج فيه بين ثغر المحبوبة والأسنان والبياض في صورهم، وأما قول الشاعر:" أسف الأثمد عل اللثة، أي ذر

([227]) المرقشان: الديوان، تحقيق: كارين صادر، دار صـادر، بيـروت، لبنـان، ط 1، 1998م، ص 97،98. (الـوارد: الطويل. متراكم: متراكب.حبي المزن: ما اقترب من السحاب. الرباب: سحاب دون السحاب الأعظم).

([228]) طَرَفَةُ بن العبد: **الديوان**، ص20.(الخذول: الظبية التي خذلت أولادها بالابتعاد عنهم، الربرب: القطيـع مـن بقـر الوحش،الخميلة: الأرض الملتفة الشجر، الدعص: كثيب الرمل، تكدم: تعض، الإثمد: الكحل).

([229]) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيـق:عبـد الـسلام هـارون، دار المعارف، مصر(د.ت)، ص146.

عليها ولم تكدم بأسنانها على شيء يؤثر فيها، ونساء العرب تذر الأثمد على الشفاه واللثات، فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان "(230).

ويشبه الأعشى طرفة بن العبد من حيث تشبيه المحبوبة بالظبية، دلالة على ترفها وجمالها، فإذا بزغت الشمس، اختبأت منها في منطقة كثيفة الشجر، ملتف بعضه على بعض، فلم تر الشمس، يقول الأعشى: (الخفيف)

تَـنْفُضُ المرد والكبـاثَ بِحمـلا ج لَطِيـفٍ، فِي جانِبيـهِ انْفِراقُ
فِـي أَراكٍ مـردٍ، يكَـاد إِذَا مـا ذَرتِ الشمـس ساعـةً، يهراقُ،(231)

يصف الأعشى ترف محبوبته ونعومتها وتميزها عن الخلـق فـي حـسنها وجمالهـا، واستخدم الشمس ليدلل على مثل هذه الصفات، فالمرأة التي لا تراها الـشمس لا بـد أن تمتـاز بترفها، ثم إشارة إلى أنها مدللة مخدومة، فهي كالمهاة في جمالها التي لم تلحظها الـشمس ولـم تلذعها رياح الصيف اللافحة ولا برد الشتاء، فيقول: (المتقارب)

قَـبـان بِحسـنَـاء براقَـةٍ على أَن فِـي الطرفِ مِنْها فُتُورا
مبتلَـةِ الخَلْـق مِثْـلَ المهـا ةِ لَـم تَـر شَمساً و لا زمهريرا(232)

وينتقل جران العود إلى تشبيه محبوبته بالبيضة، حيث يخشى عليها من الندى والمطر، ويحاول أن يحميها من المطر إلى أن تطلع الشمس التي تنقذه من مثل هذه الأزمات، فيكون الشاعر قد حافظ على محبوبته وصانها من كل ما يمكن أن يضر بها، وما يؤذيها من حرارة الشمس أو من المطر على السواء، راغبا أن تبقى في ترفها ونعومتها دون أن يكدر عيشها، فيقول: (البسيط)

---

(230) الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجت الأثـري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، (د.ت)، 2/ 318.

(231) الأعشى **الديوان**، ص130.(المرد: ثمر الأراك الأخضر، الكباث: الناضج منه، الحملاج: المنفاخ،انفراق: انفساح).

(232) **المرجع السابق**، ص87، (مبتلة: كاملة).

كأنهـا حِين ينْضو الدرع مفْصِلُها سـبيكةٌ لـم تُنقصـها المثَاقِيلُ
أو مزنَةٌ كَشفَتْ عنْها الصبا رهجاً حتَـى بـدا ريقٌ مِنْها وتَـكْلِيلُ
أو بيضـةٌ بين أجمـادٍ يقَلبـها بِالمنْكِبين سـخَام الـزف إجفِيلُ
يخْشَـى الندى فَيوليهـا مقَاتِلـه حتَى يوافى قَرن الشمس تَرجِيلُ(233)

عمد جران العود إلى تتشبيه المرأة بالبيضة المتميزة بلونها الأبيض، كما يصور سرعة النعام وعدوه إلى بيضه ليحتضنه من الندى لئلا يفسد ويتغير، ويستمر في احتضانه لبيضه حتى ترتفع الشمس وتشتد حرارتها؛ لتحظى الشمس عند الشاعر بدور الصيانة والحفظ من الفساد.

ويصف سويد بن أبي كاهل اليشكري محبوبته أنها حرة، و ينتقل إلى جمال ثغرها كغيره من الشعراء، فقد لفتت أسنانها نظر الشاعر، ليأتي لها من الشمس صنوا، وكأن شعاعا سطع من وسط الغيوم، كما أراد الشاعر أن يصور الأسنان وجمالها، وإن لم يأت بوصفها مباشرة، فجاءت الأسنان باردة جميلة عذبة، يقول: (الرمل)

بسـطَـتْ رابِعةُ الحبـلَ لنَـا فَوصلْنَا الحبـلَ مِنْها مـا اتسـع
حـرةٌ تَجـلُو شَتِيتَـا واضِحـاً كَشُعاعِ الشـمـس فِي الغَيمِ سطَع
صـقَلتْـه بِقَضِيـبٍ نَاضِـرٍ مِـن أراكٍ طَـيبٍ حتَـى نَصـع
أبيض اللـون لـذِيـذاً طَعمـه طَيـب الـريـق إذَا الريـقُ خَدَع(234)

يظهر من الأبيات السابقة تركيز جمال الثغر والأسنان، كموطن جمال اهتم به الشعراء، وبينوا أثر الشمس فيه، كما زادت الشمس في وصفه وتوضيحه.

وينتقل سويد بن أبي كاهل اليشكري من وصف الأسنان والثغر إلى وصف الوجه، ويشير إلى أن محبوبته إذا نظرت في المرآة انعكست صورتها، ليبدو وجهها وضاء أبيض

---

(233) جران العود: **الديوان**،رواية أبي سعيد السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 2000م، ص38، 39. (سبيكة: فضة، سخام: لين، ترجيل: ارتفاع).

(234) التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني: **شرح المفضليات**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهـضة مصر للطباعة، مصر، (د.ت)، 2 / 700 ـ 701.(حرة:حسنة،الشتيت: المتفرق، يعني الأسنان، الواضح:الأبيض).

واضحا يمتاز بنقائه، كأنه الشمس المنيرة المشرقة التي تظهر في السماء بعد زوال الغيوم، وقد ظهرت وسط الصحو فازدادت نورا وإشعاعا، كما لم ينس الشاعر عينيها المكحولتين الجميلتين اللتين بدتا من وجهها: (الرمل)

تَمنَـــح المِـرآةَ وجهاً واضِحــاً مِثْلَ قَرن الشمس فِي الصحو ارتَفَع
صافِــي اللّـون وطَرفَـاً سـاجِياً أكْحَـلَ العينَيـن مـا فِيـهِ قَمَـع[235]

ويصور طَرَفَةُ وجه محبوبته الجميل وكأن الشمس كسته ضياء وحسنا، ويظهر دور الشمس الرئيس هنا، وكأن لها رداء تحله على وجه محبوبة الشاعر، فهي مانحة، ذات علاقة طيبة بها، ولون وجهها من لون الشمس الذي ينعكس على بشرتها، لتبدو جميلة مفعمة بالصفاء، فيقول: (الطويل)

ووجــهٌ كأن الشــمس حلتْ رِداءها عليْــهِ، نَقِيِّ اللــون، لــم يتَخَدَّدِ[236]

تبدو صورة الوجه في الأبيات السابقة واحدة، فالوجه قرص شمس في شكله، وإن لم يذكر الشاعر طرفة وجه الشبه بينهما، لكنه يظهر من المعنى العام أن المقصود هو الإشراق والجمال الذي ينم عن جمال صاحبه، فالوجه مشرق تغشى الظلام به فتضيئه.

ويلفت النظر في الأبيات السابقة أيضا نقاء لون الوجه، وقد تساوى عند الشاعرين سويد ابن أبي كاهل وطرفة بن العبد، النقاء الذي يدل على ترف صاحبته ونعومتها، وخلو بالها من الهموم والأحزان، وكدر العيش، فهو وجه جميل يجذب القلب، ويدال على الفتاة ونضجها، واكتمال تكوينها الجسدي.

ويصور أبو دواد الإيادي رحلة الظعائن مستخدما ضمير الجمع، فيصف الإبل اللواتي امتطينها في الرحيل، وكانت محبوبته واحدة من بينهن، وقد أخفين وجوههن بالثياب الميسانية

([235]) **المصدر السابق**، 2 / 702 ـ 703.(قرن الشمس:أعلاها، الساجي: الساكن، القَمع: كمد في لحم المؤق وورم فيـه).

([236]) طَرَفَةُ بن العبد: **الديوان**، ص 20.(لم يتخدد: لم تظهر فيه التجاعيد). وينظر: امرؤ القيس: **الديوان**، ص 140.

كما يخفي السحاب الشمس عن الأنظار، فيقول: (الخفيف)

وسـبتْني بنَـاتُ نَخْلَـةَ لَـو كُنْـ ـتُ قَـريبـاً أَلَـم بِـي إِلْمــام

يكْتَيِـن اليِنْجـوج في كُبـةِ المشْـ تَـى وبـلْـةٌ أَحـلامـهن وسـام

يكْتَيِـن اليِنْجوج في كُبـــةِ المشْـ ـي كَما صـان قَرن شَمس غَمام[237]

تتكرر الصورة ثانية عند الشاعر الطفيل الغنوي وعند غيره، فليس الشمس بأجمل من محبوبة الشاعر الطفيل، بل إنهما سيان، ووجهها مشع ومضيء كالشمس، كل ذلك يظهر بمجرد أن تكشف المحبوبة عن وجهها، فيقول: (الطويل)

عـروب كأَن الشمس تَحتَ قِنَاعِهـا إِذَا ابتَسمتْ أَو سـافِرا لَـم تَبسـمِ

رقُـود الضحى ميسـَان ليلٍ خَـريدةٌ قَد اعتَدلَتْ فِي حسـْن خلق مطَهمِ[238]

يتدرج الشعراء في وصف أثر الشمس في جسد من أحبوا، فقد ذكروا أجزاء وجهها، وما فيه من ثغر ولثة، ولم ينسوا معصمها الذي إن لبست قميصا جميلا مشقوقا، أبان عن مفاتنها وكشف عن معصمها، فيبين الأعشى أثر محبوبته قبل ارتفاع الشمس في الإنسان الوقور أكثر بكثير من الشمس، فإذا لبست قميصها المشقوق وبرزت مفاتنها خلبت عقل ناظرها، فهي وكأنها أشد لمعانا من الشمس قبل اشتداد أشعتها ـ أي قبل ارتفاع الشمس، لتصل وقت الظهيرة ـ حيث قارن الشاعر بين الشمس قبل اشتداد أشعتها لإمكانية النظر إليها، وبين محبوبته، ويبين أنه عند اشتداد الأشعة يصعب النظر إلى الشمس، فيقول: (الطويل)

وإنـي إذَا مـا قُلْتُ قَـولاً فَعلْتُـــه ولَســـتُ بِمخـلافٍ لِقَولـي مبدل

تَهـالك حتى تُبطِر المـرء عقْلَـــه وتُصبِي الحلِيـــم ذَا الحِجى بالتقَتل

([237]) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قُريب: **الأصمعيات**،تحقيق وشرح:د.عمر فاروق الطباع، دار الأرقـم بـن أبـي الأرقم، بيروت، لبنان،(د.ت)، ص:156، 157، (نخلة: اسم موضع، الينجوج: عود من الطيب، المشتى: الشتاء، يـصن: يحفظن،الميسناني: ثياب منسوبة إلى ميسان على غير قياس).

([238]) الطفيل الغنوي: **الديوان**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، مطابع معتوق إخوان، بيروت، لبنـان، ط1، 1968م،ص75.(عروب: نقية كاملة، ابتسمت: كشفت نقابها، الميسان: مفعال من الوسن، المطهم: التام المحسن مـن كل شيء).

إذَا لَبِسَـتْ شَـيْدارةً ثُم أَبْـرقَـتْ بِمِعصمِها، والشَـمس لما تَرجَـل[239]

لا يقلل قيس بن الخطيم، من قيمة المرأة في الوجود، فقد تحدث عن المرأة بشكل كامل مكتمل دون تخصيص جزء منها، فهي كالشمس في طلعتها إن هي بدت، واصفا ظهور محبوبته كالشمس التي يظهر جزء منها ويختفي آخر من بين الغيوم، وفي ذلك إشارة إلى ضنها وبخلها عليه بالظهور، كما ينظر قيس إلى فتاته وهي تتضمخ بالطيب، فيراها تميل إلى الصفرة كصفرة الشمس عند المغيب: (الطويل)

تَـعَـرفُ رسـما كـاطرادِ المذَاهِبِ لعمـرةَ وحشْـاً غَير موقِفِ راكِبِ
دِيار الّتي كَادتْ ونَحـن على مِنًـى تَحـل بِنَا، لَـولا نَجـاء الركَـائِبِ
تَبدتْ لنَـا كَالشَـمس تَحتَ غَمامـةٍ بـدا حـاجِبٌ مِنْها وضنتْ بِحاجِبِ[240]

ويأتي المرار بن منقذ بصورة قريبة جدا من صورة قيس بن الخطيم في صورته السابقة، وهي وصف المحبوبة بالشمس، فيقول إن محبوبته شمس داخل ملبسها، فلو جردتْ من جلابيبها لحسبت أنها الشمس بعينها: (الرمل)

أَمـلَـح الخلـق إِذَا جـردتَهـَـا غَير سِـمطَين عليهـا وسـؤُر
لحسِـبتَ الشـمس فِـي جِلْبابِها قَـد تَبدتْ مِـن غَمـامٍ منْسـفِر
صورةُ الشـمس على صـورتِهـا كُلمـا تَغْرب شَـمسٌ أَو تَذُر[241]

ويبالغ المرار في وصفه؛ فيرى أن الشمس في جمالها على صورة محبوبته.

وتستبدل الشمس في شعر عنترة عند غيابها بالمحبوبة، فإذا غابت الشمس طلبت من المحبوبة أن تسد مكانها لتنير الكون بدلا منها بجمالها، فتبقى الحياة مستمرة في إضاءتها، ويبدو من ذلك تفاؤل الشاعر بالحياة طالما بقيت محبوبته، فكان الشاعر بذلك متحدثا بلسان الشمس،

([239]) الأعشى: **الديوان**، ص146.(تهالك: تتمايل في مشيتها، تبطر: تدهش، ذو الحجى: صاحب العقل، التقتـل: التثنـي، شيدارة: كلمة فارسية معربة معناها: الأتب: برد يشق تلقيه المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب، ترجلـت الـشمس: ارتفعت).

([240]) قيس بن الخطيم: **الديوان**، ص76ـ 79.(اطراد: من قولك اطرد: إذا تتابع، وحشا: قفرا، حاجب: جانب)

([241]) التبريزي: **شرح المفضليات**، 1/ 309 (السمط: النظيم من اللؤلؤ، سؤر: جمع سوار، منسفر: منقشع).

وبلسان البدر، فلا فرق عند الشاعر بين الكوكبين؛ السماوي (الشمس) والأرضي (المحبوبة) فيقول: (الطويل)

أشَارتْ إليها الشمس عِنْد غُروبها تَقُولُ إذَا اسود الدجى فاطْلُعِي بعدِي

وقَـالَ لها البدر المنير ألا اسفري فإنكِ مِثْلي فِي الكمال وفِي السعدِ[242]

ويتكرر الحديث عن المرأة لتسد مكان الشمس عند الغياب مرة أخرى، فلا يبتعد قول عنترة كثيرا عن قول حسان، فيرى حسان أن الشمس إذا غابت في المساء لن يضره ذلك حيث أن المرأة ستسد مكانها، ونور المرأة المساوي للشمس يزيل ظلام الليل ويبدده، فيقول: (البسيط)

ما بـالُ عينِك يا حسـان لم تَنَـم مـا إن تُغَمض إلا مؤثِم القَسـمِ

أم أحسبِ الشمس تبدو بالعِشاءِ فقد لاقيتَ شَمساً تُجلي ليلَـةَ الظـلَمِ[243]

ويبين عنترة أن ليالي كثيرة مرت وقد عانق فيها فتاة جميلة وقبلها، وكانت كالشمس في جمالها وإشراق طلعتها، فاستحق طلوعها و جمالها من الشاعر السجود والصلاة لها ولجمالها؛ لتدوم على هذه الحال، يقول: (الكامل)

كَـم ليلَـةٍ عـانَقْتُ فِيـهـا غَـادةً يحيـا بِهـا عِنْـد المنـامِ ضجيعها

شَـمسٌ إذَا طَلعتْ سـجدتُ جلالَـةً لِجمالِها وجلا الظلام طُلُوعها[244]

لا يختلف الشعراء عن بعضهم بعضا في وصفهم، فقد تكرر وصف المحبوبة عند الشعراء باللون لأبيض، من بينهم الشاعر النابغة الذي يسبغ على محبوبته (نُعم) اللون الأبيض، وليس هذا وحسب بل هي كالشمس في بياضها، وقد اكتملت في أوصافها، فلا فرق بين المحبوبة والشمس، علما أن اللون الأبيض الذي كثر ذكره في تشبيه المحبوبة، واختصت به، لم يكن هكذا، وإنما ذكره الشاعر ليدلل على عفاف المرأة وشرفها، و" طيب رائحة فمها ليطيب للشاعر اللهو معها دون تكدير"[245] فيقول:

([242]) عنترة بن شداد: **الديوان**، شرح: د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص215.

([243]) حسان بن ثابت: **الديوان**، شرح: د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص374.

([244]) عنترة بن شداد: **الديوان**، ص251.

([245]) أمل محمود عبد القادر أبو عون: **اللون وأبعاده في الشعر الجـاهلي**، رسالة ماجستير ـ جامعة النجاح الوطنيـة ـ نابلس، 2003م، ص 77.

(البسيط)

رأيتُ نُعماً وأصحابي علـى عجلٍ **والعِيس للبين قـد شُـدتْ بأكوار**
فَريع قَلْبي وكانَتْ نَظْرةً عـرضتْ **حينَـاً وتَوفِيـق أقْـدارٍ لِأَقْـدار**
بيضاء كالشمس وافَتْ يوم أسعدها **لم تُؤْذِ أهلاً ولم تَفْحِشْ على جار**[(246)]

ويتكرر تشبيه المرأة بالشمس عند الشاعر نفسه، ولا تفارق لسانه، ليستعير لها من الشمس الحسن والجمال والرونق الجميل، وإن لم يذكر هذه المرة تساويها بالشمس في البياض، لكنها تبقى كالشمس في بهائها وإشراقها، ثم يصف النابغة محبوبته مكتملة في شكلها كقرص الشمس في يوم أسعدها، ويلجأ النابغة في وصف المتجردة زوج النعمان إلى " تشبيهها بالشمس يوم طلوعها بالأسعد، وهو برج الحمل، حيث تكون الشمس بين غلائل من السحب الشفافة، فتبدو في أزهى صورة وأجمل منظر، وكذلك المتجردة حين تظهر بين سجفي الستر"[(247)]، فيقول:

(الكامل)

قـامتْ تَـراءى بين سـجفَي كِـلةٍ **كالشمس يوم طُلُوعِها بِالأسـعدِ**[(248)]

نجد أن الشمس تتساوى مع محبوبته في إشراقها وجمالها، وصورة الشمس هذه لا تغادر أشعار الشعراء المعجبين والمتغزلين بمحبوباتهم، الذين استعاروا منها الجمال والضياء لها، وأسدلوه على من رقت لها قلوبهم، وإذا أخذنا جملة من الشعراء، نجد أن صورة الغزل التقليدي ذاتها تتكرر تقريبا عندهم، بل أحيانا في قصيدة الشاعر الواحد، ليبين جمالها وحسن منظرها وقد بدت من بين السحب لتبدو بأزهى رسم لها.

يصف الشاعر قيس بن الخطيم جمال محبوبته، التي تمنى لقاءها وقد سعد بذاك اللقاء، هذه المحبوبة التي كانت كالشمس في وقتي الشروق والغروب معا، كما رآها تميل للصفرة، مما يؤكد أثر الشمس في جمال المحبوبة، فزادها نعيما في شبابها، ثم امتازت بالصفرة من وضعها

---

(246) النابغة: **الديوان**، ص38(الأكوار:مفردها كُوروهو الرحلُ، يوم أسعدها: منازل السعود وهي عدة).
(247) الجبوري: يحيى، **الشعر الجاهلي**،مؤسسة الرسالة،بيروت، لبنان،ط8، 1997م، ص233.
(248) النابغة: **الديوان**، ص29.(السجف: الستر الرقيق المشقوق الوسط، الكِلة: غشاء رقيق يتـوقى بـه مـن البعـوض كالناموسية).

الطيب على جسدها في المساء، وكأنه من لونه صبغت باللون الأصفر، فيقول: (الكامل)

كـ ـان المنَـ ـى بِلِقَائِهـا فَلَقِيتُهـا   فَلَـهوتُ مـِن لَـهو امرِئٍ مَكْذُوبِ

فَرأَيتُ مِثْلَ الشَّـَمسِ عِنْدَ طُلُوعِها   فِـي الحسـْن أَو كـدنُوها لِـغُروبِ

صفْراء، أَعجلَهـا الشـ ـباب لِداتِها   موسومةٌ بِالحسن غَيـر قَطُـوبِ[249]

تمتاز الشمس من خلال الأشعار السابقة بلونها الأصفر، وهو اللون الذي امتازت به محبوبة الشاعر كغيره من الشعراء[250]، فقد انعكس لون الشمس عليها، وهو لون كاللون الأبيض الذي سبق ذكره، ليعطي صفة القداسة التي تقربها من الإلهة الأم (الشمس)، كما يظهر إعجاب الشعراء بالشمس عند الطلوع وعند الشروق، في وقت عبدت وقدست فيه.

أما عنترة فيلجأ إلى استخدام الشمس بدلا من المحبوبة، دون ذكر أدوات التشبيه على العكس مما هو في أبيات ابن الخطيم السابقة مثلا، فيتحدث عن الفتاة الغانية مواريا ذلك بالكوكب اللامع ألا وهو الشمس، التي تميل في لونها إلى الحمرة، لقد أراد بالشمس وجوه الجواري في إشراقها وتألقها، وفي صفاء أجسادهن وقد تحلين بالقلائد وأدوات الزينة: (الكامل)

واسـ ـتَوقَفُوا مـاء العيـون بِـأَعينٍ   مَكْحولَـ ـةٍ بِالسـ ـحرِ لا بِـالإِثْمِدِ

والشـمس بيـن مضـرج ومبلـج   والغُصن بيـن موشـح ومقَلـدِ[251]

وما يؤكد حديث الشاعر عن وجه الغانية، عدم تأنيث كلمة مضرج فلم يقل مضرجة، أو مبلجة. أما وصف الوجه بمسحة من الحمرة أو الصفرة، لم يكن ليعني سوى الخدود وهي موطن الجمال في الوجه، وفيه دلالة على امتزاج اللونين معا، وهو لون جميل أيضا حيث يكون الأحمر في الخد، تبدو صفة الحسن والوسامة.

([249]) قيس بن الخطيم: **الديوان**،ص:57ـ58.(صفراء: أراد أن لونها يضرب إلى الصفرة من الطيب، القطوب: القابض ما بين عينيه من جلد عابس).

([250]) انظر، النابغة: **الديوان**،ص 29.

([251]) عنترة بن شداد: **الديوان**، ص212، (ثوب ضرج و إضريج: متضرج بالحمرة أو بالصفرة، وقيل: الإضريج صبغ أحمر، وثوب مضرج، وأما المبلج: فهو الظاهر، والمشرق من قولهم: أبلجت الشمس: أي أضاءت، وأبلج الحق: ظهر).

يرسم الشاعر الأعشى صورة أخرى للمحبوبة والشمس، فهي تبدو كأنها روضة جميلة مليئة بالأزهار، وقد لاعبتها الشمس بأشعتها وشاركتها في الضحك. وهذا يبين شدة العلاقة بين الشمس وهذه الروضة، التي تستمد خضرتها ورونقها الجميل من الشمس، فالروضة التي يتحدث عنها الشاعر، تجمع مظاهر الجمال البيئي الذي طالما تاق إليه الشاعر كغيره من البشر، بما فيه من نبات وخصوبة وورود وأشجار، كما بين الشاعر أثر المطر في خضرة الروض، مما أوجد طبيعة فائقة الحسن، ليحيط الشمس بكل أسباب النعيم كحبيبته، فيقول: (البسيط)

ما روضةٌ مِن رياض الحزن معشبةٌ خَضراء جاد عليها مسبِلٌ هطِلٌ

يضاحِكُ الشمس مِنْها كوكبٌ شَرِقٌ مؤزرٌ بِعميـمِ النبـتِ مكْتَـهلُ(252)

ولم يكن خداش بن زهير الشاعر الأوحد الذي لجأ إلى الطبيعة الحية ليشبه محبوبته بها، فقد صور محبوبته بالظبية التي تطارد ظبيا متوسط العمر؛ تبغي مورد الماء البعيد، فإذا اقتربت الشمس من حجابها انثنت ما بين أغصان شجرة الأراك: (الطويل)

إذَا الشمس كانَتْ رتْوةً مِن حِجابِها تَقتْهـا بِأطْرافِ الأراكِ وبِالسـدر(253)

ويصف الشاعر حميد بن ثور أثر الشمس وحرارتها على الحمامة، هذه الحمامة التي يشتد وجهه لجمالها، والمميزة بلونها: (الطويل)

وما هـاج هذَا الشـوقَ إلا حمامـةٌ دعتْ سـاقَ حـر تَرحـةً وتَرنما

مِن الورق حمـاء العِلاطَين بـاكَرتْ عسِيب أَشَاءٍ مطْلَع الشمس أَسحما

(252) الأعشى: **الديوان**، ص150. (الحزن من النبات: ما غلظ منه،السبل:المطر الهاطل، الكوكب: الزهر، شرق: ريـان، مؤزر: لابس الإزار، العميم:كلّ ما اجتمع وكثر، مكتهل: تام).

(253) يعقوب، عبد الكريم إبراهيم: **أشعار العامريين الجـاهليين،**، دار الحوار،اللاذقيـة، سـوريا، ط1، 1982م ص35. (رتوة: قريبة، الحجاب:موضع مأواها، تقتها: اتقتها).

إذَا هزهزتْه الريح أَو لعبَـتْ بِـهِ   أَرنتْ علَـيهِ مـاثِلاً ومقَـومـا[254]

يصور الطفيل الغنوي ترف محبوبته ودعتها، فكانت محبوبة الشاعر إذا ملتْ من الشمس، دخلت خباءها واستترت فيه، لتعيش حياةً حرة لم تلفحها الشمس بأشعتها القوية، فيقول:

(الطويل)

إذا هِي لم تَسـتَكْ بِعـودِ أراكـةٍ   تُنُخلَ فاسـتاكَتْ به عود إسـحل

إذَا سئِمتْ مِن لَوحةِ الشمسِ كَنها   كِنَاسٌ كَظِـلِ الهودجِ المتَحـجلِ[255]

بهذا يكون تأثير أشعة الشمس قد شمل الطبيعة النباتية والحيوانية والإنسانية، فلم يسلم أحد من جفافها وقحطها، فمن استطاع الاختباء منها نجا من حرها، ومن لم يستطع بقي معانيا من حرارتها.

([254]) حميد بن ثور الهلالي: **الديوان،** الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،1951م، ص 24،(ساق حرة: قيـل هو ذكر القمارى لصوته، ترحة: حزنا، ترنما: صوتا لايفهم، العلاطان: الرقمتان في أعناق الطيـر، العـسيب: الغـصن، الأشاء: صغار النخل، أرنت: صاحت، وماثلا ومقوما: حالان من العسيب).

([255]) الطفيل الغنوي: **الديوان،** ص 65، (الإسحل: عود يستاك به، سئمت: ملت، اللوحـة: حـرارة الـشمس، كنهـا: سترها،الكِناس: خدر الجارية، المتحجل: من الحجل وهي الستور).

المبحث الثاني

الشمس والحرب

كثرت الحروب والنزاعات بين العرب الجاهليين، وكان من أهم أسبابها الخلاف بين القبائل على الكلأ والماء، وعدت الحرب وسيلة من وسائل الرزق والتكسب، فيها الغارة والسلب والثأر، بل افتخروا بها وبشجاعتهم فيها، فهي إشارة إلى القوة، ودليل الصبر، ورأوا أن الرجال خلقوا لخوض غمارها.

أعجب الشعراء بشجاعتهم في الحرب، وتغنوا كثيرا بانتصاراتهم حينما تقع الوقيعة، وتردد ذكر الشمس في هذه الأشعار، فهذا الحطيئة يصف قوة قومه وشدة بأسهم في الحرب، حين حموا ما يملكونه بقوتهم، ويذكر أن قبيلته ذات عتاد وعدة، كثيرة المقاتلين لا يمكن إخفاء قوتها وهيبتها وسطوتها في وضح النهار، فيقول:

(الطويل)

فَلَن تَعلقُونَا الضيم مـا دام جِذْمنَا ولما تَروا شَمس النهار استَسرتِ(256)

ويصف أمية بن أبي الصلت كثرة عدد قومه ثقيف إذا احتشدوا لأمر معين، فإنهم لا يدعون للشمس منفذا، فيردون ويمنعون شعاع الشمس من الوصول إلى الأرض، وبذلك يصعب عدهم لكثرتهم، فيقول: (الكامل)

وإذا دعـوتـهـم لِكـــُل مـلمةٍ سدوا شُعاع الشـمس بِالفُرسان(257)

كان الشاعر إذا أراد أن يكنى عن كثرة عدد قومه، لجأ إلى الشمس ليجد فيها مجالا ملائما وخصبا للحديث عن ذلك.

---

(256) الحطيئة: **الديوان**، شرح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص42.(عاف الرجل: شرب كثيرا، الضيم: الظلم، الجِذم: الأصل).

(257) أمية بن أبي الصلت: **الديوان**، المطبعة الوطنية، بيروت، لبنان، ط1، 1934، ص68.

كما ارتبطت الشمس في الشعر الجاهلي بالمعارك والجيوش كثيرا، وصورت الشمس نهارا شاهدا بين المتنازعين، أو هي الحكم الذي يحدد وقت بدء المعركة وتوقفها، وربطوا ذلك بطلوعها ومغيبها، فالحرب تخضع لقوانين تلزم طرفي النزاع بالالتزام بها، ففي وقت الصباح ومع شروق الشمس يبدأ القتال، وبمغيبها تتوقف المعركة، لتعاود في يومها التالي من جديد، فلا حرب ولا قتال في الليل، حيث كان المقاتلون "إذا جاء الليل يرجعون عن القتال، فإذا عاد النهار عادوا"(258)، ويظهر مثل هذا في قول الخنساء الشاعرة: (الطويل)

ألا أَبلِغَـا عنـي سـليماً وعـامِراً ومَـن كان مِن عليـا هوازن شَاهِدا

بِأن بنِـي ذُبيـان قَـد أرصدوا لَكُم إِذا ما تَـلاقيتُــم بِـأن لا تَعـاودا

فَـلا يقربـن الأرض إِلا مسـارقٌ يخَافُ خَميساً مطْلَع الشمس حارِدا(259)

من المعتاد أن يبدأ الهجوم على الأعداء مع أول النهار، وخير مثال على ذلك ما ذكره السليك عندما خرج في غزو، فما أن بزغ الصباح، حتى أرى خصمه الموتَ بعينيه، ودب في قلبه الخوف، كل ذلك قبل أن تَنْشُر الشمس شُعاعها بين ظهرانيهم، ليصف ذاك اليوم المليء بالرعب، فيقول: (الطويل)

رددتُ عليـهِ نَفْسَــه، فكَـأنمـا تَلاقَـى عليهِ مِنْسرٌ وسـروب

فَما ذَر قَرن الشمس، حتَى أَريتُه قِصـار المنَايا، والفُـؤَاد يذُوب(260)

فنرى في بيت السليك السابق أن الشعراء قد تحدثوا عن بداية المعركة في الصباح من خلال قول الشعراء (ذر قرن الشمس)، ويقول يزيد بن عبد المدان في الحرب قبل أن تقوى

---

(258) **لسان العرب**، مادة (صبح).

(259) الخنساء وليلى الأخيلية: **ديوان الباكيتين**، شرح: د. يوسـف عيـد، دار الجيـل، بيـروت، لبنـان، ط1، 1992م، ص46.(المسارق: المتخفي، الخميس: الجيش الضخم، الحارد: القاصد).

(260) السليك: **شـعره**، جمعه حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني، بغداد، ط1،(د.ت) ص 45، 46.(المِنْسر: القطعة من الجيش، السروب: الجماعات من الخيل أو الظباء).

الشمس أيضا: (الطويل)

فما ذَر قَرن الشمس حتى تَلاحقَتْ ... فَـوارس يهدِيـها عميـرٌ ومعقِـلُ

فجالَتْ على الحي الكلابي جـولةً ... فَبادَرهم وردٌ مـن الموتِ معجِلُ[261]

ومثله قول الشاعر مالك بن خالد الخُناعى الذي يشيد بقوة بني عمرو بن خزاعة وسطوتهم، وقد غزوا بني لحيان، فيقول: ما أن ارتفعت الشمس حتى كان الفتك بالأعداء قد وقع، وكانوا كأنهم خشب مطروحة أرضا، فتزداد قوة قومه كلما ارتفعت الشمس وقويت: (الطويل)

فَضـاربهـم قَومٌ كِـرامٌ أَعِزةٌ ... بِكُل خُفَافِ النصل ذِي ريدٍ عضبِ

فَما ذَر قَرن الشمس حتى كأنهم ... بِذَاتِ اللظى خُشْبٌ تُجر إلى خُشْبِ[262]

امتاز المجتمع الجاهلي بالكرم، وكان من واجب العربي أن يقدم القرى للضيوف على عادات العرب في بيئة لا ترحم، ومن الصعب معرفة ما إذا كان الضيف مخادعا يبغي الشر والسلب، لكن كثيرا ما يحيق المكر السيء بأهله وبمن دبر الغارة، لتحل بهم الهزيمة المنكرة، ولينتصر المغار عليهم، فتنطلق ألسنة شعرائهم يحيون من وقف من أبنائهم، ويشيدون بأبطالهم، وبما تميزوا به من شجاعة، يقول الشاعر المعقر بن حمار البارقي: (الطويل)

فَباتُوا لنَـا ضيفَـاً وبِتْنَـا بِنَعمـةٍ ... لنَا مسمِعاتٌ بِالدفُوفِ وسـامِـر

ولم نُقْـرِهِم شَـيَئاً ولكِن قَصدهم ... صبوحٌ لدينَا مطْلِع الشمس حازِر

صبحنـاهم عِنْـد الشّـُروق كتَائِبـاً ... كأَركَانِ سلمى، شَبرها متَواتِـر[263]

ولم يقدم قوم الشاعر المعقر قرى لمن نزل عندهم، لمعرفتهم أن هؤلاء الضيوف قصدهم مهاجمتهم عند مطلع الشمس، فأخذ الشاعر وقومه الحيطة والحذر منهم، دون أن يبدو لهم ذلك،

([261]) صفدي، مطاوع وآخرون: **موسوعة الشعر العربي،** إشراف: خليل حاوي، خياط للنشر، بيروت، لبنان، 1974، 3/ 362.(ذر: طلع، قرن الشمس:أول ما يبدو منها، شُبه بقرن الغزالة وهو حاجبها وأول ما يبدو منها، ورد: نَصيب).

([262]) الهذليون: **الديوان،** الدار القومية للطباعة، القاهرة، مصر، 1965م، 16/3.

([263]) صفدي: **موسوعة الشعر العربي،** 463/4.(كتائبا: أي فرق الجيش، سلمى: جبل في بلاد طيء، الشبر: الإعطـاء، متواتر: متواصل).

وكان مطلع الشمس على المهاجمين مشؤوما، وقد تم الإيقاع بهم.

وكما تحدث الشعراء عن المعارك قبل طلوع الشمس نرى الشاعر حاتم الطائي يعتز بنفسه، ويفتخر بقوته على الأعداء قبل أن تشرق الشمس، وقد اتخذ أعلى مكان لمراقبتهم، فكانت مرقبته دون السماء إشارة إلى علو المكان، ثم اتخذ الشاعر المرقبة لكونها مكانا مميزا عنده تساعده على مراقبة عدوه، ورصد حركاته، فهو يقف مكانه ويتأهب قبل أن تشرق الشمس، يقول: (الطويل)

ومـرقَبـةٍ دون السـماءِ طِمـــرةٍ ... سـبقتُ طُلُوع الشمس منها بِمرصدِ

وسادي بها جفْن السـلاح وتارةً ... على عدواءِ الجنْبِ غيْـر موسدِ [264]

ويفتخر عوفُ بن المنْتَفِق العقَيلي العامري بقتله لقيط بن زرارة يوم شعب جبلة قبل اشتداد أشعة الشمس، يقول: (من الكامل ـ الضرب أحذّ مضمر)

ظلّـتْ تلُوم لِمـا بِهـا عِرسِــي ... جهـلاً وأنْـتِ حـلِيمـةٌ أمـس

إن تَقْتُلُـوا بكْـري وصاحِبـه ... فلقَـــد شَـفَيتُ بِســيفِهِ نَفْسِي

فقَتَلْتُـه فِـي الشـعبِ أولَ فـارس ... بِالشـرق قبـلَ تَرجـل الشمس [265]

فالشاعر عوف يفتخر أنه قتل لقيط في الصباح وقبل علو الشمس وارتفاعها في السماء، ليبين قوته وعزيمته، ولم يستطع لقيط الاستمرار في الوقوف في وجه الشاعر.

ثم يكاد ينفرد عنترة بالحديث عن الحرب في وقت الظهيرة، والشمس في كبد السماء، دلالة على شدة الحر والقيظ، فهذا عنترة يخوض القتال في عز الظهيرة، وفي مثل هذا الوقت يجبن الناس ويخافون من الإقدام على القتال، فقد أعرب الشاعر عن قوته ومعرفته بالحروب وكيف كان صاحب توجه صحيح، يعجب ببطولته، ويبين كيف كان يواجه جيشا جرارا عظيما، حتى كان الكل يستغيث به، ويفتخر به ذاكرا صفاته لعبلة، قائلا: خضت الكثير من الشدائد

([264]) حاتم الطائي: **الديوان**،دار صعب، بيروت،1980م، ص 71.(المرقبة: من راقب، وهو المكان المخصص للمراقبـة، الطمرة: عنى بها الوثوب في السماء والمكان المرتفع،الرصد: هو القعود لآخر على نية الإيقاع به، جفن السلاح: أي غمد السيف، العدواء: هي الأرض اليابسة الصلبة).

([265]) يعقوب: **أشعار العامريين الجاهليين**، ص 84 (الشعب: الانفراج بين الجبلين).

ياعبل، ولم أخش جموع المحتشدين. فكانت الشمس أصدق شاهد على صنيع عنترة، ودليلا على صعوبة المعركة وما كان يحفه فيها من حرارة وقيظ: (الكامل)

يـا عبلَ لـ ـولا أن أراكِ بِنَـاظِري ـ ـا كُنْتُ أَلْقَـى كُل صـعبٍ منْـكَر

يـا عبـلَ كـم من غَمرةٍ باشَرتُها بِـمثَقفٍ صـلْبِ القَـوائِمِ أَسـ ـمر

فَأتَيتُها والشمس فِـي كَبِـدِ السـما والقَـوم بيـَن مقَـدمٍ ومؤَخـر(266)

ويذكر عنترة مرة ثانية في موقع آخر بسالته في قيادة جيشه، حيث سرى بهم ليلا حتى اقترب منتصف النهار، وأخذت الشمس وسط السماء، ولإظهار صعوبة الموقعة، وكان اختيار الليل في السري هدفا للوصول إلى الأعداء صباحا، وليكون القوم مستغرقين في نومهم، ولتسهل رؤية ما يمكن أخذه من الأعداء، ولما في الليل من سكون، فيقول: (الكامل)

وصحابـةٍ شُـ ـم الأنـ ـوفِ بعثْتُهم ليـلاً وقَـد مـالَ الكَـرى بطُلاهـا

وسريتُ فِي وعـثِ الظـلامِ أَقُودهم حتـى رأَيتُ الشـمس زالَ ضحاهـا

ولَـقِيتُ فِـي قُبـل الـهجِير كَتيبـةً فَطَـعـنْتُ أَولَ فَـ ـارِس أُولاهـ ـا

وضـربتُ قَـرنَي كَبشِـها فَتَـجدلا وحمـلْتُ مهري وسطَها فَمضاها(267)

يتدرج الشعراء في الحديث عن وقت الحرب، ففي الأبيات السابقة تحدث الشعراء عن الحرب قبل طلوع الشمس أو مع طلوعها كما هو عند كل من السليك ويزيد بن عبد المدان ومالك بن خالد الخناعي والمعقر بن حمار، ورأينا أن عنترة تحدث عن الحرب وسط الظهيرة، أما علقمة فيصفها وقت غروب الشمس قائلا في مدح الممدوح الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني، واصفا يوم قتال طويل حتى غربت الشمس وآذنت بالرحيل: (الطويل)

فَجـالدتَهم حتـى اتَّـقَوك بِـكَبشِهم وحمـلْتُ مهري وسطَها فَمضاها(268)

---

(266) عنترة: **الديوان**، ص223(الغمرة: الشدة).

(267) **المرجع السابق**، ص70.(شم الأنف: من الصفات العظيمة عند العرب،الهجير: منتصف النهار، تجدلا: انصرعا).

(268) **المرجع السابق**، ص70.(شم الأنف: من الصفات العظيمة عند العرب،الهجير: منتصف النهار، تجدلا: انصرعا).

فعلقمة خص القتال الذي استمر حتى وقت غروب الشمس؛ ليدلل على شجاعة الممدوح، وقوة عزيمته، حتى استطاع أن يقاتل يوما كاملا دون وناة وضعف.

كان المقاتلون يرسمون الخطط الحربية كي لا تفشل حروبهم ويوقع الأذى بأصحابها، فكانوا يخرجون في غارات على الأعداء مع غروب الشمس أو في أثناء غيابها عن الوجود، دون سابق إنذار، لكي يتسنى للمقاتلين الاختفاء ولا ينكشفون لأحد، لذلك "كان نجاح الغارة يتوقف على عنصر السرية والمفاجأة، وعادة كان الهجوم في الغارة يسبقه عيون يتقدمون المغيرين ليستطلعوا أخبار القوم"(269).

وصفت الحرب عند الشعراء كالنار الحارة والشمس المحرقة، التي كان على من وطِئها اليقظة من الاشتواء بها، يقول حاتم الطائي: (الكامل)

وتَـواعـدوا ورد القُرَيةِ غُدوةً ... وحلفْـتُ بِـا ـ العزيـز لنُحبـس

وا ُ يعلـم لو أتَـى بِسـلافِهم ... طَرفُ الجريض لظلّ يومٌ مشكِس

كالنار والشمس التي قالتْ لها ... بيـدٍ اللويمِس عالِماً مـا يلمِس(270)

يقصد حاتم هنا التهديد والوعيد لأعدائه، فهو يتوعدهم بالشر والعقاب إذا ارتكبوا ما يخططون له، حيث ما يرتكبه الأعداء من أفعال وصنيعة لا يمكن السكوت عليه أو التغافل عنه، وستقوم حرب وتكون كالنار التي لا تترك أخضر أو يابسا إلا وأكلته، أو كالشمس الشديدة المحرقة التي تصهر الحجارة.

ويرى المهلهل ضرورة عدم المصالحة مع من قتل أخاه، مادامت الشمس تجري في مجاريها وفي بروجها: (البسيط)

مستَقْدِماً غُصصـاً للحرب مقْتَحماً ... نَـاراً أُهـيجهـا حينَـاً وأُطفيـهـا

---

(269) الجندي، د.علي: **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1963م، 1 / 79.

(270) حاتم الطائي: **الديوان**، ص96.(الورد:طلب الماء، السلاف: الخمرة، الجـريض: المغمـوم، المـشكس: الـصعب، اللويمس: تصغير لامس).

لا أصابح ا ُ هنا من يصد الحكْم ما لاحتِ الشمس فِي أعلى مجاريها(271)

ويقول عمرو بن معد يكرب مفتخرا بشجاعته، وخوضه الحروب والقتال قبل طلوع الشمس أو عند طلوعها، ففي الصباح كانت كتيبة الجيش تبدو بيضاء لما يلبسون من عتاد حربي كالقلنسوة والتي تضرب أشعة الشمس عليها، فينعكس شعاعها: (الطويل)

ومردٍ على جردٍ شَـهدتُ طِـرادها قُبيـلَ طلُـوع الشمس أو حِين ذَرتِ

صبحتُهـم بيضـاء يبـرقُ بيضهـا إذا نَظَرتْ فِيها العيون ازمهرتِ(272)

كان حديث الشاعر عمرو ووصفه للحرب هنا إعجابا بالنفس، لأنه أهل لها، فهو ذو قوة وشجاعة، إنه من يقابل الشدائد بقلب ثابت وصدر واسع.

ويرسم مالك بن نويرة صورة جميلة للشمس التي كانت تنعكس أشعتها على أسلحة جماعته، والنهار بأوله، فالشمس رغم بداية شروقها، إلا أن الكتيبة تبرق وتلمع، وفي ذلك دلالة واضحة على كثرة العدد والعتاد، فيقول واصفا يوم المخطط من أيام بني يربوع في الجاهلية الذي انتصروا فيه على بني بكر: (الطويل)

فما فتِئـوا حتـى رأونَـا كـأننَـا مع الصبح آذِي مِن البحر مزبِـد

بِملْمـومةٍ شَهبـاء يبـرقُ خَالُها تَرى الشمس فِيها حِين ذَرتْ تَوقد(273)

وانظر إلى الدرع من أدوات الحرب في قول الشاعر أوس بن حجر، تجده وكأنه أشبه بالغدير المتموج الذي صادف يوما مشمسا، فيقول: (الطويل)

([271]) المهلهل: **الديوان**، شرح وتحقيق: أنطوان محسن القـوال، دار الجيـل، بيـروت، لبنـان، ط1، 1995م، ص، 93، (الغُصص: ما اعترض في الحلق من طعام).

([272]) الأصمعي: **الأصمعيات**،ص99.(المرد:الفتية جمع أمرد، الجرد: جمع أجرد وهو الفرس القصير الـشعر، الطـراد: الفرسان، صبحتهم: جئتهم صباحا، ازمهرت: احمرت من الغضب).

([273])الصفار، ابتسام مرهون: **مالك ومتمم ابنـا نـويرة يربـوع**، مطبعـة الإرشـاد، بغـداد 1968م، ص61.(الآذي: الموج،الملومة: الكتيبة المجتمعة، وهي شهباء لكثرة ما فيها من السلاح، الخال: اللواء).

وأملس صولِـياً كـنِهـي قـَرارةٍ   أحسـ س بـِقاعٍ نـفح ريح فأجفلا

كأن قُرون الشمس عِنـد ارتفاعهـا   وقد صادَفَتْ طَلقاً من النجمِ أعزلا(274)

من الطبيعي في البيئة الجاهلية ذات الحروب والمشاحنات، أن يتغنى الشعراء بأسلحتهم، ويفتخروا بها محاولين بكل الطرق الحصول عليها، والبحث عن أجودها، لذلك حافظ الشاعر أوس في الأبيات السابقة على صفائها وجلائها، وقد شبهت بماء الغدير عند هبوب الريح على سطحه في الصفاء.

ويصف الشاعر جزء بن ضرار انعكاس شعاع الشمس على تسبغته التي كانت تستر رقبته، وجيب درعه، فقد أشبه نور الشمس مصابيح الرهبان التي أوقدها في الليل للسائلة، فيقول: (الطويل)

وتَسـبِغَة فِـي تَـركَـةٍ حِميـريـةٍ   دلامِصـةٍ تَـرفَض عنْهـا الجنَـادِلُ

كأن شُعاع الشمس فِي حجراتِهـا   مصابيح رهبـان زهتْهـا القَنَادِلُ(275)

ثم يواصل جزء بن ضرار وصف عتاد الحرب، فينتقل إلى وصف الترس وهو يبرق ويضيء كالشمس اللامعة، وسط غبار المعركة الحامية الوطيس كالليل، فيقول: (الطويل)

وجوب يرى كالشمس فِي طَخْيةِ الدجا   وأبيض ماض فِي الضريبةِ قَاصِلُ(276)

يفتخر الشاعر أبو العيال بابن عمه و برمحه الذي يكاد من شدة لمعانه وحدته أن يشتعل نارا إذا بدا أمام الشمس، كما أن الشمس أظهرت بياضه لانعكاس الأشعة عليه، فهو رمح مميز لا يتكسر ولا يتثلم، يقول:

---

(274) أوس بن حجر: **الديوان**، تحقيق: الـدكتور محمـد يوسـف نجـم، دار صـادر، بيـروت، لبنـان، ط3، 1979م، ص84.(الأملس: الدرع الناعم المشدود، النهي: غدير الماء).

(275) التبريزي: **شرح المفضليات**، 340/1.(التسبِغَة: شَيء مِن حلَق الدروع والزردِ يعلقُ بِالخُوذَةِ دائِراً معهـا، تَركـةٍ: البيضةُ التي لا قوانس لها، الدلامص: السهلة اللينة، زهتها: رفعتها).

(276) **المرجع السابق**، ص341. (والجوب: الترس، وجمعه أجواب، والطخْيةُ: القَتَام يحول دون الشمس، والدجا: ظلمة الليل ها هنا، والأبيض: السيف، القاصل: الكاسر).

ومـطّـَرِدٌ مِـن الـخـطّ ـى لا عـارٍ ولا ثـِلِب
يكـاد سِـنانُـه مِـن حـ ـدوِ في الشـمس يلتهـب[277]

مما سبق نرى تعدد مواقع ذكر الشمس في الحرب، في الصباح وفي الظهيرة وفي المساء، وقد كثر الحديث عن الشمس قبل شروقها وفي الصباح عند معظم الشعراء، في حين تفرد عنترة بالحديث عنها في الظهيرة، ومن ناحية ثانية كان ذكر الشمس يرد في حديث الشاعر عند الافتخار بقوته وبقوة قبيلته.

المبحث الثالث

الشمس وأغراض الشعر: المدح والرثاء والفخر والهجاء.

أ ـ الشمس والمدح:

غلبت روح التكسب على شعر المدح عند معظم الشعراء، حيث تجاوز فيه الشعراء حدود الواقع، وأتوا بأشعار بانت فيها المبالغة، كما بالغ الشعراء في وصف من مدحوا وأثنوا على ما فيهم من إقدام وعزيمة وخلق نبيل وشرف وحكمة، وكل صفات البطولة، كما وصف الممدوح بكثرة القوم حوله ليكون أشبه بالكوكب (الشمس) في المجموعة الكوكبية، فمن الشعراء من وصف الممدوح بالرفعة ومباراته للشمس أو شهرته الشبيهة بها.

يمدح الشاعر عنترة كسرى آنو شروان وهو في إيوانه، ويقترب كسرى في صورته من القمر، وقد خلعت عليه الشمس تاجا، ورصعته بالنجوم، يقول عنترة: (الوافر)

وقَد خَلَعتْ عليهِ الشمس تَاجاً فَـلا يغْشَـى معالِمـه ظَـلام
جواهِره النجوم وفيـهِ بـدر أَقـل صِفَـاتِ صورتهِ التمـام[278]

يرى عنترة أن الشمس كامنة وراء ما يتصف به كسرى من حسب ونسب، فالشمس هنا

([277]) الهذليون: **الديوان**، 248/3(ثلب: أي لا عيب فيه).
([278]) عنترة، **الديوان**، ص 260،261.

أعلى مكانة من الممدوح، فهي مانحة التاج وهو المتلقي له، ناهيك عن طيب العلاقة المتبادلة بين الطرفين.

لكن أمية بن أبي الصلت يأتي بصورة يبين فيها أن منزلة عبد ا بن جدعان تطاول الشمس في علو المرتبة، وكأنه يجالس إلى جوارها، فله منزلةٌ عليةٍ تصل إلى مستوى الشمس ومكانها، فيقول: (مجزوء الكامل)

بـــــذ المعاشِــــر كُـــلهـــا ... بالفَضـل قـــَد علـــم المعاشـــر

وعـلا علُـــو الشـــمس حتّـَى ... مـــا يفَـاخِـــره مفَـاخِـــر[279]

ولم يقف الشعراء عند مضاهات ممدوحيهم بالشمس، بل تتفاوت نظرات الشعراء إلى هؤلاء مع الشمس، فمنهم من أراد لصاحبه مكانة تسمو فوق الشمس، فيرى زهير بن أبي سلمى لو كان يمكن لكريم أن يقعد في مكان أعلى من الشمس، لاستحق قوم هرم بن سنان من غطفان مثل هذه المكانة، فيقول: (البسيط)

لَـو كـَان يخلُـد أقْوامٌ بمجدِهـم ... أو مـا تَقدم مِن أيامِهـم خَلَـدوا

أو كان يقْعد فَوقَ الشمس مِن كَرمٍ ... قَـومٌ بِأولِهم أو مجـدِهم قعـدوا[280]

فنرى أن زهيراً يتطلع أبعد مما ذهب إليه عنترة وأمية بن أبي الصلت، فممدوح زهير فوق الشمس وأعلى منها مكانة، ولم يرتض لصاحبه المساواة بالشمس، في حين ممدوح عنترة أقل مكانة من الشمس أما ممدوح أمية فهو في طبقة متوسطة بين الإثنين يوازي الشمس في الارتفاع والعلو.

ويوضح كعب بن زهير أن كل شيء مرده لأصله، فالفتى الرشيد يكتسب السمعة الطيبة من أصل نجيب، أما الفتى فهو القمر والشمس هي أصله وقوته، وقد أتت لتقوي البدر و ليأخذ منها نوره، فأشار الشاعر إلى رفعة الممدوح ومنزلته الرفيعة: (الطويل)

---

(279) أمية بن أبي الصلت: **الديوان،** ص 31، (المعاشر: مفردها معشر وهو الجماعة، أو أهل الرجل).

(280) زهير بن أبي سلمى: **شعره:** تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 227 ـ 228.

فَتَى لم يدع رشْـداً ولم يأْتِ منْكراً ولم يدر من فَضل السماحةِ ما البخْلُ
بـهِ أَنْجبتْ لِلبـدر شَمـسٌ منيـرةٌ مباركةٌ ينْمي بـها الفَرع والأصـلُ[281]

ويذكر الأعشى هوذة مادحا إياه مرة أخرى، وقد ربط شهرته وكرمه بطلوع الشمس وكأنه يباريها، قائلا:إن الشمس لم تطلع إلا وتحدث الناس عن أعمال الممدوح: (البسيط)

وهم إِذَا الحـرب أَبدتْ عـن نَواجِذِها مِثْـلُ الليوثِ وسـم عـاتِـق نَقعـا
غَيـثُ الأراِمـل والأيتَـامِ كُـلهـم لم تَطْلُع الشـمس إلا ضـر أَو نَفَعا[282]

ويبين الأعشى أن ممدوحه كريم وشجاع، شجاع حين يضر بالحرب، وكريم حين ينفع.

ويرى الشاعر الأعشى أن الممدوح مشهور معروف لا يحتاج إلى تعريف، فهو كالشمس في ضوئها وكالقمر في نوره، مبينا إلى أن ممدوحه يتساوى بالشمس في المعرفة، ولا يمكن لأحد أن ينكر فضل القمر أو الشمس المضيئة، فيقول:
(المتقارب)

وإن فَحص النـاس عـن سـيـدٍ فَسـيدكُـم عنْـه لا يـفْحص
فَهـلْ تُنْكَـر الشَّـمس فِـي ضوئِها أَو القَمـر البـاهِر المبـرص[283]

ويذكر أمية بن أبي الصلت السماء إلى جانب الشمس، يقول في مدح عبد ا بن جدعان وقد برز كرمه للناس كالسماء أو الشمس: هل يمكن إخفاء السماء أو الشمس الساطعة على بصير؟ فإن كان يستحيل ذلك، فعبد ا بن جدعان لا تُحد شُهرتُه، ولا يحصى كرمه: (الوافر)

فَـأَبـرز فَضلـه حـقَـاً عليهـم كمـا بـرزتْ لنَاظِرهـا السـماء
فَهـلْ تَخْفَـى السـماء على بصيرٍ وهـل بِالشـمس طالِعـة خفَـاء[284]

([281]) كعب بن زهير: **الديوان**، تحقيق وتقديم: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م ص 80.

([282]) الأعشى: **الديوان**، ص 112(نواجذ: مفرده ناجذ أي الضرس).

([283]) الأعشى: **الديوان**، ص105، (المبرص: الأبيض على التشبيه بالمصاب بالبرص).

([284]) أمية بن الصلت: **الديوان**، ص17.

ذهب بعض الشعراء إلى المقارنة بين ممدوحيهم وبين الكواكب، يقول الأعشى في مدح هوذة بن علي الحنفي: لو ينادي هوذة الشمس لألقت قناعها وسفرت عن وجهها وكلمته، ولذهب نورها وحسنها بحسنه، ولأقر له القمر طائعا: (الطويل)

وما كـان فِيها مِـن ثَنَاءٍ ومِدحةٍ فَأَعنِي بها أَبـا قُدامةَ عامِـدا

فَتَى لو ينَادِي الشمس أَلقَتْ قِنَاعها أَو القَمر الساري لأَلقَى المقَالِدا[285]

فكان الشعراء في هذا الوصف قد انتقلوا من وصف المرأة وتشبيهها بالشمس إلى تشبيه الممدوح بالشمس.

ويقول النابغة في معلقته التي يمدح فيها النعمان بن منذر واصفا إياه بالشمس، والملوك بالكواكب التي تدور في فلكه، فإذا ظهر اختفى كل الملوك، كالشمس التي لا يبدو أي كوكب بظهورها: (الطويل)

فَإِنَّـكَ شَـمسٌ والملـُوك كَـواكِبٌ إِذَا طَلَـعتْ لَم يبـد مِنْهن كَـوكَب[286]

لقد سما الشاعر بصاحبه فوق البشر، وميزه عن أقرانه في المكانة، فجعله في مرتبة تفوق مرتبة طبقة الملوك التي ينتمي إليها.

ب ـ الشمس والرثاء:

يعد الرثاء مجالا واسعا للحديث عن مناقب المتوفى، وقد ظهر ذلك من خلال البكاء المر على الأموات، وإظهار عظم المصيبة والفجيعة التي ألمت بمن بقي من أقارب الميت، فالشاعرات الجاهليات يظهرن جزعهن وبكاءهن، ويصفن ما حصل للدنيا بعد موت المرثي، ومن الممكن أن يلجأن إلى الشمس لإكمال صورهن، لكن الشعراء الرجال كانوا يتميزون بالتغني بالوفاء بالعهود، والانتقام من الأعداء، والإيقاع بهم، ومسح العار الذي ألم بالقبيلة، ولم تسلم منه

([285]) الأعشى: **الديوان،** ص 46، (أبو قدامة هو الممدوح هوذة بن علي الحنفي).

([286]) النابغة: **الديوان**: ص 14.

إلا بأخذ الثأر.

يظهر إيمان الشاعر عبيد بن الأبرص بالموت ونهاية الآجال والأعمار، وهذا ظاهر من الأمم التي راحت وبادت، ثم ربط الشاعر هذا المعنى بطلوع الشمس وغروبها، فالزمن في نقصان مستمر، وسرعان ما ينفد العمر ويشارف على الانتهاء وقد جاء حديث الشاعر في مخاطبة أبي كرب عمرو بن الحارث بن حجر آكل المرار، ذاكرا له أن الموت الذي يصيب الجميع لا مفر منه، ولا بد من أن أبا كرب سيترك ملكه يوما، ويقترب أجله، فالموت سيف على رقاب العباد: (البسيط)

يا عمرو ما راح مِن قَومٍ ولا ابتكَروا   إلا وللموتِ فِي آثارِهِم حادِي

يا عمرو ما طَلعتْ شَمسٌ ولا غَربتْ   إلا تَقَربُ آجالٌ لِميعادِ(287)

فجاءت هذه الأبيات وعظا وإرشادا في مجال الموت، بل يمكن أن تعد في مجال الرثاء النفسي.

اقترب الشعراء في معاني الرثاء وكرروا بعضها، فكان المرثي يصور أنه مشهور في كرمه، علم في أفعاله، لا تخفى على أحد شجاعته. أما الشمس فكانت لها دلالات متنوعة في أبيات الرثاء، مع كل ظهور تأتي بمعنى جديد، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في شعر الخنساء، التي يذكرها طلوع الشمس وغروبها بأخيها صخر، فالشمس هي التي جعلت الخنساء تتصور صخرا في حالتين اثنتين: الشجاعة، والكرم، فعند طلوع الشمس تتذكر الخنساء فتك صخر بالعدو وشجاعته وبسالته، أما عند الغروب فهو كريم يقدم القِرى للضيوف، ويبدو هنا الاستسلام للزمن أمام الأحزان، وهذا ما تتميز به الشاعرة عن غيرها من الشعراء الآخرين، فتقول: (الوافر)

يذكّرني طلُوع الشّمس صخْراً   واذكـره لِكـل غـروبِ شمـس(288)

---

(287) عبيد بن الأبرص: **الديوان**، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي،لبنان، ط1،1994م، ص55. (راح: سار مساء، بكر:سار في الغداة، حادي: سائق الإبل).

(288) الخنساء وليلى الأخيلية: **ديوان الباكيتين**، ص114.

ويصاب كعب بن سعيد الغنوي ويعال بالأسى على فقد أخيه أبي المغوار عند شروق الشمس، ليزداد هذا الحزن عند مغيبها، فارتبط الحزن بشروق الشمس وبغروبها: (الطويل)

وإنـي لباكيـهِ، وإنني لصـادِقٌ عليهِ وبعض القَائِلين كـذُوب
إذَا ذَر قَرن الشمس عللتُ بالأسى ويأوي إلي الحزن حين تَغِيب[289]

يبقى وقت طلوع الشمس وغروبها عاملا مهما في تذكير الخنساء والشاعر كعب ابن سعد، بموت أعز بشر عليهما، فكلاهما فقد أخا عزيزا على قلبه، فكانت حركة الشمس بين الشرق والغرب ترتبط بذكريات أليمة يمر بها كل من الشاعرين، ولم تختلف وجهة نظرهما كثيرا بل جاء المعنى مكررا عند كل منهما.

تحدث الشعراء في أشعارهم أيضا عن ظاهرة طبيعية غريبة، هي ظاهرة الخسوف والكسوف، وتكررت الإشارة إلى هذه الظاهرة في أشعار الجاهليين مرارا، فكانوا يسندون حدوث هذه الظاهرة النادرة الوقوع، إلى موت عزيز على قلوبهم، ولم تقتصر الفوضى الناتجة عن موت عزيز عليهم، بل انتقلت لتشمل الكون بأعظمه، وبذلك يحدث كسوف الشمس فتخرج الشمس ضعيفة.

وتصف الخنساء مروءة صخر وشرفه وشجاعتة وصفا حسنا، وتعقد مشابهة بين صخر وبين الشمس، فوجهه أبيض يشع نورا كالشمس، لما قدمه من خير لقومه، وتصف تغيرا غريبا حصل لكوكب الشمس بسبب موت أخيها، لقد كسفت الشمس، وغار القمر: (مجزوء الكامل)

أَبـْيـَـض أَبـلـَـج وجـهـُـه كـالشمـس فِـي خَيـر البشَـر
والشمـس كـاسِـفةٌ لِمهلـكِـهِ وما اتسـق الـقَـمـر[290]

وفي هذا المجال أشارت الخنساء إلى أن موت صخر تبعه كسوف للشمس، أي أن الطبيعة حزنت هي الأخرى، فلم يكن الأمر سهلا.

---

(289) كعب بن سعيد الغنوي: **شعره**، تحقيق: عبد الرحمن محمد الوصيفي، دار الوفاء، المنصورة، مـصر، ط1، 1998م، ص98.(ذرت الشمس: طلعت، وتعلل بالأمر: تشاغل).

(290) الخنساء: **الديوان**، ص89(أبلج: ذو وجه نضر).

كما يقول أوس بن حجر أيضا: (المتقارب)

ألم تكسف الشمس والبدر والـ كواكب للجبل الواجب
لفقد فضالة لا تستوي الـ فقود ولا خلة الذاهب[291]

يتساءل أوس بن حجر في رثائه عن سبب كسوف الشمس والكواكب، ويقول: لأمر عظيم حدث مثل هذا الكسوف، ليكون بذلك قد شمل الحزن الأرض وعم السماء، ولتعلن الشمس حدادها على موت صاحبه.

ويعاتب الأعشى بني عبدان بن سعد بن قيس بن ثعلبة، ويوبخهم على ما قاموا به من التخلي عن قبيلته، ويناشدهم القرابة وما بينهم وبين قومه من علاقة، ذاكرا لهم ما أوقع بهم أعداؤهم من فتك، وأن لا شيء يمكن اخفاؤه، فقد لحق بهم العار الذي ينكسف له وجه الشمس:

(الخفيف)

فتراها كالخشن تسفحها النيـ ران سودا مصرعا وقياما
ثم بالعين عرة تكسف الشمـ س ويوما ما ينجلي إظلاما
إذا أتتكم شيبان في شارق الصبـ ح بكبش ترى له قداما[292]

ويشارك القمر الشمس في الحزن على من يتوفى، فالقمر هو الآخر يخسف خسفا إذا مات أحد عزيز من البشر، يقول عنترة في رثاء صديقه مالك بن زهير العبسي: كان أمرا طبيعيا أن يخسف القمر، وتكسف الشمس لموت هذا الإنسان: (الطويل)

فإن كان حقا فالنجوم لفقده تغيب ويهوي بعده القمران[293]

فالشاعر عنترة يرى أنه من الممكن أن يسقط القمران، تعبيرا عن الانزعاج الشديد لفقد إنسان عزيز، وقد عمد إلى توسيع هذه الظاهرة، فيكون قد تشابه مع الخنساء في الحديث عن هذه الظاهرة في حديثها عن أخيها صخر، وجامعا الخسوف والكسوف في وقت واحد.

---

(291) أوس بن حجر: **الديوان**، ص10.

(292) الأعشى: **الديوان**، ص 204،(الخشن: ما خشن وأراد به النخل، تسفحها: تشعلها وتحرقها، العين: عين التمر وهو الموقع الذي جرى فيه يوم فطيمة الذي كان لبني سيار على بني سعد بن قيس، العرة: الجرب).

(293) عنترة: **الديوان**، ص169. (القمران: الشمس والقمر).

ثم تتكرر هذه الظاهرة عند شعراء آخرين، فتكاد الشمس تأفل وتغيب لموت صديق ابن أحمر، لتشاركه في أحزانه يقول: (الكامل)

وتَغَيَّر القمر المنير لموته والشمس قد كادت عليه تأفل[294]

تقول الخنساء في موضع آخر بأن الشمس كانت من بين الكواكب التي تأثرت بموت صخر، وكأنها قد لبست ملابس الحداد وتجللت بها، وذلك لفقد إنسان عزيز، وكأن الشمس كسفت، فتقول: (المتقارب)

فَخَرَّ الشوامخُ من قتْله وزُلزلتِ الأرض زلزالها

وزالَ الكواكب من فقْده وجللت الشمس أجلالها[295]

ويبين المهلهل حال الشمس بعدما قُتِلَ كليب، فهي ترفض الطلوع حزنا وحدادا عليه، وكأن الشمس لاتشرق على الدنيا إلا من أجل كليب، ولهذا عم الظلام من بعده، فقال هذه القصيدة يتهدد بني شيبان ويتوعدهم: (الكامل)

لما نعى الناعي كليباً، أظلمتْ شمس النهار، فما تُريد طلوعاً

قتلوا كليباً، ثم قالوا أرتعوا كذبوا، لقد منعوا الجياد رتوعا[296]

يخف الحزن قليلا عندما يرى الإنسان من يشاطره في مصيبته، فالشاعرة الخنساء تدعو إحدى صديقاتها للقيام ببعض الأعمال المعبرة عن الحزن على موت صخر، كل ذلك تحت وطأة الحر وأشعة الشمس، فهي لا تبغي ظلا بل تريد أن تلفحها الشمس بحرها: (الوافر)

فقومي يا صفيةُ في نساءٍ بحر الشمس لا يبغين ظِلا

يشَققْن الجيوب وكل وجهٍ طفيفٌ أن تُصلي له وقلا[297]

([294]) القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق: علي محمد البجاوى، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة، مصر، (د.ت)، ص28.

([295]) الخنساء: **ديوان الباكيتين**، ص161.(جللت: كسفت وصار عليها مثل الجل أي الستر).

([296]) المهلهل: **الديوان**، ص50.(أرتعوا: سرحوا خيلكم لتنعم بالخصب والمرعى).

([297]) الخنساء: **ديوان الباكيتين**، ص 146.(صفية: إحدى نسيبات الخنساء).

فقد انفردت الشاعرة الخنساء في الحديث عن البكاء المر على الميت في حر الشمس، للدلالة على فقد إنسان عزيز عليها، في حين أسند بعض الشعراء التغيرات التي تحدث في الطبيعة إلى الشمس، وخاصة ظاهرة الكسوف.

تبعد الشمس عنا كثيرا، ولا يمكن لأحد أن يصل إليها، وهذا ما أشار إليه الشعراء، لكن الموت المتربص بالبشر قادر على الوصول إليهم، ولو اختبأوا في عين الشمس، فلا مفر من الموت، يقول أبو ذؤيب الهذلي في رثاء نشيبة بن محرث من هذيل: لو استودعته ووضعته وديعة عند الشمس لوصل إليه الموت أيضا: (الطويل)

يقولون لِي: لو كان بالرمل لم يمتْ نُشَـيبةُ والطراقُ يكْـذِب قِيلُها

ولو أنني استَودعتُه الشمس لارتَقَتْ إليـهِ المنَايـا عينُها ورسولُها[298]

يقول أبو ذؤيب الهذلي أيضا في موضع آخر من رثاء نشيبة، واصفا إياه بسرعة عدوه وسيره، فهو أسرع من قوم يعدون في غارتهم على الأعداء في وقت جنحت فيه شمس النهار للغروب، وقبل طلوع قرنها واصفرارها، وقد خص الشاعر هذا الوقت لتكون الغارة على الأعداء أخفى وأستر: (الطويل)

وعـادِيـةٍ تُلْقِـي الثيـاب كـأنها يعافير رمـلٍ محصـها وانْتِبارهـا

سـبقْتَ إذَا مـا الشمس آضتْ كأنها صلاءةُ طِـيبٍ لِيطُـها واصفِرارها[299]

ويرسم متمم بن نويرة صورة أخرى للشمس في شعره من خلال رثاء مالك، إذ تطلع الشمس ضحى وقد علتها حمرة، في وقت يشتد فيه البرد أيام الجدب والقحط، و خدعت عيون الجياع أصحابها من شدة الجوع، فمتمم بن نويرة يبين الدور الذي كان يقوم به مالك في مثل هذه الأحوال الصعبة، فكأنه عصمة ومغيث لكل سائل، فيقول: (الطويل)

([298]) أبو ذؤيب الهذلي، **الديوان**، شرح وتقديم: سوهام المصري، المكتب الإسـلامي، بيـروت، لبنـان، ط 1، 1998م، ص181، (المنايا: الرقيب).

([299]) أبو ذؤيب الهذلي، **الديوان**، ص 125.(آضت: صارت، صلاءة: حجر يدق عليه الطيب، ليطها: لونها حين يصفر).

لعمـري لِنعم المـرء يطْـرقُ ضيفُه إذا بـان مـن ليل التمـامِ هزيـع
بـذُولٌ لِما فِي رحلِـهِ غيـر زمـحٍ إذا أَبـرز الحـور الروائـع جـوع
إذَا الشمس أَضحتْ فِي السماءِ كأَنها مِن المحل حـص قـد علاه ردوع[300]

لقد ورد مثل هذا المعنى في المديح، والرثاء مدح للميت، فقد ذكر الشعراء صفات الذين كانوا يرثونهم، وما كانوا عليه في حياتهم.

ج ـ الشمس والفخر:

افتخر الشاعر الجاهلي بنفسه وقومه، وسجل مكارمهم وانتصاراتهم، وقد اقترن فخره بالشمس في العديد من المواقف، كان من أهمها حديث الشاعر الجاهلي عن قوته وذاتيته، فالشاعر كعب بن سعد الغنوي يبين إلى أم قيس، صفاته التي تستحق منه ذكرها والفخر بها، فهو الرجل الذي استطاع بكفه أن يغطي ويدفع الشمس عن صديق دربه، فيقول: (الطويل)

وشَخْصٍ درأْتُ الشمس عنْه بِراحتِي لأَنْظُر قبـلَ الليـل أَيـن نـزولي[301]

ويصف الشاعر تأبط شرا نفســه بالشــمس في لحظة الحاجة إليها عند البرد، فيقول: (المديد)

بزنـي الـدهـر وكـان غشُـأومـأ بـأَبـي جـاره مـا يـــذَل
شَـامِسٌ فِـي القُـر حتـى إذا مـا ذكـت الشـعرى فبـردٌ وظِـل[302]

ينتقل الشعراء للحديث عن كرمهم وكرم قومهم، في وقت تكون فيه الشمس بين الشروق

([300]) الصفار: مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي،ص104.(بان: مضى، ليالي التمام:هي أطول ليلي الشتاء، الهزيع: قطـع من الليل دون النصف، زمح: قصير بخيل، الروائع: المعجبات، حص:الورس، ردوع: حمرة من المحل).

([301]) كعب بن سعد الغنوي: **شعره**، ص126.(درأت: دفعت).

([302]) تأبط شرا: **الديوان**،إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص64،(بزنـي: سـلبني وفجعني، غشوما: ظلوما، شامس: ذو شمس، القُر: البرد).

والغروب، فيصف حاتم الطائي اختفاء الشمس في الشتاء، حيث يعم القحط ويسود الجدب فيها، ويكثر سؤال المحتاجين، فيكون قوم حاتم هم الكرماء وحدهم، ويأتي إلى قومه الناس طالبين منهم العون، وقد أرغمتهم الحاجة وصعوبة الحياة على مثل هذه الظروف، عندها يعرف البشر أن قومه لم يقصروا في معونتهم، ويعرفون ما لهم من كرم وسخاء، فيقول: (الطويل)

ألا أَرِقَـتْ عينـي فَـبِت أُديرهـا ... حِـذار غَـدٍ أحجى بِأن لا يضيرها

إذَا النجم أَضحى مغْرب الشمس مائِلاً ... ولَـم يَـكُ بِالآفَاق بَـونٌ ينيـرها

إذَا ما السماء لَـم تكُـن غَيـر حلْبةٍ ... كَجِـدةِ بيـتِ العنْكبـوتِ ينيـرها

فَقَـد علِمتْ غَـوثٌ بِأنـا سراتُهـا ... إِذَا أُعلِمتْ بعد السرار أُمـورها[303]

ويفخر الشاعر سلامة بن جندل بالكرم والعطاء عند اشتداد البرد واشتداد الزمان، والإبل لا تبرح مكانها بسبب شدة برودة الطقس، وإن كانت الشمس قد تعالت في السماء، وقد كشفت الدنيا عن أنيابها في أوقات المحل، فإن الشاعر سيجود ويكرم المحتاج، فيقول: (البسيط)

إنا إذَا غَربـتْ شَمـسٌ أَو ارتَفَعـتْ ... وفِـي مباركِهـا بزلُ المصاعِيبِ

قَد يَسعد الجار والضيفُ الغَرِيب بِنَـا ... والسـائِلون، ونُغْلِي ميسِر النِّيـبِ[3]

فيركز الشاعر على الكرم شتاء، تلك الفترة التي يظهر فيها احتياج البشر إلى العطاء، وقد كنى الشاعر عن الشتاء بغياب الشمس، وفي تلك الفترة يكون كرمه وكرم قومه باديا للمحتاجين.

وتتكرر صورة إكرام الضيف مرة ثانية بفقد الشمس في الشتاء عند الشاعر عمرو بن قميئة، كما هو الحال في الصورة السابقة عند الشاعر سلامة بن جندل، فالشمس في الشتاء لا تظهر، ويقبل عليهم الضيوف كالإبل التي ترد حوض الماء، فقومه كرماء يظهر كرمهم بشكل خاص مع غياب الشمس، حيث يبدأ الظلام ويبدأ السكون وتخف الحركة، ويأخذ الطقس

([303]) حاتم الطائي: **الديوان**، ص93.(الجدة: الحداثة، سراتها: أشرافها).

(3) سلامة بن جندل: **الديوان**، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـان، ط2، 1987م، ص 224ــ 225.(بزل: جمع بزول، وهو البعير الذي انشق نابه أي بلغ السنة التاسعة، الميسر: اللعب بالقداح).

بالبرودة، فيستقبل قومه الضيوف، وعندها يجد الشاعر مجالا للفخر، وقد غابت الشمس، وكان العرب "يتمدحون بالكرم، وهم يرونه فرضا واجبا وقت الضيق والبرد والشدة والقحط، فكانوا ينحرون ويطعمون حين تهب الصبا، وقد خصوا الصبا لأنها لا تهب إلا في البرد والجدب"[(304)].

يقول عمرو: (الطويل)

يودك ما قومـي، علـى أن تركتهم	سـليمى، إذَا هبتْ شـمالٌ وريحها
إذَا النجم أمسى مغْرب الشمس دائِباً	ولم يك برقٌ فِي السـماءِ يليحها
وغَاب شُعاع الشمس فِي غَيـر جلْبةٍ	ولا غمـرةٍ إلا وشـيكاً مصوحهـا
وهـاج عمـاءٌ، مقْشَـعِرٌ، كـأنـه	نَقيلةُ نَعـلٍ بـان مِنْهـا سـريحها
إذَا أُعـدم المحلُوب عادتْ عليهـم	قُدورٌ كثيـرٌ فِـي القِصـاع قَديحها
يثُـوب إليها كُـل ضيفٍ وجانِـبٍ	كمـا رد دهداة القلاص نَضيحها[(305)]

يبين حسان بن ثابت أن الشمس لا تدر من أجساد قومه عرقا، بل تخرج طيبا فتكون رائحتهم طيبة تختلف عن غيرهم من البشر، كانت الشمس العامل الأقوى في ظهورها ووجودها، يفخر الشاعر بهذه الرائحة، بقوله: (الطويل)

بِكُل فَتَـى عاري الأشَاجِع لاحـه	قِراع الكماة يرشح المِسك والدمـا
إذَا استَدبرتْنَا الشمس درتْ متونُنَا	كأن عروقَ الجوفِ ينْضحن عنْدما[(306)]

بينما تتصف وجوه أصحاب الأفوه الأودي بحسن طلعتها، فوجوههم تشبه اللون الأزهر كلون الشمس، فهي مشرقة مضيئة تلمع قبل أن تشرق الشمس عليها، ولم يكن للشمس أثر في ذلك، فما بالك إن طلعت الشمس؟ هذا ما يقوله الشاعر في بعض حروب نزار واليمن يوم

([304]) الجبوري: **الشعر الجاهلي**، ص63.

([305]) عمرو بن قميئة: **الديوان**، شرح وتحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ص33 ـ 34.(الجلْبةُ: القطعة من الغيم، غمرة: الماء الكثير، يليحها: يحملها على أن تلوح، العماء: السحاب المرتفـع، النقيلـةُ: رقعة النعل، القِصاع: جمع قصعة وهي الصحفة، القَديح: المرق الذي يبقى أسفل القدر، يثوب: يقبل، الجانـب: الغريـب، دهداة القلاص: صغار الابل، النضيح: الحوض).

([306]) حسان بن ثابت: **الديوان**، ص 355. (الأشاجع: عروق ظهر اليد).

خَزازى (الكامل)

بمنـاقِبٍ بيضٍ كـأن وجـوهها ... زهـرٌ قُبيـلَ ترجـل الشمـس(307)

كما ورد ذكر الشمس مقترنا بالخمرة في مجال الفخر بمعاقرة الخمرة وشربها، يصف الأعشى انعكاس أشعة الشمس في الخمرة بقوله: (الوافر)

كـأن شعـاع قـرن الشمس فيهـا ... إذا مـا فـتَ عن فِيهـا الخِتَامـا(308)

ثم يصف شربه للخمرة مع أصحابه من قبل طلوع الشمس إلى مغيبها، فإذا غربت انطلقوا إلى الجواري المترفات النافيات للأحزان، فكان اجتماع المحبين ولقاؤهم يبدأ بغروب الشمس، وكأنه لا يحل لهم معاقرة الخمرة إلا بعد غياب الشمس عن الوجود، هذا ما يصوره لنا الأعشى، فيقول: (الرمل)

بمتَـالِـيفَ أهـانُـوا مـالَـهم ... لِـغِنَـاءٍ ولِـلِعـبٍ وأذَن

فتَـرى إبـريقهـم مسـتَرعِفَـا ... بشَـمولٍ صفِقَتْ مِـن مـاءِ شَن

غُـدوةً حتـى يميلُـوا أُصُـلاً ... مِثْلَ مـا مِيـلَ بِأصحـابِ الوسن

ثُم راحـوا مغْـرب الشـمس إلـى ... قُطُـفِ المشْـي قَلِيـلاتِ الحزن(309)

وتحدث الشعراء عن حر الصحراء وما ينتج عن ذلك من آثار وظواهر كظاهرة السراب، فنجد هذه الظاهرة في كلام الشاعر دريد بن الصمة عندما يذكر قوته مفتخرا بنفسه، ويبين أنه هو الرجل الذي يمكن أن يقطع الصحراء ليلا على ناقته، تلك الصحراء البرية المقفرة التي يظهر فيها السراب عندما تسطع الشمس بقوتها، لتكون حالها أشبه بالثوب الممزوج بالورس: (الوافر)

---

(307) الأفوه الأودي: **الديوان**، شرح وتحقيق:د. محمد التونجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 89.(المناقب: مفردها المنقبة، وهي المفخرة أو الفعل الكريم، الزهر: النيرة المشرقة).

(308) الأعشى، **الديوان**، ص 195.(قرن الشمس: أول شعاعها عند الشروق).

(309) الأعشى، **الديوان**، 217.(أذَن:للسماع، مسترعفا: يفيض، شَمول: الخمرةُ الباردة، أُصلا: وقت الغروب، الوسن: الحاجة، القُطُفُ: النساء القصيرات الخطى المستمهلات في مشيهن، الواحدة قطوف).

وقد أجتـاز عـرض الحـزن ليـلاً كـأن علـى تَنَـائِـفِـهِ إذا مـا
كـأن علـى تَنَـائِـفِـهِ إذا مـا أضـاءتْ شَـمسه أثـواب ورس[310]

ويفخر أبو ذؤيب الهذلي بالسير وقت الحر في طريق صعب وقد انتشر السراب أيضا، فيقول: (البسيط)

مستَوقِدٌ فِي حصاه الشمس تَصهره كأنْـه عجـمٌ بِاليـدِ مرضـوح[311]

فيصف الهذلي حبات الحصى الصغيرة حين تفتت أو دقت وتكسرت من سير الناس عليها بنوى التمر المدقوق وذلك بسبب شدة الحر.

ويقول مضرس بن ربعي في وصف الحر في الصيف: (الطويل)

بِلَماعةٍ قَـد صـادفَ الصيفُ ماءها وفَاضتْ عليهـا شَـمسه وحرائِره[312]

فيصف مضرس فلاة تلمع صيفا لانعكاس السراب عليها من شدة حرارة الشمس ووهجها.

([310]) صفدي: **موسوعة الشعر العربي**، 601/1.(الحزن: الأرض المرتفعة التي يصعب فيها السير، الحِلْـس: المقـدام، تَنائِف: جمع تنوفة: البرية التي لا ماء فيها و لا أنيس، الورس: نبات كالسمسم يتخذ منه صباغ لونه كالزعفران).

([311]) أبو ذؤيب الهذلي: **الديوان**، ص 85.(العجم: النوى، تصهره: تُذيبه، مرضوح: مدقوق).

([312]) بنو أسد: **الديوان، أشعار الجاهلين والمخضرمين**، تحقيق: د. محمد علي دقة، دار صـادر، بيـروت، لبنـان، ط1، 1999م، 274/2.(اللماعة: الفلاة التي تلمع بالسراب، الحرائر: مفردها الحرور وهو الحر).

د ـ الشمس والهجاء:

نتحدث في هذا الجانب عن المواضع التي استخدم فيها الشعراء الشمس في هجائهم، وما تمنى فيها الشعراء من مصائب أن تلم بالأعداء والخصوم، ويدخل ضمن ذلك ما ذم به الشعراء أعداءهم وخصومهم مثل الجبن، والذل وضعف العزيمة، وأكثر ما تتضح مثل هذه الصفات مع غياب الشمس وغروبها.

يقول حسان بن ثابت في هجائه لأبي البختري بن هاشم الأسدي، متمنيا له ألا تطلع الشمس ولا تبدو عليه، وكلما طلعت وعلت في الأفق أن لا يرى البختري أي أمر حسن في حياته، ويتمنى لمهجوه أيضا أن لا تقوم له قائمة ما طلعت شمس النهار: (الطويل)

وما طَلَعتْ شَمس النهار ولا بدتْ عليكَ بمجـدٍ يا ابن مقْطُوعةِ اليدِ[313]

كما يتوعد النابغة أعداءه بالفتك والإيقاع بهم حتى يصل الأمر ذروته، وكأن الكواكب تبدو عليهم في نهارهم من شدة الوقيعة إلى جانب الشمس، ويتبدل نورها، فتكون مخالفا لما عهدوه منها من نور، وفي ذلك وصف لتبدل الزمن، فيقول: (البسيط)

إني لأخْشَى عليكُم أن يكون لكُم مِن أجـل بغْضائِهم يومٌ كأيامِ
تَبدو كواكِبه والشمـ ـس طَالِعةٌ لا النّـور نُورٌ ولا ليلٌ كإظْلامِ[314].

فهو يوم شديد قاس عصيب، وقد أحسن النابغة في هذا الوصف، حين عبر عن طول الوقت بخروج الكواكب في السماء في النهار، وانتشار الظلام وعدم وضوح الرؤية.

أما عروة بن الورد فنجده بطلا لا يرهب الموت ولا يخافه، كما ينعت مهجوه بالجبن والذل، ويصفه بأنه يأمل من العيش القليل لأنه يتوقع الموت منهم، وأنه يرى يوما طويلا لشدته، وكأن الشمس قائمةٌ لا تزول، يقول في (هذه الأبيات ليرد بها على قيس بن زهير وكان قد

([313]) حسان بن ثابت: **الديوان**، ص 146.

([314]) النابغة: **الديوان**، ص75.

شتمه)[315]: (الوافر)

فَـإن الحـرب لـو دارتْ رحـاها وفَـاض العِـز واتبـع القَليـلُ
أَخَـذْتَ وراءنَـا بِزنَـابِ عيش إذا ما الشـمس قَـامتْ لا تَـزولُ[316]

هذه أراء بعض الشعراء في حال الشمس ومن تعرضوا لهم بالهجاء، فكانوا شديدي الحاجة للشمس خوفا من الظلام، في حين يستخدم بعضهم الشمس دلالة على القوة الخارقة لمن يستطيع أن يأتي بها ليلا، ومما يروى أنه "كان ملك من ملوك غسان يتعذر النساء، لا يبلغه عن امرأةٍ جمالٌ إلا أخذها، فأخذ ابنة يزيد بن الصعق، وكان أبوها غائبا، فلما قدم أُخبر، فوفد إليه، فصادفه متبديا، فوقف بين يديه حيث يسمع كلامه، وقال: (الكامل)

يا أَيهـا الملِك المقيتُ أَما تَـرى ليـلاً وصبحـاً كيـفَ يختَلِفَان
هلْ تَستَطيع الشمس أَن تأْتِي بِها ليـلاً، وهـلْ لـك بِالمليك يدان"[317]

يقول يزيد للملك: إن كنت ملكا حقا فإتِ بالشمس ليلا، وهنا دلالة واضحة على عجز الملك والسخرية منه.

ويقول الجميح بن الطرماح في هجاء عامر بن الطفيل مهددا له بلسان قومه: لوشئنا لأزلناكم عن الوجود واخفيناكم كما تختفي النجوم في وضح النهار عندما تكون الشمس بارزة:

(الطويل)

أعامـر إنـا لـو نَشَـاء لغُـرتُـم كما غَار من شَمس النهار نُجومها[318]

([315]) عروة بن الورد: **الديوان**، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، ص95

([316]) **المصدر السابق،** ص95، (ذناب عيش: طرفه).

([317]) يعقوب: **أشعار العامريين والجاهليين**، ص61،(يتعذر: يغتصب، مبدياً: مقيما في البادية).

([318]) بنو أسد: **الديوان**، 2 / 31.(غرتم: ذهبتم وغربتم).

المبحث الثالث

الشمس والطبيعة

أ ـ الشمس والأطلال و الرحلة:

ذكر الشعراء رحلاتهم كثيرا في أشعارهم، ومنهم من حدد وقت رحيله، وما واجهه من مخاطر، فكثيرا ما يتجشم الشاعر أشد الصعوبات؛ لأن همه الوحيد هو الوصول إلى هدفه، كما افتخروا بذكر المصاعب، وكيف تم التغلب عليها ذاكرين الشمس وآثارها، حيث واجهتهم بحرارتها الشديدة، في حين وصف بعضهم الآخر رحلتهم عندما كانت الشمس تأفل للغروب أو في الظلام الدامس، متدرجين بين هذه الأوقات المختلفة، ذاكرين ما لاقوه في ارتحالهم من مشاكل وصعوبات عبر وسائل حيوانية مختلفة كالناقة أو الفرس.

نقرأ أبياتا للبيد العامري يصف لنا فيها رحلته في يوم شديد البرودة، حيث كانت الشمس في السماء لم تغب بعد، وأنها رغم قيظها إلا إنها لم تفلح في تخفيف برد ذلك اليوم القارص:

(الطويل)

ويـومٍ هـوادي أمـرِهِ لِشَـمالِـه　　　يهتّـك أخْطـالَ الطـرافِ المطنبِ

ينيخُ المخَاض البرك والشمس حيـةٌ　　　إذَا ذُكّـيتْ نيرانُهـا لـم تُلهـبِ[319]

أما الأعشى فيبين شدة الحر في الصحراء ومعاناته من الحر حتى غطى السراب التلال، وكأن الشمس قد وقفت فوق الصحراء طوال النهار تصب عليها لهيبها الوهاج وأشعتها الحارة:

(مجزوء الكامل)

ووديقـةٍ شَـهبـاء رد　　　ي أكْـمـهـا بسـرابِـهـا

ركَـدتْ عليـهـا يـومـهـا　　　شَـمـسٌ بحـر شِهابِهـا[320]

([319]) لبيد بن أبي ربيعة، **الديوان**، دار صـادر، بيـروت، لبنـان، (د. ت) ص31.(هـوادي الأمـر: أوائلـه،أخطال: حبال،المخاض: الحوامل من النياق، الشمس حية: لم تغب، ذكيت: أوقدت).

([320]) الأعشى: **الديوان**، ص 21.(الوديقة: شدة الحر في الهاجرة، الأكم: جمع أكمة وهو التل، شهباء: مجدبة).

وينكر المثقب العبدي على محبوبته هند سؤالها، ولومها له على الرحيل، فيقول لها مجيبا: ما يدريك رغم شدة حرارة الشمس وقيظها أني لن أسافر؟ ثم يقول إنه رغم حرارة الشمس سيواصل سفره، ليظهر لنا من هذا المعنى شدة ما يعانيه الراحلون من أشعة الشمس وحرارتها المرتفعة: (الطويل)

أَعاذِلُ ما يدريـك أن رب بلْـدةٍ إِذا الشمس فِي الأيامِ طَالَ ركُودهـا

وآمتْ صواديح النهار وأَعرضتْ لوامِـع يطوى ريطُهـا وبرودهـا[321]

ويصف عبيد بن الأبرص شدة حرارة الشمس، رغم ميلها إلى الغروب من خلال خلع ردائه على أصحابه لاتقاء هذا الحر، فيقول: (الطويل)

وفِتْيـان صِـدقٍ قَد ثَنَيـتُ عليهم رِدائِي وفِي شَمس النهار دحوض[322]

وقف الشاعر الجاهلي على أطلاله، وقد ارتبطت وقفته بغروب الشمس، وكأن في ذلك إشارة إلى الظلام الذي يعم الديار بعد غياب المحبوبة عنها، فربط الشاعر بين غياب المحبوبة وغياب الشمس، يقول حاتم الطائي: (الطويل)

لم ينْسِـنِي أَطْـلالَ ماويـةٍ نَاسِـي ولا أَكْثَر الماضِي الذِي مِثْله ينْسِي

إِذَا غَربتْ شَـمس النهـارِ وردتُها كَمـا يرِد الظمآن آبِيـةَ الجِمـس[323]

ويقول عبدة بن الطبيب في شدة شوقه لمحبوبته، وقد ذكر المرأة وذكر الديار مع اقتراب غروب الشمس، فيقول: (الطويل)

وقَفْتُ بِها والشـمس دون مغِيبهـا قَريبا وهاج الشوقُ من يتَشَوقُ[324]

وتأكيدا لتوضيح رحلة المحبوبة التي تنتهي مع الغروب، نرى جران العود هو الآخر

([321]) المثقب العبدي: **شرح الديوان**، تحقيق: حسن حمد، دار صادر، بيـروت، لبنـان، ط1، 1996م، ص43، (العـاذل: اللائم).

([322]) عبيد بن الأبرص: **الديوان**، ص76.(الدحوض: ميل الشمس نحو المغيب).

([323]) حاتم الطائي:**الديوان**، ص97.

([324]) عبدة بن الطبيب: **شعره**، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، العراق،1971، ص53.

يذكر أن آخر نظرة رأى فيها محبوبته كانت قبيل غروب الشمس، فيقول: (الطويل)

وآخِـر عهـدِي مِـن حميـدةَ نَظْرةٌ وقد حانَ من شَمس النهار خُفُوق[325]

ويتابع الأعشى ظعن الحي وهوادجه، والقوم يهيئونها للرحيل من الصباح الباكر إلى المساء، حيث غابت الشمس، فهو يتابع حركة قوم محبوبته طوال النهار، فيقول: (الطويل)

وشَـاقَتْـك أَظْعـانٌ لِـزينَب غُـدوةً تَحملْن حتى كادتِ الشمس تَغرب[326]

يعني طلوع الشمس في صبيحة كل يوم ولادة يوم جديد، وغروب الشمس يؤذن بانتهاء يوم سطعت فيه أشعتها، ورحيل يوم بخيره وشره، وليسدل الليل ستاره على ما توارى من الأرض عن الشمس.

ويصف كعب بن زهير الطريق الذي سلكه في سيره وقد بدأ سيره مع غروب الشمس: (الطويل)

ومستَهـلِكٍ يهـدِي الضلُولَ كأنـه حصير صنَاعٍ بيـن أَيدي الرواملِ

متَـى ما تَشأْ تَسمع ِإذَا ما هبطْتَـه تَراطِن سِربٍ مغْرب الشمس نَازِل[327]

وكذلك يصف حسان لحظة فراق الظعن مساء، وقد وجف قلبه خيفة من رحيل قومه فيقول: (الطويل)

وَأيـقَنْتُ لمـا قَوض الحي خَيمهـم بِـروعاتِ بينٍ تَتْرك الرأْس أَشْـيبا

وَأسـمعك الـداعِي القَصيح بِفُرقَـةٍ وقد جنَحتْ شَـمس النهار لِتَغْربا[328]

لم يقتصر الحديث عن الرحلة وقت الغروب على شاعر معين، بل تكرر ذلك عند حسان والأعشى وعبيد بن الأبرص، فقد صور الشعراء فيها أنفسهم وبطولاتهم التي مروا بها في

([325]) جران العود: **الديوان**، ص 53.

([326]) الأعشى: **الديوان**، ص14.

([327]) كعب بن زهير، **الديوان**، ص75.(المستهلك: الطريق الذي يجهد سالكه، الضلول: الضال أو التائه، التراطن: اللغط والصياح، السرب: القطيع من القطاة وغيرها).

([328]) حسان: **الديوان**، ص 27. (روعات: جمع روعة وهي الفزع،بينٍ: الفِراق، الداعي القَصيح: الغراب).

رحلاتهم، فالشاعر الأعشى في موقع آخر يبين كيف أمضى ليلته مرتحلا في ليل مظلم يتساوى فيه الرائي والأعور، وما لاقاه من عناء ومشقة، إلى أن أشرقت الشمس ولاح النور في الأفق، فيقول: (الطويل)

وليلٍ، يقُـولُ القَـوم مِـن ظُلْمائِـهِ: سَـواءٌ بصِيراتُ العيـون وعـورها

كـأن لنَـا مِنْـه بيـوتًا حصِينَـةً مسـوحٌ أعالِيـها وسـاجٌ كُسورها

تَجـاوزتُـه حتَـى مضى مـدلهمـه ولاح من الشمس المضِيئَةِ نُورها[329]

أما عمرو بن قميئة، فقد ركب ناقته، وسار من أول الليل في الظلام الذي اختلط بالغبار، وبقي يسير حتى طلوع الشمس، يقول: (الطويل)

وقُمـتُ إلـى وجنَـاء كالفَحل جبلَةٍ تُجـاوب شـدي نِسـعهـا بِبغَـامِ

فأُدلِج حتى تَطْلُـع الشـمس قاصِداً ولـو خُلِطَـتْ ظَلْمـاؤُها بِقَتَـامِ[330]

يبدو من خلال الأبيات السابقة أن الشاعر عمرا افتخر برحيله وقت غروب الشمس، واشتداد الظلمة، ووصف فيها رحلته وصفا معبرا عن معاناة صعبة، حيث يقل فيها الرائح والغادي، بل أحيانا يفقد، كل ذلك في وقت اختبأت فيه الشمس، لكن بعض الشعراء ذهب إلى وصف رحلته نهارا، والشمس تضرب فوقهم بأشعتها، معانيا من القيظ الشديد.

ب ـ الشمس والنبات

وصف الشعراء نباتات الطبيعة وجمالها، فرأوا أنواعا متنوعة منها في بواديهم وصحاريهم، ومنها تلك الأزهار والورود التي ذهبوا إلى تشبيه من أحبوا بها، يذكر الحطيئة أثر

([329]) الأعشى: **الديوان**، ص 70، (وتنسب أيضا لمضرس بن ربعي، ينظر ديوان بني أسد، 2/ 288ـ289، مسوح: جمع مسح: ثوب من الشعر الخشن).

([330]) عمرو بن قميئة: **الديوان**، ص38.(وجناء: الناقة الشديدة، جبلة: غليظة، البغَام: صياح الظبية، أدلج: سار مـن أول الليل، القَتام: الغبار).

أشعة الشمس على النباتات والأزهار، ويصور نبات بعض الرياض، فيصور روضة مال زهرها حيال الشمس، لتدور معها ناظرة نحوها ترقبها أينما اتجهت، فيقول: (الطويل)

عفَا مسحلان مِن سليمى فَحامِره ... تُمشي بِهِ ظِلْمانُه وجآذِره

بِمستَأسِدِ القُريان حو نَباتُه ... فَنُواره مِيلٌ إِلى الشمس زاهِره[331]

ويصف لبيد بن أبي ربيعة مكانا من الأرض نزل عليه المطر، فنبتت فيه نباتات مختلفة الأشكال والألوان، وجلاها طلوع الشمس عليها وحسنها، فأشرقت الشمس من مكان مرتفع، فيقول: (الطويل)

بذِي بهجةٍ كَن المقَانِب صوبه ... وزينَه أَطْرافُ نَبتٍ مشَربِ

جلاه طُلُوع الشّمس لما هبطْتُه ... وأَشْرقَتُ مِن قُضقَانِهِ فَوقَ مرقَبِ[332]

كما يصور الشعراء الشمس واصفرارها بنبات أصفر دعي نبات الورس الشبيه بالزعفران، وذلك من قبيل تشبيه الشيء بالشيء لونا وإعجابا وجمالا، فيقول حميد بن ثور الهلالي: (الكامل)

والليلُ قَد ظَهرتْ نَحِيزتُه ... والشمس فِي صفْراء كالورس[333]

قل ذكر الأزهار والنباتات في الشعر الجاهلي، مقارنة مع ذكر الأشجار الصحراوية، وذلك لصعوبة الظروف الطبيعية، غير أن أغلب ذكرها كان في مواضع الغزل والتشبيب، وبخاصة زهر الأقحوان الذي شبهت به الثغور[334].

([331]) الحطَيئة: **الديوان**، ص 75.(عفا: خلا من سكنه، مسحلان: اسم واد، الجآذر: أولاد البقر، قريان: مجرى الماء إلى الرياض، زاهره: ما زهر من نوره).

([332]) لبيد: **الديوان**، ص29، (بهجةٍ: الزهر والحسن، المقَانِب: جماعاتُ الخَيل، جلاه: حسنه، القضفان: الجبال الصغار، المرقب: أعلى الجبل).

([333]) حميد بن ثور الهلالي: **الديوان**، ص 99، (الورس: نبات كالسمسم أصفر).

([334]) الأعشى: **الديوان**، ص181.

ج ـ الشمس والحيوان:

العرب كغيرهم من الأمم، يزخر أدبهم بوصف الحيوان على اختلاف أصنافه وألوانه، فقد أفرد الشعراء الجاهليون قسما كبيرا من قصائدهم لوصف الإبل والخيل والظباء وكلاب الصيد وغيرها من الحيوانات الأخرى، كما ورد في أشعارهم أيضا قسم آخر في وصف الثور الوحشي مباشرة، أو من خلال تشبيهه بالناقة، حيث غالبا ما نراه يفر من أمامهم في أثناء حلهم وارتحالهم، وقد تخاف عن قطيع الوحش وانفرد في غياهب الصحراء، فوصفوه وصفا مفصلا، وبينوا قوته وحالته النفسية عند غياب الشمس وحلول الظلام وبحثه عن الماء، فليس له سوى الاحتماء بأكناف الشجر، فـ" إذا اشتد عليه البرد والمطر لجأ إلى شجيرات الصحراء وبخاصة الأرطاة، حيث يحفر الرمل ليصل إلى يابسه بحثا عن المبيت "[335]، ليبقى ساكنا صامتا وقد ألم به الجزع والقلق والسهاد، ينتظر بزوغ شمس ذلك اليوم، وما أن تطلّ نجوم الصباح حتى يظهر الصياد و تبدأ كلابه في ملاحقة الثور، وينتهي الصراع بشروق الشمس وانتصار الثور على تلك الكلاب التي أضناها التعب، وتضورت جوعا، ليهتز مغتبطا بسلامته وانتصاره.

ونرى الشمس في قصة ثور الوحش ترسم صورة متحركة لصراع من أجل الحياة، فيصف الأعشى ثورا وحشيا يمضي ليلته في ظلمة ليل حالك، وقد أكب على شجرة يحفر تحتها بقرنيه بيتا يؤويه، فتبعته كلاب صائد من بني ثعل، وبقيت تطارده منذ الصباح الباكر حتى أشرقت الشمس، فلم يجد بدا من الثبات، يقول الأعشى: (البسيط)

تَجلُو البوارقُ عن طيـان مضطمِرٍ ... تَخَالَه كوكباً فِي الأفْقِ ثقّابا

حتى إذَا ذَر قَرن الشمسِ أَو كَربتْ ... أَحس مِن ثُعلٍ بِالفَجرِ كلابا[336].

ثم يقول في موضع آخر: (البسيط)

([335]) الرباعي، يوسف أحمد يوسف: **الثور الوحشي في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 1985م، ص6.

([336])الأعشى، **الديوان**، ص17، 18.(البوارق: السحب، الطيان: الجائع، ثقابا: مضيئا، ثعل: قبيلـة مـشهورة برماتهـا، كلاب: صاحب كلاب).

حتى إذا ذر قرن الشمس صبحها ذؤال نبهان يبغي صحبه المتعا
بأكلب كسراع النبل ضارية ترى من القد في أعناقها قطعا(337)

ويصف كعب بن زهير في رحلته ثورا وحشيا خائفا مذعورا ينتقل من مكان لآخر، وذلك مع طلوع الشمس، فيقول: (الخفيف)

وإذا ما أشاء أبعث منها مطلع الشمس ناشطاً مذعورا
ذا وشوم كأن جلد شواه في ديابيج أو كسين نمورا(338)

فجاءت سرعة الثور ذات أثر بالغ في نجاته، ولا بد أن تكون السرعة التي نجا فيها مثار إعجاب الشعراء، ووجدوا فيها متنفسا لإظهار مدى قدرة الثور على حماية نفسه في بيئة جدباء، إذ شعر الثور أن بقاءه واختفاءه لم يعد يجدي ويحمي، وقد كشفته الشمس وساعدت أعداءه على رؤيته، فانهزم من أمامهم مذعورا باحثا عن مخبأ آخر يحتمي به.

أما أوس بن حجر، فتؤلم ثوره أشعة الشمس المحرقة، ويصد بوجهه عنها كما يصد الحالف عن نار المهول لحرها، فيقول: (الطويل)

يقول له الراؤون هذاك راكبٌ يؤبن شخصاً فوق علياء واقفُ
إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالفُ(339)

ويذكر بشر بن أبي خازم أن طلوع الشمس ينبه الثور بخطر الكلاب والصياد، ولهذا فإن الشمس نبهت الثور بالخطر، فأخذ حذره من أعدائه، فيقول: (الطويل)

فأدى إليه مطلع الشمس نبأةً وقد جعلت عنه الضبابة تحسِر
تمارى بها رأد الضحى ثم ردها إلى حرتيه حافظ السمع مبصِر(340)

---

(337) **المصدر السابق**، ص111. (الذؤال: الصائد الخفيف، المتع: جمع متعة).

(338) كعب بن زهير: **الديوان**، ص29.(ناشطا مذعورا: ثورا خائفا، الشوى: القوائم).

(339) أوس بن حجر: **الديوان**، ص 69.

(340) بشر بن أبي خازم: **الديوان**، تحقيق: د.عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1995م، ص117. (النبأة: المراد بها صوت الكلاب، رأد الضحى: ارتفاعه، حرتاه: أذناه).

ويشبه زهير بن أبي سلمى غيره من الشعراء، حين يصف ثورا وحشيا خائفا من كلاب الصيد، وقد خص وقت الصبح مع شروق الشمس كحال الشاعر بشر في أبياته السابقة، فيتكرر صراع الطبيعة بين الحيوانات أنفسها المتمثل في صراع الكلاب والثيران، أو بين الطبيعة والحيوان، فيحدد زهير ملاحقة الكلاب للثور وقت طلوع الشمس، على الرغم من أن الكلاب كانت تعاني من الخوف في مثل هذا الوقت، فيقول: (البسيط)

زرقُ العيون طَواها حسن صنْعتِهِ مجوعاتٌ كما تَطْوي بِها الخرقَا

حتى إذا ظن قرن الشمس غَالِبه وخَافَ مِن جانِبيهِ النهز والرهقَا

كَـر فَفَـرج أُولاهـا بِنَـافِـذَةٍ نَجلاء تُـتْبِع روقيـهِ دمـاً دفِقَا[341]

ويذكر عبدة بن الطبيب ثورا وحشيا، وقد باكره قانص بكلابه لاصطياده، وعليه مسحة من السواد في خديه، حيث تغير لونه لتجواله في مكان مجدب، وكأنه ذئب أغبر اللون، كل ذلك التغير بسبب الشمس، فيقول: (البسيط)

مسـفع الوجهِ فِي أرسـاغِهِ خَـدمٌ وفَـوقَ ذَاكَ إلى الكَـعبين تَحجِيلُ

باكَـره قَانِـصٌ يسـعى بِأكْلِبِـهِ كأنـهِ مِن صِـلاءِ الشمس مملُولُ[342]

ويبدو تأثير الشمس بجفافها تأثيرا بالغا في الحيوانات كغيرها من المخلوقات، خاصة أن بيئة البادية العربية تفتقر إلى كثير من موارد المياه، فكانت سببا أساسيا في استمرار معاناة الحيوانات من شدة العطش، أضف إلى ذلك أن حرارة الشمس كانت عاملا مهما مؤثرا، وسببا كبيرا في ظمأ حمار الوحش عند الأعشى والشماخ، فيقول الأعشى: (الطويل)

فلما علتْه الشـمس واستَوقَد الحصا تَذَكَـر أَدنَـى الشـربِ لِلمتَيمـمِ

فاوردها عينا من السيف رية بهـا بـرا مثـل الفسـيل

([341]) زهير بن أبي سلمى: **شـعره**، ص70ـ71.(طواها: أضمرها، الصنعة: العناية والتضمير، النهز: الجدب، الرهـق: اللحاق).

([342]) عبدة بن الطبيب: **شعره**، ص66.(السفعة: سواد يضرب إلى الحمرة، المملول: المشوي في الملـة وهـي الجمـر والحصى والتراب، أراد منه متغير اللون للزوم القفر). وينظر: لبيد بن أبي ربيعة: **الديوان**، ص210.

المكمـم[343]

فيصور الأعشى حمار الوحش وقد تذكر مكان ماء بعيد، وذلك عندما ارتفعت الشمس واشتد العطش به لتكون الشمس أساسا في إثارة حاجة الحيوان إلى الشرب.

وتراقب حمر الشماخ الوحشية الشـمس؛ لترد على الماء، حتى تسد ظمأها، فيقول:

(الطويل)

فظلَّـتْ بيمئـودٍ كـأن عيونَهـا ... إلى الشمس هلْ تَدنُو ركِي نواكِز[344]

ويكرر الشماخ مرة أخرى وصفه لحمار وحشي، وقد أدركه القيظ وأهزله الجفاف وقلة المرعى واشتد به الظمأ، فساق أتنه بعنف ليرد بهن الماء، وكانت الشمس السبب الكامن وراء مثل هذه الظروف، أضف إليها البيئة الصحراوية، فيقول: (الطويل)

تَربع ميثَ النيـر حتّـى تَطَـالعتْ ... نُجوم الثريـا واستَقَلَتْ عبورها

فلما فنَى الأسمالُ غاصتْ وقلصتْ ... ثَمائلُها وتَابع الشمـس صورها[345]

ويتردد حمار أسامة بن الحارث مرات ومرات على غدر الماء التي كان يعرفها، ولكنها جفت وذهب ماؤها، وبقي يعاني من شدة حرارة الشمس التي أذهبت كل موارد الماء التي عرفها، وجففتها، لذا بقي في حره، يقول: (الطويل)

فحـادثَ أنْهـاء لـه قـد تقَطعـتْ ... وأَشْـمس لمـا أَخْلَقتْهُ المعاهـد[346]

ويصور الشماخ أثر أشعة الشمس على الحمر الوحشية وكأن على رأسها الطير:

(الطويل)

وظلـت كـأن الطير فوق رؤوسها ... صياما تراعى الشمس وهو كظوم

([343]) الأعشى، **الديوان**، ص185.(البرأ: الواحد برأة: بيت الصائد، المكمم: الذي غطي ليقوى ويشتد).

([344]) الهادي: صلاح الدين: **الشماخ بن ضرار الذبياني**،حياته وشعره، دار المعارف، مصر،1967، ص 265.

([345])الهادي: صلاح الدين: **الشماخ بن ضرار الذبياني**، ص 219،(الأسمال: بقية الماء في الحوض، ثمائلهـا: سـد أمـام الماء، صورها: قرنها).

([346]) الهذليون: **الديوان**، 206/2.(الأنهاء: واحدها نِهى وهو الغدير).

مخَافَة مخْشـي الشـذَاة عـذور   لنَـابيـه فِـي أَكْفَـالِهن كُلُـوم[347]

يتبين مما سبق أن الحمار الوحشي من الحيوانات المهمة التي أكثر الشعراء من ذكرها مع الشمس، حيث وصف الشعراء حمار الوحش وأثر الشمس في حياته، ومحاولاته الدائبة في الاختباء من حر الشمس.

كما يتكرر وصف الشعراء لأثر أشعة الشمس في الحيوان، حيث يتغير لونه، فهذا الحارث بن حلزة اليشكري يصف أثر أشعة الشمس في قطعان البقر التي تتمشى في الديار وبين خدورها، فصارت مألوفة لها ولغيرها من الحيوانات: (الكامل)

لا شَـيء فِيهـا غَيـر أَصـورةٍ   سفْع الخُدودِ يلُحن فِـي الشمس[348]

ويتحدث النابغة عن قطيع من البقر الوحشية، وقد عانت من الحر والقيظ الشديدين، فأثارت الأرض بحثا عن الماء، لتخفف مما تعانيه من عناء الحر ووطأته بسبب أشعة الشمس خلال النهار، لكن الشمس تصلي بأشعتها الحارة، فيقول: (الطويل)

تَـرى كُـل ذَيـالٍ يعارض ربربـاً   على كُـل رجـافٍ مِن الرمل هائِل

يثِـرن الحصـى حتَى يباشِـرن رده   إِذَا الشـمس مجتْ رِيقَها بِالكلاكِل[349]

فالشاعر يبين أثر الشمس على أجزاء البقرة الوحشية الأقل تأثرا بالحر والأشد نأيا عنه.

كما صورت الحمر الوحشية أيضا المتعرضة للبرد ولحرارة الشمس، فيصف أبو خراش الهذلي حمارا وحشيا بقي خائفا من صائده، معانيا من حر الشمس إلى أن غابت، وعند الغياب

([347]) الهادي، صلاح الدين: **الشماخ بن ضرار الذبياني**، ص 175.

([348]) الحارث بن حلزة: **الديوان**، شرح: مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، لبنان،ط1، 1998م، ص53.(الحبس: موضـع في دياربني غطفان، المهارق: الصحف، الأصورة: جمع صوار وهو القطيع من الأبقار الوحشية).

([349]) النابغة، **الديوان**، ص66، وورد البيت في تحقيق: كرم البستاني طبعة دار صادر، بيروت، 1963م، بقوله:

يثرن الحصى حتى يباشرن برده   إذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل.

(الذيال: الثور الوحشي، الربرب: القطيع من بقر الوحش، الرجاف: المتحرك، مجت ريقها: ألقـت بـشعاعها، الكِلاكِـل: الجماعات).

صارت الشمس وكأنها كساء أو قطيفة لها خَملٌ، ولها هدبا، يقول: (البسيط)

وظَــل لهــا يــومٌ كــأن أواره ذَكَا النــار مِن فَيـح الفُــروغ طَويلُ

فَلما رأين الشــمس صــارتْ كأنها فُويـقَ البضِيــع فِــي الشعاع خَمِيلُ

فَهيجهــا وانْشَــام نَقْعــا كــأنــه إذَا لفَــها ثُــم استَمــر سَــحيــلُ[350]

تكاد تتشابه صور الحمر الوحشية مع صور الثور الوحشي أو البقر الوحشية، فالشعراء تحدثوا عنها في مجال وصفهم لنياقهم وغلظتها وقوتها، إلا أن إضفاء بعض التجديدات في الصورة يعطي انطباعا بتغير الصورة كوصف العطش أو ملاحقة كلاب الصيد أو تغير اللون بفعل الشمس.

ووصف الشعراء حيوانات الطبيعة وأثر الشمس عليها، واهتموا بالحديث عن إبلهم، فنالت حبهم وإعجابهم لقدرتها على تحمل المصاعب ومقاومة الشدائد، حتى لم تكد تخلو قصائد الشعراء من وصفهم لها، فوصفوا قوتها وسرعتها، وقدرتها على تحمل المصاعب، فهي تحملهم إلى ممدوحيهم وإلى من أحبوا، كما استطاعت أن تتحمل عناء السفر وحر الشمس الساطعة، ولم يكن اهتمامهم بها هكذا بل جاء نتيجة أهميتها في حياته.

يصور الشماخ ناقته وأثر أشعة الشمس عليها، ويصور ظلها أيضا الذي تكون بفعل الشمس. (الطويل)

إذَا وردتْ مــاء هــدوءاً جِمــامــه أَصاتَ سدِيســاهــا بِــه، فَتَشَــورا

وقَد أَنْعلتْهــا الشــمس ظِــلاً كأنــه قَلُوص حبــارى زِفهــا قَد تَمورا[351]

ويكون الشماخ قد تميز عن غيره من الشعراء في وصف ظل الحيوان في صورته.

([350]) الهذليون: **الديوان**، 2/ 119.(الأوار: الوهج، البضيع: الجزيرة في البحر).

([351])الهادي: **الشماخ بن ضرار الذبياني**، ص 183.(أصات: صاح، تَشورا: أي أشار، قلوص: فتيــة، حبــارى: طــائر كالحمام).

أبدع الشعراء في وصفهم لحيواناتهم بشكلها العام، وأكثروا من وصف نياقهم التي تحملت أشعة الشمس وحرها، فعليها أمضوا أسفارهم واقتحام المخاطر التي عانوا منها، لتتميز ناقة الشماخ وقد غطتها الشمس، فقد أكسبتها شبابا وقوة على عكس كثير من الصور التي تبين أثر الشمس المضني، وما يتبعه من عطش وجفاف ومتابعة لكلاب الصيد لبعض الحيوانات، فيكون الشماخ قد استطاع التوفيق بين الشمس وناقته، كما كان حديث الشاعر أكثر خصوصية عن حيوانه، وهي ما يهم الشاعر زمانا يشغل باله.

ويأتي جران العود بصورة عكسية لصورة الشماخ، فيبين أن ناقته قوية صلبة لم تتكسر من سري الليل، أما إذا طلعت الشمس عليها واشتدت حرارتها تكسلت وأصابها الفتور، وهو الوقت الذي تصاب به معظم الكائنات الحية بالكسل والتواني، فيقول: (البسيط)

حم المآقِي علـى تَهجِيجِ أعينِها ... إذَا سمون وفِـي الآذَانِ تَألِيـلُ

حتى إذَا متَعتْ والشمس حامِيةٌ ... مدتْ سوالِفَها الصهب الهراجِيلُ(352)

فما نلمحه من الشعراء هو وصف حيواناتهم نهارا وأثر الشمس فيها، أما الليل فقد كان أقل تأثيرا فيها، بل استطاعت تجاوز مصاعبه وبرده.

ويصور الشماخ أثر الشمس في ناقته وقد حلتها بغرة جميلة زادتها جمالا فوق جمال، وكأن الشمس مانحة الحسن والجمال، فيقول: (الطويل)

وقد ألبسـتْ أعلَى البـريدين غُرةً ... مِن الشمس إلباس القَنَاةِ الحزورا(353)

وينظرالشماخ إلى الشمس وقد لمعت في عيني ناقـته وكأنهما مرآتان ذهبيتان ملساوان، فيقول: (البسيط)

ترمي الغيـوب بمراتيـن من ذهـب ... صلتين ضاحيهما بالشمس

---

(352) جران العود: **الديوان**، ص 59.(حم: سود، متعت: ارتفعت، التهجيج:الغؤور، والتأليل: التحديد، أخذه من الألة وهـي الحربة، وتحديد الآذان من النجابة، السالفة: صفحة العنق، والهراجيل: الطوال).

(353)الهادي: **الشماخ بن ضرار الذبياني**، ص183.

مصقول[354]

يصور سحيم عبد بني الحسحاس بياض بيضة النعام، وقد واجهت الشمس ضحى، فيقول: (الطويل)

فما بيضـةٌ بـاتَ الظليـم يحفـها	**ويـرفع عنْها جؤْجـؤاً متجـافِيـاً**
ويجعلُـهـا بيـن الجنَـاح ودفـهِ	**ويفرشُها وحفَـاً مـن الزف وافِيـاً**
فيرفَـع عنْهـا وهـي بيضـاء طلةٌ	**وقد واجهتْ قرناً مِن الشمس ضاحِياً**[355]

ويقول علقمة:

وضاعـة كـعِصي الشـرع جؤْجؤه	**كـأنه بِتنَـاهِـي الـروض علجـوم**
حتى تَلافى وقـرن الشـمس مرتَفِعٌ	**أُدحي عِرسين فِيهِ البيض مركُـوم**
يوحِـي إِليهـا بِأنْقـاض ونَقْنَقَـةٍ	**كمـَا تَراطَن فِـي أَفْدانِهـا الـروم**[356]

تصدرت الظباء مواقع كثيرة من أشعار الشعراء، وكانت من أكثر الحيوانات تأثرا بالشمس، لذا ركزوا عليها وعلى أثر الشمس فيها، فها هو مضرس بن ربيعة يصور ظباء خلدت للراحة، بعدما أضناها التعب، وكأن الشمس تدلت فوق رؤوسها فغطاها الحر فلجأت إلى بيوتها وسكنت فيها حيث أشبهت هذه الظباء عذارى تدلى عليهن الستر كي لا يرين أحدا: (الطويل)

ويومٍ مِـن الشعرى كـأَن ظِباءهـا	**كـواعِـب مقْصـورٌ عليهـا ستُورها**
تَـدلتْ عليهِ الشمـس حتى كأنمـا	**مِن الحـر يرمـى بِالسـكِينَةِ نُورهـا**
سجوداً لدى الأرطَى كأن رؤُوسـها	**عـلاها صداعٌ أَو فَـوالٍ تَصورها**[357]

وتدخل الظباء من أثر قوة أشعة الشمس في بيوتها، بسبب أشعة الشمس القوية، فيقول

([354]) **المرجع السابق**، ص189.

([355]) سحيم عبد بني الحسحاس: **الديوان**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القـاهرة، 1950م، ص18.(طلة: ندية كثيرة الماء).

([356]) علقمة: **الديوان**، ص54.(جؤجؤه: صدره، العلجوم: الليل، عرسين: الظليم والنعامة).

([357]) بنو أسد: **الديوان،** 2 / 284، 285. كما وردت هذه الأبيات عند الأعشى: **الديوان** ص: 70.(الشعرى: كوكب نير، الكواعب: مفردها كاعب: وهي الجارية التي نهد ثديها، تدلت عليها: صارت فوق رؤوسها، النور: مفردها نَـوار، وهـي النفر مِن الظباءِ والوحش وغيرها، الفُور: مفردها فَارةٌ وهي الحرةُ، أي أرض ذات حجارة سوداء).

حميد بن ثور الهلالي واصفا النساء ومشبها إياهن بالظباء: (الطويل)

ولما استَقَل الحي فِي رونَق الضحى قبضـن الوصايا والحدِيثَ المجمجما

دمـوج الظباءِ العفْر بِالنفْس أَشْفَقَتْ مِن الشمس لما كانَتْ الشمس مِيسما

وربحـن وقَد زايـلْن كُـل صنِيعـةٍ لهـن وبـاشَرن السدِيـلَ المرقمـا[358]

وحينما كانوا يريدون بيان شدة أشعة الشمس المحرقة وأثرها، يكون ذلك بوصف ظباء تهرب من الشمس وتلوذ بالظل، وكأنها هي آخر من يتأثر بأشعة الشمس وحرارتها، يقول كعب بن زهير: (الطويل)

مِن خَلْفِهـا قُلُـصٌ تَـجـري أَزِمتُها قَـد مسـهن مـع الإِدلاجِ تَهجِيـر

يخْبِطْن بِالقَومِ أَنْضاء السـريح وقَـد لاذَتْ مِن الشـمس بِالظل اليعافِير[359]

يرسم خداش بن زهير بن ربيعة، صورة أخرى للظباء من خلال تشبيه حبيبته بظبية، حيث اختبأت ولجأت إلى شجر الأراك: (الطويل)

إِذَا الشمس كانَتْ رتْوةً مِن حِجابِها تَقَتْهـا بِأَطْـرافِ الأَراكِ وبِالسدر[360]

كما ذكر الشعراء الشمس في أثناء حديثهم عن النحل وجني العسل، ليصفوا بعد هذا العسل، وارتقاءه من خلال بعد الشمس، حتى يبينوا شدة معاناتهم، يقول أبو ذؤيب الهذلي:

(الوافر)

علـى فَتْخَـاء تَعلَـم حـيثُ تَنْحـو ومـا فِـي حِـيثُ تَنْحـو مِـن طَرِيق

فَيمـم وقْبـةً فِـي رأْس نِيـقٍ دوين الشـمس ذَاتَ جنـى أَنِيـق[361]

([358]) حميد بن ثور الهلالي: **الديوان**، ص 20،21.(قبصن: أخذن، المجمجم: المردد في النفس، دموج الظباءِ في كنسها: دخولها).

([359]) كعب بن زهير: **الديوان**، ص40.

([360]) القرشي: **جمهرة أشعار العرب**، ص414.(مغزلة: معها غزال، تقرو: تتبع، الجأر:الضخم، النانـات: أرض، رتـوة: قريبة، تقتها: اتقتها).

([361]) أبو ذؤيب الهذلي: **الديوان**، ص 179.(الفتخاء: صفة اللين، يمم: اتجه نحو الوقبة).

فيبين أبو ذؤيب الهذلي أن ما كان قريبا من الشمس عظمت قيمته، وأضحى صعب الوصول إليه، وكأن الشمس مكان مهم لحفظه، فيقول: (الطويل)

بأَري التي تأْري لدى كُـل مغْـربٍ ... إذَا اصفَر لِيطُ الشمسِ حان انْقِلابها
بِأَري التي تأْري اليعاسِيب أَصبحتْ ... إلـى شاَهِـقٍ دون السماءِ ذُؤَابها[362]

(362) أبو ذؤيب الهذلي: **الديوان**، ص 33 (الأري: العسل، الليط: القشر من كل شيء، تأري اليعاسيب: تَـسوسه النحـلُ وتَعملُه، واليعسوب: رأس النحل، ذؤابها: أعلاها).

الفصـل الثـالـث

الصورة الفنية للشمس في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: صورة الشمس / دراسة فنية.

المبحث الثاني: أبعاد صورة الشمس في الشعر الجاهلي.

المبحث الأول: صورة الشمس / دراسة فنية.

تأثر الشاعر الجاهلي في حياته في الصحراء بمؤثرات خفية، تصور وجودها في كل مكان، فلم يجد في نهاية صراعه من أجل الحياة إلا أن يستسلم لقوى الطبيعة، فقد رأى في منطقة عيشه وما يحيط به صورا متنوعة، غلب عليها طابع التأثير في حياته، وأخذ يقارب بين الموجودات فيها من حيث التشبيه، أما ما لم يجده في بيئته، فأخذ يتصور له صورا غريبة كان قد نسجها من مخيلته، مما أدى إلى تنوع الصور الشعرية في أشعاره، فرسم صورا للطبيعة بمظاهرها المختلفة، بما فيها الإنسان والحيوان والنبات، فكان الذوق الجاهلي لهذه الظواهر ذوقا مميزا ينبض بالحياة، و يدل على رؤية عميقة عند من عبر عنها من الشعراء، أظهر اعتزازهم وافتخارهم بما كان يتناول من هذه الصور من هنا كانت " الصورة وما فيها من تقييم ذاتي للبيئة تدل على موهبة الشاعر في التصوير... ويدلنا ذلك على مدى تأثير البيئة في الشاعر، ومدى وعيه وتجاربه في تمثلها والإحساس بها "[363].

تعد الصورة الفنية مصدرا مهما في رسم الواقع الحياتي للبشر، وهي أساس العمل الشعري للشاعر في بنائه الفني، كما تعد وسيلة مهمة لبيان واقع الشاعر النفسي والمعاناة التي يعاني منها، ودراسة الصورة دراسة فنية يساعد على فهم فكر الشاعر ورسمه الواقع، وكأن الشاعر في حديثه القصصي الشعري يعيش بين ظهرانينا.

ويقوم الشعر الجاهلي في أكمله على الوصف والتصوير، وصف الإنسان و الحيوان و الطبيعة، فلم ينس الشاعر الجاهلي وصف الصحراء، برمالها وديارها وسحبها ورياحها وسمائها ونجومها وبردها وحرها، وليلها ونهارها، ووصف الكواكب المضيئة ليلا ونهارا، وكانت الشمس إحدى هذه المصابيح التي نالت إعجابهم في تصويرها، "وامتاز وصفهم للطبيعة بالوضوح، وامتاز خيالهم المستوحى منها بالجلاء، فلا نجد في وصفهم تعقيدا أو غموضا، ولا نجد في خيالهم اضطرابا أو استحياء من بعيد، وسبب ذلك أن البيئة واضحة مكشوفة، فهنالك

---

(363) عبد الحافظ، د.صلاح: **الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشـعره**، دراسـة نقديـة نـصية، دار المعارف، مصر، ط1، 1983م،ص 189.

الفضاء الرحب الذي يمتد فيه البصر من غير أن تصده عوائق، وهنالك الشمس الساطعة التي لا يحجبها الغيم إلا في بعض المناطق أزمانا قصارا في كل عام"[364].

وإذا نظرنا في معنى الصورة، فهي "تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية، أو يقدمها الشاعر أحيانا كثيرة في صور حسية"[365].

ويرى الدكتور جابر عصفور أن أهمية الصورة تتأتى من " الطريقة التي تفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها، إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه"[366].

هذا وقد افتتن الشعراء الجاهليون بالوصف المميز لكل ما وقع عليه نظرهم، لإظهار رغبتهم ومقدرتهم على تصوير ما يريدون، من خلال أسلوب شعري يعتمد على دقة الملاحظة، والقدرة على التشبيه والاستخدام التعبيري بالمجاز والصور البلاغية الموحية، فغلب على أشعارهم أن كثرت الصور البيانية والتشبيهات، التي لفتت انتباه دارسيها.

جاء الشعر الجاهلي خير ممثل وواصف للحياة الجاهلية، فيرى الباحث إيليا حاوي أن "الشعر الجاهلي سجل أو شريط واضح جلي تظهر فيه معالم الحياة الجاهلية، كأنها تجري في حقيقة الواقع، وليست توصف في الحروف والألفاظ عبر الذهن، فهو يضعنا وجها لوجه أمام

([364]) الحوفي، د.أحمد محمد:**أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر(د.ت)، ص160

([365]) البطل، د.علي: **الصورة في الشعر العربي** حتى آخر القرن الثاني الهجـري، دار الأنـدلس، بيـروت، لبنـان ط3، 1983م، ص 30.

([366]) عصفور، د. جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيـروت، لبنان، ط2، 1983م،ص 327ـ328.

معالمها، كأننا نعيش في قلبها ولسنا نتخيلها تخيلا، أو نفترضها افتراضا"[367].

والشمس إحدى مظاهر الطبيعة في حياة عرب الجاهلية، دفعت الشاعر الجاهلي إلى أن يرسم لها صورا مختلفة حاول أن يربطها بالواقع، وجاء بصور متنوعة، قائمة على ضروب عدة، من حيث أهميتها، ميقاتا زمانيا، فبطلوعها تبدأ الحياة سيرها، وتلبس ثوبها الجديد، و ضرب آخر مكاني من حيث مكان غروبها، وإشراقها في صبيحة اليوم التالي، واستحالة الوصول والارتقاء إليها، والارتباط البشري والحيواني بها، وعلاقتهم بها من رسم صور وتشابيه متعددة، وما وراء ذلك من مضامين دلالية عميقة، إلى أن وصل بهم الأمر إلى تأليهها، والسمو بهذا الكوكب إلى منزلة التقديس.

لقد تعددت صور كوكب الشمس في الشعر الجاهلي، وجاء هذا التعدد وليد البيئة الجاهلية، المؤثرة في حياتهم، وكان فهم البيئة والحياة ذا تأثير فعال في خيال الشاعر وفهم عالمه الكبير، كما عمق تأثير الشمس على الأرض المعنى الحسي والمادي لحياتهم، لينعكس ذلك في صورهم التي أبدعوا فيها، فكانت الشمس مصدرا أساسيا لكثير من الصور.

تبدو صورة الشمس من خلال أشعار الجاهليين ممثلة للعنصر الجمالي الإنساني، و مثلا أعلى للجمال والحسن والبياض، وصورة أخرى ممثلة للعنصر الحيواني لتظهر فيه الشمس بقرن أو ذات قرون، أما الصورة الثالثة للشمس باعتبارها عنصرا زمنيا مهما، تكون فيه الشمس كميقات زمني دقيق، فضلا عن مكانتها المرموقة المتمثلة في السمو والرفعة، وأخيرا صورة الشمس الإلهة ذات الصورة الربوبية، لتكون الشمس فيه مصدرا من مصادر الخير والعطاء مانحة لا ممنوحة.

وجاءت صور الشاعر القديم وإبداعاته من واقع الحياة العامة، ونسج الشعراء من صور الشمس صورا أخرى فقاربوا بينها وبين ما هو أساس حياتهم من بشر وحيوان، وكان من بين

([367]) حاوي، إيليا: **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط3، 1980م، ص20.

تلك الصور صورة المرأة، التي تعد مصدرا خصبا لحديث الشعراء، فشبهت المرأة بالشمس في أكثر مـن موقـع، "فالشعراء يشبهون المرأة بالشمس مباشرة أو بما يرمز إلى الشمس كالغزالة والمهاة"[368].

إن اللجوء إلى تشبيه المحبوبة بالشمس، والتشبيه بها تأكيد على أهمية المرأة في وجدان الشاعر، وقدرتها على الدخول إلى قلبه، فلا يمكن لكائن آخر أن يصل إلى ذلك سوى المرأة التي لا يمكن أن يتصف غيرها بمثل هذا الوصف، فالمرأة من أهم أسس الحياة الدنيوية للرجل، بل هي الوجه الآخر الذي لا يمكن أن تستمر حياة الرجل من غيره، لذا عمد الشاعر الجاهلي إلى التركيز على تصويرها من خلال وصفها بالإضاءة والنور اللذين يعملان على صفاء حياة الإنسان، من هنا لم يجد الشاعر الجاهلي شيئا يشبه به بقوته النورانية سوى الشمس، مما أدى إلى تشابه صورتها وتكرارها عند بعض الشعراء الجاهليين في لوحة الغزل.

وصف الشعراء كل ما شاهدوه في المرأة، وصفا دقيقا، من كشح وساقين وبطن وصدر ووجه وعينين وثغر وخدين وعنق محلى وقد، وشعر طويل مسترسل على الأكتاف، أما من حيث اللون، فهي بيضاء، ووجهها وضاء يغلب الظلمة بنوره الساطع، وتداول الشعراء هذا الوصف الدقيق لأعضاء المرأة، و تساووا في رسم هذه المقاييس وإن تنوعت طرق عرضهم لها، فمال بعضهم لإبراز بعض هذه الجوانب وإسناد أساسها إلى الشمس، من هنا نرى أن الشمس لعبت دورا بارزا في إبراز فن الغزل وتطوره في الشعر الجاهلي.

تنقسم لوحات القصيدة الجاهلية إلى لوحات بارزة مهمة، لوحة الطلل، ولوحة الظعائن، ولوحة الصيد، ونرى "أن الصياد في قصة الثور الوحشي هو كلاب دائما ـ صياد ذو كلاب ـ وإن كلابه هي سلاحه الوحيد"[369] وإذا أخذنا لوحة من هذه اللوحات، لوحة الصيد مثلا، نرى الصراع القائم بين طرفي اللوحة من أجل البقاء، تكون الشمس أساسا فيه ومصدرا مهما في رسم قصة الثور ولوحة الصيد في الشعر الجاهلي، حيث تتبع كلاب الصيد ثور الوحش

([368]) عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن،1976، ص 115.

([369]) رومية، د. وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**، مؤسسة الرسالة،بيروت، لبنان ط3، 1982م، ص114.

لاصطياده، أما من حيث الوقت الذي يرسم فيه الشاعر الجاهلي وقت الأحداث فيغلب عليه في النهار، ومع إشراق الشمس، كما في قول عبدة بن الطبيب، الذي يصور ثورا وحشيا، باكره قانص بكلابه لاصطياده، وأصابه تغير اللون فكان أغبر اللون، كل ذلك التغير ناتج بفعل الشمس، فيقول:

مسفع الوجـه في أرسـاغه خـدم		**وفـوق ذاك إلى الكعبيـن تحجيلُ**
بـاكره قـانصٌ يسـعى بأكلبـه		**كأنه من صـلاء الشمس مملول[370]**

وكثيرا ما تتم المطاردة العنيفة، التي تنتهي دائما بانتصار ثور الوحش ونجاته من الصائد وكلابه، قبل غروب الشمس، ليخلد الثور بعد ذلك إلى الراحة تحت الشجر، بعد عناء طويل وتعب شديدين، وكأنه يبتهل إلى خالقه، ويتضرع إليه بالصلاة.

يحترف الصائد الصيد وهو مصدر معاشه وحياته، ليتم غالبا مع لحظات شروق الشمس المنيرة، والكلاب مذعورة مضطربة.

حديث الشاعر الجاهلي عن الصراع المضني، وفنية تصويره لمثل هذا الصراع، إنما هو حديث عن نواميس الحياة وحقائقها الأبدية، هذا الصراع الحيواني الحيواني، إنما هو صورة أصلية من صور صراع الأحياء في الكون، أو بين الحيوان والطبيعة التي تعمل على إفناء من لا يستطيع البقاء والعيش.

لم ينس الشعراء في حديثهم عن أثر الشمس في حياتهم وصف ظاهرة السراب وتصويرها، لنلمح هذا التصوير واضحا في وصف أبي ذؤيب الهذلي عند حديثه عن طريق صعب، وقد تكون السراب بسبب اشتداد أشعة الشمس، فيقول:

مستوقدٌ في حصاه الشمس تصهره		**كأنّه عجـمٌ بالبيـد مرضـوح[371]**

[370] عبدة بن الطبيب: **شعره**، ص66.

[371] أبو ذؤيب الهذلي: **الديوان**، ص 85.

فهو يصف طريقا ضيقا أشبه بفرق الرأس؛ دلالة على ضيقه وصعوبة السير فيه، ويرى فيه الماشي سرابا، كما يصفه بشدة حرارته وارتفاعها، ثم يصور الحصى الصغير وكأنها تفتت أو دقت وصغر حجمها من سير الناس وشدة الحر.

ويقول مضرس بن ربعي:

تَربعن روض الحزمِ حتى تَعاورتْ		**سِهام السفَـا قُريانُه وظَواهِره**
بِلَماعةٍ قَـد صادفَ الصيفُ ماءها		**وفَاضتْ عليها شَمسه وحرائِره**(372)

فالشاعر مضرس ينتقل ليصف فلاة تلمع صيفا لانعكاس السراب عليها من شدة حرارة الشمس ووهجها، حتى لتبدو المنطقة وقد غطت بينابيع مياه غزيرة، فطلوع الشمس ساعد على رسم صورة أثر الشمس في نشوء السراب.

غلبت الصور الشعرية على أشعار الشعراء الجاهليين، وعند الحديث عن كوكب الشمس نلمح كثرة استخدام التشبيهات، والاستعارات وذلك في بيئة أمدتهم فيها بحشد واسع من هذه الأفكار والمخيلات، فيشبه الشاعر حميد بن ثور الهلالي الشمس بالورس الذي يشبه في لونه الزعفران يقول:

والليـلُ قَـد ظَهـرتْ نَحِيـزتُـه		**والشـمس فِي صفْراء كالورس**(373)

لقد أبدع الشاعر حميد بن ثور في حرصه على تلوين صورة الشمس بالألوان التي تنطبق عليها انطباقا ملائما، فجعلها زاهية تقترب من الواقع، حتى أصبحت الصورة والواقع شيئين كأنهما واحد، فهو يشبه الشمس لحظة غروبها بالورس المقترب في لونه بلون الزعفران وهو المشبه به، أما وجه الشبه فيتمثل في اللون الأصفر، كما استعمل الشاعر لفظة صفراء ليمثل الصورة تمثيلا صادقا ثم يضيف إليها كلمة الورس، مقاربا بينه وبين الشمس في اللون.

(372) بنو أسد: **الديوان**، 2 / 273ـ 274.

(373) حميد بن ثور الهلالي: **الديوان**، ص 99،(النحيزة:الطريقة المستدقة،الورس: نبات كالسمسم الأصفر).

كما عمد الشعراء إلى استخدام التشبيه البسيط في تصويراتهم الشعرية، لذلك لا يعثر الدارس على صعوبة في التعرف إلى أركانه، وخاصة فيما يتعلق بتشبيه المحبوبة بالشمس، فنجد المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، مع غياب لوجه الشبه في معظم الأحيان، ليترك للقارئ والدارس التعبير عن وجهة نظره، والمشاركة في وضع وصنع خيال تصوري يتصف بالقوة والعظمة.

ويظهر أسلوب التجديد في الشعر الجاهلي باستخدام الوصف البديعي من خلال التشخيص(الأنسنة)، فيصور الطفيل الغنوي الشمس محبوبة تضحك وتبتسم، فهو يتلهى ويفترض لصورته شتى الافتراضات التي تتفتق حيال ذهنه، فيقول:

عروبٌ كأن الشمس تَحتَ قِنَاعِها		إِذَا ابتَسمتْ أَو سافِراً لَـم تَبسـمِ
رقُود الضحى ميسان ليلٍ خَريدةٌ		قَد اعتَدَلتْ فِي حسن خلقٍ مطهمِ(374)

ويصل التشبيه عند الطفيل وغيره من الشعراء إلى السرد القصصي، والأسلوب التصويري الذي يوضح فيه الشاعر ما يريد التعبير عنه، ويسكب فيه عاطفته ليكسبها بعدا حسيا جديدا، ففي حديثه عن محبوبته يرسم لها صورة جميلة، ويلجأ إلى وصفها الكلي بالشمس المنيرة والمختبئة داخل جلابيبها، وينتقل الشاعر الطفيل إلى تتبع هذه الصورة بوصف ترف المرأة ونعومتها.

نستطيع أن نرصد الصورة الفنية التي يشبه فيها الشاعر النابغة الشمس بكائن حي عانى من شدة الحرارة والعطش، وقد أخذ الشاعر في تمثيل جوانب هذه الصورة، مضفيا عليها ألوانا من الجدة والشدة، وكان قصد الشاعر منها إظهار ضروب المعاناة فيقول:

تَـرى كُل ذَيالٍ يعارض ربربـاً		على كُل رجافٍ مِن الرمل هائِلِ
يثِرن الحصى حتَى يباشِرن رده		إِذَا الشمس مجتْ ريقَها بِالكلاكِلِ(375)

(374) الطفيل الغنوي: **الديوان**، ص75.
(375) النابغة: **الديوان**، ص66.

وتتركز الصورة الفنية في عجز البيت الثاني، فكلمة ريق تدل على تصوير الشمس بالكائن الحي، ولتظهر الاستعارة بصورتها الجلية وكأن الشمس كائن حي تأثر كثيرا بالحر حتى جف ريقه، بسبب نقص الماء ونضوبه، إنها الصحراء التي لا ترحم.

ويصف الشاعر قيس بن الخطيم جمال الشمس الذي تتساوى به محبوبته معها:

كَـــان المنَـــى بِلقَائِهــا فَلَقِيتُهــا		فَلَهــوتُ مِن لَهــو امرئٍ مكْــذُوبِ
فَرَأيتُ مِثْلَ الشمس عِنْد طُلُوعِها		فِــي الحسن أو كَدنُوها لِغُــروبِ (376)

يكثر الشاعر قيس من ألوان التشبيه المادي، التي يمكن الاهتداء إليها بسهولة، ويسلك فيها من التصوير الدقيق، الذي يحس بالبصر، وقد اعتمد على الفنون البيانية المختلفة، فصورة المحبوبة عند ابن الخطيم كالشمس المكتملة حسنا، وقد خصص الشاعر لحظة الشروق أو الغروب لتكون الشمس أجمل ما تكون، فهي هينة لينة، لم تكن نظرة الشاعر مجردة وإنما حاول أن يمنح الشمس إحساسا ويضفي عليها شعورا إنسانيا، بما تحويه من معاني الجمال والعظمة والقوة والصبر والثبات، وهي نفس النظرة التي ظلت متداولة عند معظم الشعراء في أشعارهم زمنا طويلا، وقد بين الشاعر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه حتى لا يدع للقراء مجالا للشك.

ويكتمل التشبيه الحيواني وتتضح الصلة بين المرأة والغزالة والشمس من خلال مد خيوط واصلة بين الطرفين، وهي وجود القرون، وهم يستعيرون القرن والقرون لضفيرة المرأة، عندما تظهر صورة الشمس وقد رسم لها الشاعر قرونا. ومن غير الحيوان له قرون ؟ فقد أظهر الشاعر رسما فنيا جديدا للشمس، وأكمل ما لم تكمله الطبيعة، طبيعة وجود الشمس بلا قرون، من هنا تتحقق قدرة وإبداع الشاعر أمام الأشياء، فهو يغوص إلى ما وراء الواقع، ليرسم صورا حية، مشبها الشمس بالكائن الحي ذي القرون، وكأن الشمس كالثور الوحشي الذي يتحدث عنه الشاعر كما هي عند الأعشى مثلا (377).

وتتضح معالم الصورة الفنية من كونها مبنية على رؤية عميقة، تضرب في عمق

(376) قيس بن الخطيم: **الديوان**، ص57

(377) الأعشى، **الديوان**، ص 17 ـ 18.

جذورها إلى عالم الطبيعة، وإن كان الشاعر ينوع في صوره، فتارة يرسم للشمس صورة تقترب من العالم النباتي وأخرى من العالم الحيواني، لينم التشبيه في مثل هذه الصور عن فكر الشاعر وخياله، فالحيوان من مخلوقات ا الوحيدة ذات القرون، فهو يلي الإنسان في سيطرته وقوته على الطبيعة، من هنا جعل الشاعر للشمس قرونا كباقي المخلوقات، فاستعار لها صورةَ كائن حي ينمو ويحيا كباقي الحيوانات، يقول زهير واصفا هو الآخر الشمس كالصورة السابقة في معرض حديثه عن ذكر حمار الوحش وأثر الشمس فيه:

حتى إذا ظَنَّ قَرْن الشمس غَالِبه		وخَافَ مِن جانبيهِ النهز والرهقا[378]

ولا يمكن للشمس التي شخصت عند الأعشى بإنسان أن تنكر فضل الممدوح، إنها صاحبة ذاكرة قوية، وإن كان الشاعر في استفهامه مستنكرا ونافيا نكرانها فيقول:

وإن فَحَـص النـاس عـن سـيِّدٍ		فَسَـيِّـدُكُــم عنْـه لا يفْحَـص
فَهلْ تُنْكر الشمس فِـي ضوئِـها		أو القمــر الباهِـر المبـرص[379]

نرى معالم صورة الشمس وحيويتها من خلال رسم صورة حية مفعمة بالنشاط الحيواني، فقد استعار لبيد للشمس صورة الكائن الحي، ينمو ويكبر والشمس متفاعلة مشتعلة، وقد عمد الشاعر إلى أخذ بعض الصور من حيوانات الطبيعة، وبدأ الشاعر البيت بالفعل ينيخ، في إشارة إلى هيمنة الفعل، وتتبع صورة المفعولية، فهيمنت الجمل الفعلية على البيت وجاءت موزعة بين الماضي والمضارع، فهي (ينيخ، ذكيت، تلهب)، فقد وقع الفعل (ينيخ) تحت تأثير الشمس مع الفرق بين الطرفين التي لا تقوم على التكافؤ، يقول لبيد:

يُنيخُ المخَاض البرك والشمس حيةٌ		إِذَا ذُكيتْ نِيرانُها لَـم تَلَهـبِ[380]

تتعدد الصور وتتنوع في أشعار الجاهليين، وتنقسم"الصورة بحسب مادتها إلى صورٍ

(378) زهير بن أبي سلمى: **شعره**، ص70.

(379) الأعشى: **الديوان**، ص105.

(380) لبيد: **الديوان**، ص31.

بصرية وسمعية وشمية وذوقية ولمسية، فهي تشكيلات مستمدة من عمل الحواس الخمس ويضاف إليها الصور الحركية والعضوية، وقد تغلب حاسة منها على صورة ما فتنسب إليها وقد تشترك أكثر من حاسة في تكوين صورة أخرى مما يسمى بالصورة المتكاملة"[381].

أخذ الشعراء الجاهليون في إظهار صور حسية مبالغ فيها للشمس، لإكمال التصوير الفني؛ فلجأوا إلى تصوير الشمس بالمرأة والظبية والفرس وغيرها من الرموز، وأرادوا أن يصفوا أهمية هذا الكوكب الوجودي، وأثره عليهم، ولم ير الشاعر الجاهلي الشمس مجردة من المعنى، بل اتخذها صورة للثغر والوجه والأسنان ورآها في العين تارة أخرى، فصور الشمس الحسية اللمسية تتدرج من البعيد إلى الأكثر قربا منه، متمثلة في المرأة أو الرجل مدحا ورثاء.

كما يرسم بعض الشعراء صورة بصرية في وصفه لأثر أشعة الشمس على حيواناتهم، فيصور الشماخ أثر أشعة الشمس على ناقته وكأنها لبست رداء مميزا، وطبعت على جبهتها غرة جميلة، إنها الشمس مانحة الجمال والإخصاب، فيقول:

وقَد أَلْبسـتْ أَعلَى البـريدين غُرةً		**مِن الشمس إِلْباس الفَتَاةِ الْحزورا**[382]

عمد الشعراء إلى الإجادة في رسم صورهم وإبداعاتهم، فكان الشاعر الجاهلي يأتي باللون لهدف نفسي يثري به التجربة والمعنى، فاستخدم الشعراء اللون الأصفر في أشعارهم، ولم يكن هذا الاستخدام نادرا أو شاذا، بل تكرر مرات عدة، وتم اختيار لون الشمس (الأصفر) الذي ترتاح له النفس، ويمتاز بقربه من بيئة الجاهليين وبرؤية تفكيرية وأبعاد عميقة رائعة. إن الوصول إلى هذه الصور يستدعي الإنبات والنماء والجمال والاستواء، وتستحضر الحياة بمظاهرها وخصبها، وتؤكد الصورة التي يخلعها الشاعر على التشبث بالحياة في أكمل صورها بمواجهة الزمن العاتي، إذ تحفل صور المحبوبة بدلالات الحياة والصفرة والبكارة، وبما فيها من تجدد، فالذوق اللوني مرتبط بالجمال الأنثوي الفاتن، بما فيه من حسن، وشباب ووسامة جسد،

([381]) البطل: **الصورة في الشعر العربي،** ص 28.

([382]) الهادي: **الشماخ بن ضرار الذبياني،** ص183.

يقول قيس بن الخطيم:

صفْراء، أَعجلَها الشـباب لِداتِها		موسومةٌ بِالحسن غَير قَطُوبِ
تَخْـطُو على بردِيتَين غَذَاهـما		غَـدِقٌ بِساحةِ حائِـرٍ يعـبوبِ
تَنْكَـل عـن حمش اللثَاتِ كَأنه		بردٌ جلتْه الشمس فِي شُؤْبوبِ[383]

يذكر أيضا أبو ذؤيب الهذلي اللون الأصفر مع الشمس، في معرض حديثه عن إيقاع قبيلته بالعدو، و تتنامى الصور الشعرية فيما بينها لتنسجم في جو(البيت)، فتكشف الصورة اللونية عن مسرح الأحداث، يقول أبو ذؤيب:

سبقْتَ إِذَا ما الشمس آضتْ كَأَنها		صلاءةُ طِيبٍ لِيطُـها واصفِرارها[384]

وإذا نظرنا إلى صورة الشاعر قيس بن الخطيم السابقة نجد محبوبته صفراء، تختلف عما هي عند النابغة الذي امتازت محبوبته بلونها الأبيض، فمبعث اللون الأصفر عند قيس هو أن محبوبته تكتسب لون الصفرة من الطيب الذي تتطيب به، أما عند النابغة فهي بيضاء في صفائها وطهارتها وهذا ما سنشير إليه في أبعاد صورة الشمس في القسم الأخير من البحث.

كان اللونان الأبيض والأسود أكثر الألوان استِخْداماً في أشعار الجاهليين، تلك التي تعكس الألوان السائدة في الصحراء. فقد استخدمت الخنساء اللون الأبيض وخلعته على أخيها صخر، لتدلل على كرم أفعاله وحسن صنيعه، فهو كالشمس والكوكب المضيء في بياضه ووضوحه، لا يخفى على أحد، ألون الشمس أبيض كما تصفه الشاعرة ؟ أم لحسن فعال الشمس وإشراقها أصبحت بيضاء، لقد تلونت الشمس وتغيرت، لأنه لا بد لكل شيء حسن من أن يوصف باللون الأبيض النقي[385].

ويلح الشاعر سويد بن أبي كاهل اليشكري على إبراز اللون الأبيض في رسم صورة

([383]) قيس بن الخطيم: **الديوان،** ص 58 ـ 60.

([384]) أبو ذؤيب الهذلي: **الديوان،** 125.

([385]) الخنساء: **الديوان،** ص89.

جمال المرأة، من خلال متابعته لوصف جمال ثغرها، وفي تشبيه لمعان أسنانها بشعاع الشمس يحقق الشاعر لها الحركة واللون في فترة زمنية محددة، فيقول:

بســـطَتْ رابِعــةُ الحبــــلَ لنَــا		فَوصلْنَا الحبــلَ مِنْها مــا اتســـع
حــرةٌ تَجــلُــو شَــتِيتَــا واضِحــاً		كَشُعاعِ الشمــس فِي الغَيمِ سـطَع
صــقَلَتْــه بِــقَضِيـــبٍ نَــاضِــرٍ		مِــن أراكٍ طَــيبٍ حتَــى نَصـــع
أَبيــض اللّــون لَــذِيــذاً طَعمــه		طَيب الــريــق إذَا الريــقُ خَدع(386)

فالشاعر سويد يرسم صورتين متوازيتين، تمثل الأولى صورة أسنان المحبوبة وفمها الأبيض، والصورة الثانية المتمثلة بشعاع الشمس وقت طلوعها وكأنه أبيض.

ويرد ذكر اللون الأبيض ليدل على النقاء والصفاء والجمال الأنثوي، كما يدال على الطهر، ولم يبتعد كثيرا من اللون الأصفر بل هو أقرب الألوان إليه، يقول النابغة، في تشبيه محبوبته بالشمس، مبينا أثر هذا اللون في نفوس البشر:

بيضاء كالشمس وافَتْ يوم أَسعدها		لم تُؤْذِ أهلاً ولم تَفْحشْ على جار(387)

أحسن الشاعر النابغة في تصويره للشمس، وأعطى المحبوبة والشمس لونا واحدا ألا وهو اللون الأبيض، فقارب بين أجزاء الصورة لتبرز ذوق الشاعر الرفيع في هذا الاستخدام، فظهر للشمس -فضلا عن القيمة الجمالية- قيمة أخرى تتمثل في تلك العلاقة بين وجدان الشاعر والشمس، حيث تنصهر المشاعر وتتوحد وشائج القربى والمشاركة بين الذات والموضوع.

ومن الألوان التي ورد ذكرها مع الشمس اللون الأزهر، وهو اللون الأبيض المائل للصفرة، اللون الذي استخدمه الأفوه الأودي في وصف وجوه قومه:

---

(386) التبريزي: **شرح المفضليات**، 2/ ص700 ـ 701.

(387) النابغة، **الديوان**، ص38، وينظر:أبو ذؤيب الهذلي، **الديوان**: ص33، وينظر:حميد بن ثـور الهلالـي: **الـديوان**، ص99.

يمنـاقٍ بيـض كـأن وجوهـا		زهـرٌ قُبيـلَ تَرجـل الشمـس(388)

فيبين الأفوه لون وجوه أصحابه ذات اللون الأزهر، وهو لون الشمس قبل اشتداد أشعتها، فيكون الشاعر قد انفرد في المزج بين الأبيض والأصفر، ليخرج اللون الأزهر.

تكون الألوان جزءا مهما من أجزاء الصورة في الشعر الجاهلي، لتتسع دائرة الألوان عند الشعراء، وترتبط بأمور شتى عندهم، فالأزهار والورود والنوار متعددة الألوان، تتعالى ناظرة نحو الشمس، لتظهر العلاقة المرتبطة بينهما ـ بين الشمس والنوار ـ من خلال قول الحطيئة في الشمس، وكأنها تجذب ما يقترب منها أو في كون النوار كثير التعلق بالشمس، وكأنهم بشر يميل كل منهم نحو الآخر، مما يكسب النوار رونقا ومسحة من الجمال، لانعكاس أشعة الشمس ونورها لتضفي على النوار إشعاعا وإضاءة، والتركيز على نصوع اللون، ويرتبط دور اللون في هذه الصورة بالشكل المحسوس والهيئة والشكل الحاضر في مجال وصف الأشياء، وبث الحياة فيما هو جامد، يقول الحطيئة:

بمسـتأسـدِ القُريـان حـو نباتُه		فنُواره ميلٌ إلى الشمس زاهِره(389)

ويعمم طرفة هو الآخر في تصويره جمال محبوبته، فيشبه الوجه بالشمس، أما وجه الشبه فهو نقاء اللون وصفاء الصورة، دون أن يحدد هذا اللون، إلا أنه أضاف النقاء إلى اللون، ففيه انفعال وتعبير ناجمين عن شدة الإعجاب. لذا ذهب طرفة إلى التعميم بدلا من التخصيص، فلم يخص لونا واحدا، بل أبقى ذلك رهنا بالسامع والقارئ، مع أن النقاء لا يكون إلا في اللون الأبيض غالبا، فيصف طرفة في شعره وجه المحبوبة مع التصريح الواضح بنقاء وجهها وصفاء لونه، فجاء في شعره أكثر تخصيصا، فيقول:

ووجهٌ كأن الشمس حلتْ رداءها		عليـه، نَقِي اللـون، لـم يتَخَدَّدِ(390)

(388) الأفوه الأودي: **الديوان**، 89.

(389) الحطيئة: **الديوان**، ص 75.

(390) طرفة بن العبد: **الديوان**، ص20.

تأتي الحركة التي جاء بها أصحاب الشعر في أشعارهم من طبيعة حياة أهل الجاهلية، فهم في حركة مستمرة وراء حيواناتهم بحثا عن النجاة من مصاعب الطبيعة، فحياتهم لا تعرف الاستقرار أو الثبات، فالكلأ والماء في شح ونقص مستمرين، وهما قواما الحياة، لا بد إذن من البحث عنهما، وكيف يمكن الثبات والاستقرار؟

اتجه الشاعر إلى ما اتجه إليه البشر من التأمل في مظاهر الطبيعة، بهدف الوصول إلى معرفة هذا الكون، فأخذ يراقب الكون؛ فرأى الكوكب كله يموج في حركة دائمة دائبة، يتجه عادة من الشرق إلى الغرب ـ حسب اعتقاده ـ وفوق الطبيعة السحيقة، بوديانها وسهولها بخضرتها وجدبها بمنازلها وأطلالها، كأنه موكب لا يحط إلا في مكان تحيط به عيون الماء.

ويتدرج الشعراء في تصوير الشمس بين الظهور والبروز، فهي تطل على البشر ببعض أجزائها وتبخل بالأجزاء الأخرى، وكأن دائرتها الحركية تكاد أن تختفي كليا عند موت المرثي، وقد فكأن السماء تجللها حتى يختفي عنصر الحركة ولا يعود له وجود، تقول الخنساء في موت أخيها:

وزالَ الكَـــواكِــب مِــن فَقْــدِهِ		**وجللـــت الشـــمــس أجـــلالها**[391]

يبدو الشاعر الجاهلي في حركة دائمة متنوعة، ووسط هذه الحركة يظهر الصباح، وتبدأ الحياة وتستمر، إلى أن تبدأ أشعة الشمس بالخفوت، لتغرب وتزول مع انتشار الليل، فتكون حركة الشاعر داخل حركة الزمن، إلا أن الحركة الأولى تتوقف، لكن حركة الزمن دائبة الجريان، فيترك ذلك أثرا نفسيا في قلب الشاعر.

تتسع دائرة الحركة لتشمل بداخلها تشبيه المحبوبة بالشمس، ويظهر عنصر الحركة في قول الشاعر قيس بن الخطيم السابق، وقد ظهرت المحبوبة عنده من وسط الغمام، ولم يخص الشاعر نفسه بالرؤيا بل استخدم الضمير الجمعي في قوله (لنا)، ولم تتضح في حركتها ورؤيتها

([391]) الخنساء: **ديوان الباكيتين**، ص161.

كاملة، بل أظهرت جزءا منها وضنت عليهم بآخر، وذلك لأن الشمس عندما تظهر من بين الغيوم لا تقتصر رؤيتها على إنسان وحده، بل تبرز لعدد كبير من البشر، أما أفعال الحركة البارزة في قوله:(تبدت، وبدا).

خصت الشمس بوقت (النهار) في كلام قيس، لتكون أكثر تميزا وتحديدا وقوة، فجاء الشاعر بالشمس في هيئة مركّب إضافي (مضاف ومضاف إليه)، ليوحي بخصوصية الشمس، ليتكرر الشيء نفسه عند المهلهل، لكن الشمس عنده كُفتْ عن الحركة وتوقفت، حدادا وانزعاجا لمقتل كليب، حشد الشاعر صورة صوتية توافقت مع الصورة الحركية، لتخلق إيقاعا متميزا يعبر عن حزن الشمس، ويشيع جوا من الصمت، إضافة إلى جو موسيقي امتاز برنة من الحزن، لتتجلى من عدم ظهور الشمس مسرح الأحداث، كما نلمح تبادل المشاعر بين البشر والطبيعة المتمثلة بالشمس، وهذا ما يمكن لنا أن نطلق عليه أنسنة الطبيعة، ولتتجلى العواطف الكامنة في الأعماق تجاه من قام برثائه، يقول الشاعر:

لما نَعى النـاعِي كُـليباً أَظْلَـمتْ		شَـمس النهار، فما تُريد طلُوعاً[392]

وتتبادل الشمس وظيفتها مع المرأة (المحبوبة) عند عنترة، فيظهر التبادل والتناوب في العمل عند غروب الشمس في آخر النهار، وقد مالت لتأفل، لتبقى حركة الزمن في دورانها، فيتراءى جمال المرأة من خلال الصورة الشعرية، وسط إسقاطات لونية ممتزجة تختلط فيها درجات اللون، ورؤية المرأة مع إشعاع الشمس، أو وقت الأصيل والغروب في الشفق أو في الغسق، وتتباين الرؤية تبعا لتباين الحالات النفسية للشاعر من فتور وشدة ونفور، مما يجعلنا نتأهب لفهم مثل هذه الصور في إطار ما تثيره من شعور غني في عالم الإحساس، ويتأكد حقيقة الصراع بين النور والظلام، فالفعل (اسود) معادل للظلمة الشديدة بما فيه من سواد وقتام وإظلام، بينما يبدو البناء التركيبي المقابل (فاطلعي بعدي) معادلا للنور المشع من المحبوبة، كما تتراجع الشمس ـ وهي أساس اللون الأبيض ـ ويحل الظلام، الذي يظهر من قول

(392) المهلهل: **الديوان**، ص50.

الشاعر(اسود الدجى)، فلا تلبث دلائل الشمس بالاختفاء والزوال، لتفسح المجال للون الأسود بالظهور، الذي يقوم بدور فاعل ومحرك، فينشأ صراع بين اللونين، أو بين الواقع (لحظة الظلام)، وبين الأمل أو الحلم وهو النور، والضوء المتمثل في استمرار وجود (الشمس). يقول عنترة:

أشارتْ إليها الشمس عِنْد غُروبها		**تَقُولُ إذا اسود الدجى فاطْلِعي بعدِي**
وقَـالَ لها البدر المنير ألا اسفري		**فإنكِ مِثْلي فِي الكَمال وفي السَّعدِ**(393)

استخدم الشاعر الجاهلي عنصر الحركة في توضيح الصورة في أشعاره وتدعيمها، فيتوقف عنصر حركة الشمس عند عنترة، واصفا الشمس في كبد السماء، في لحظة الإقدام على المعركة لتسلط أقوى إشعاعات لها وقت الظهيرة، وكأن الشمس في وقوفها تفكر وتراقب الشاعر. أراد الشاعر مد جسور المحبة وجسور التواصل رغم مأساته، ليتخطاها عبر مد جسور المصالحة في الحياة، والسير مع الواقع فتحدث واصفا الشمس شاهدا على ما يصبو إليه، ولما في نفسه من علاقة مودة وتصاف وبراءة، لقد مثل الحياة من خلال الطبيعة، فكان صادقا في واقعيته، وفي نقله الحياة عبر هذه الصورة، هذا وقد عبر عن اضطراب حركة قومه وترددهم، فبعضهم يتقدم والآخر يتأخر، هذه طبيعة البشر بين التقدم في الحياة والغياب بين ظلمات الدنيا، يقول عنترة:

فَأتَيتُها والشمس فِي كَبِـدِ الســما		**والقَـوم بيـَن مـقَدمٍ ومـؤَخر**(394)

ويصف الشاعر عنترة شدة أشعة الشمس وقوتها، معبرا عن أحاسيسه النفسية الحزينة، وعن ضيقه في حياته من خلال المبالغة في قوة أشعة الشمس وطول بقائها وكأنه لايريد أن يبقى للراحة النفسية مكانا فيبعث في ضوء الشمس صعوبة الحياة، ليبث فيها حركة مستمدة من ظواهر الطبيعة.

(393) عنترة بن شداد: **الديوان**، ص215.
(394) عنترة بن شداد: **الديوان**، ص223.

من الممكن أن نجد في شعر الشاعر الجاهلي ما يوحي بنقيض المعنى، فالمثَقب العبدِي يأتِي بِصورةٍ يبين فيها ما هو نقيض الحركة، والوقوف بالشمس بصورة أكثر وضوحا، فيبين أنه من الممكن أن يخيل للإنسان أن الوقت يطول، وكأن الشمس تقف وتذهب حركتها، وهذا يتضح من قوله:(طال ركودها):

أعــاذِلُ مــا يــدريــك أن رب بلــدةٍ		**إذَا ما الشمس فِي الأيامِ طَالَ ركُودها**(395)

يخضع الإنسان والشمس كلاهما لمتغيرات متناقضة، فالشمس تتعرض للمغيب والظهور، وتتأرجح بين الارتفاع والانحدار، تلك متغيرات مادية محسوسة يقابلها تغيرات سلوكية وذهنية في سلوك البشر. فغياب الشمس يقابله إعراض وتغافل من الناس، إي أن ارتباط غياب الشمس بغياب الإدراك والوعي لحقائق مصير الإنسان، ويتوازن ظهور الشمس بحضور الإنسان وبالوعي الإنساني للحقائق الكونية، والتفات البشر إلى واجباتهم، بحيث تبدو المعادلة على النحو الآتي:

ظهور الشمس = إدراك ووعي الإنسان لحقائق الحياة.

غياب الشمس = إغفال الناس والنوم.

يقول الشاعر حاتم الطائي مفاخراً بنفسه، وبقوته وببطشه بالأعداء وفتكه بهم قبل أن تشرق الشمس، وقد اتخذ أعلى مكان لمراقبتهم، "وقد شغل حديث المراقب جانبا كبيرا من شعر الهذليين والصعاليك لأنهم وجدوا فيها أمكنة آمنة، لإنجاز مهماتهم، يرقبون منها أعداءهم ويترصدون صيدهم لأن طبيعة حياتهم كانت تضطرهم إلى الحذر الدائم والترقب الشديد وقد رسم أبو كبير الهذلي صورة لبعض هذه المراقب فــي بعــض أبياته"(396)، فيقول:

ومــرقَبــةٍ دون الســماءِ طِمــرةٍ		**سبقتُ طُلُوع الشمس منها بِمراصِدِ**

(395) المثَقب العبدِي: **شرح الديوان**، ص43.

(396) القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 1970م، ص25.

وســادي بها جفْن الســلاح وتارةً		على عدواءِ الجنْبِ غيْــر موسدِ[397]

عرض حاتم الطائي في الأبيات السابقة واقعه النفسي، ومعاناته الروحية، في معرض الفخر بالنفس، من خلال الكلمة الأولى في هذين البيتين (ومرقبة) التي حددت مكان الشاعر وموقفه، فهذه الكلمة تدل على وضع الشاعر النفسي، لتفيد اضطلاع الشاعر وسيطرته على ما حوله، والحركة القوية التي يتمتع بها، هذا ما دأب عليه الشاعر في موقع الثبات، فالسكون والحركة مطلبان أساسيان للشاعر لإتمام هدفه وهما من طرق الحرب، كما يبدأ كل من البيتين في صدره بالحركة التي تنتهي في نهاية كلمتها بالترقب، وفي هذا الجو تضاد بين الحركة والسكون، بل بين الحياة والموت والنصر والهزيمة، وهذه هي الحياة البشرية في سبيل الصراع.

ويوجه الشاعر نفسه بضرورة بذل كل جهد مستطاع، وأن يرفع وتيرة السيطرة التي من شأنها أن تؤدي به إلى الفوز، كل ذلك لابد إلا أن يتم قبل شروق الشمس، معبرا عن هذا من ثنائية شمسية في أفعالها الحميدة ومكائدها ضد الأعداء، من منظار شاعري في عالم تسوده الأجواء الحربية.

يصور الشاعر قيادته لقومه، وسيره بهم باتجاه المعركة مركزا على قضية الزمن، حيث كان السير نحو العدو خلسة في الظلام، ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر بدء شروق الشمس، إلى أن اشتدت أشعتها وزاد حرها، ليدلل على شدة المعركة، وكأن المعركة اكتسبت قوتها من حر الشمس، فيقول عنترة:

وســريتُ فِي وعثِ الظلامِ أقُودهم		حتى رأيتُ الشــمس زالَ ضحاها
ولــقيتُ فِي قُبــل الهجِير كتيبــةً		فطعــنْتُ أولَ فَــارس أولاهــا[398]

يعد الزمن عنصرا مهما من عناصر البناء الشعري المستخدمة، وهو عدو الحياة، رمز التغير والفناء، كما يمكن للشاعر أن يخص زمنا محددا، ويحدد الشاعر عنترة ظرف الزمن الذي

([397]) حاتم الطائي: **الديوان**، ص 71.

([398]) عنترة: **الديوان**، ص70.

يشير بدوره إلى الزمن الخارجي الذي يحتضن الحدث، فهو يحدد زمن الضحى، حين يتحدث عن زمن قيادة قومه، يقول: (سريت في وعث الظلام) والسرى لا يكون إلا ليلا، ويخص الشاعر نفسه أيضا بمراقبة الزمن دون غيره، الظاهر في قوله (رأيت)، باستخدام ضمير المتكلم المفرد، وفي هذا الاستخدام يظهر إحساس التفرد بالذات، كما تهيمن الأفعال الماضية على بيت الشاعر، حيث تنسج خيوط الزمن حول الحدث، لنقف أمام زمنين، الأول (خارجي) متمثل في السير ليلا، والآخر الذي ينفصل بظهور الشمس، وبوجود طرفين أيضا: هما الشاعر من ناحية و قومه من ناحية أخرى، فالشاعر متعلق بالماضي، ويؤكد تعلقه بذلك الزمن الذي مازالت ذاته واقعة تحت تأثيره في قوله (حتى رأيت)، وتقوم (حتى) بمهة انتهاء الغاية الزمنية، مما جعل لزمن يؤثر في المكان، وكأن مواصلة الشاعر المسير قد توقفت بانتهاء ظهور الشمس، وأصبحت الشمس العامل الحائل دون تقدم الشاعر في عمله والتي حدت من حركته.

يرد عنصر الحركة في إظهار الصورة الشعرية بدور فاعل ومحرك في الحياة، وقد تم حشد هذا العنصر في الشعر الجاهلي، ليساعد في رسم الصورة الفنية في أشعارهم، وقد دمج عنصر الحركة بعنصر الزمن، مما أدى إلى ربط حركة الزمن طرديا بحركة الشمس، ولتبقى الشمس شاهدا حقيقيا على مأساة الشاعر بخاصة والبشر بعامة، لتحتفظ بتلك الحكايات التي وعاها وعاصرها الإنسان عبر التاريخ الطويل.

يتحدث الشاعر عنترة عن الزمن بشكل عام، وعن الليل المتعكر والظلام المخيف المتكدر بشكل خاص، حيث وصفه بشكل مباشر من خلال قوله (وعث الظلام)، فهو يحس الزمن حسا غير عادي، إلى أن جاءت الشمس التي ساعدت الشاعر على النجاة والخلاص من وضعه الصعب، أضف إلى أن وجود ظرف الزمان الذي يشير بدوره إلى الزمن الخارجي الذي يحتضن الحدث، حيث كان خروج الشاعر ليلا من خلال قوله (سريت في وعث الظلام).

وإذا تمعنا هذه الصورة، وجدنا فيها عناصر متكاملة واضحة السمات، من حركة وجانب نفسي وذكر للزمان والمكان، فجاء كل منهما مؤكدا للآخر، والصورة معبرة كاملة، وقرن الشاعر حركة الحمر الوحشية بحركة الشمس، فجاءت الصورة وصفية تصويرية لتدل على

عبقرية الشاعر الجاهلي.

أما النوع الثاني وهو التصغير الزماني باستخدام الظرف (بعيد)، فقد جاء في قول الطفيل الغنوي:

ومشـعلـةٍ تخـالُ الشـمس فيها		**بُعيد طُلُوعِهـا تَحـتَ الحِجـاب**(399)

يتحدث أبو ذؤيب الهذلي بسؤال عن الزمان، موجها خطابه الشعري للإنسان المهموم بتحولات الزمن، وينتقل من اللحظة الزمنية اللامحدودة من الدهر ـ الفضاء الزمني ـ إلى دائرة ضيقة، وقد عمد الشاعر إلى ربط الزمن بالمكان، ففي طلوع الشمس وغبارها دلالة مكانية تشير إلى المكان الذي تخرج الشمس وتغيب منه، و طرح السؤال هنا، لا يقترن بالجهل وعدم المعرفة، بل يطرحه على سبيل الحكمة التي تقرر رؤية تنبه إليها الشاعر الهذلي وخرج من إطارها الذاتي إلى دائرة الإحساس الجمعي، فالدهر عبارة عن يوم يتحدد بشروق الشمس وغروبها، يتجلى أيضا في هذا البيت صراع الإنسان مع الزمن وانسحاقه أمام جبروته، فأين الإنسان في هذه الفترة الزمنية والدائرة الضيقة، والإنسان أكثر الموجودات قابلية وخضوعا وقنوعا لصراع الزمن الصارم، يظهر الزمن المسيطر والمهيمن القوي، هذه حقيقة يؤكدها الشاعر الواعي، فلا بد لكل شيء إلا أن ينصهر ويتلاشى أمام الزمن، ويصور أبو ذؤيب الهذلي الدهر في رحلتين هما طلوع الشمس في الصباح وغيابها ليلا، تأكيدا على سرعة الزمن، فالدهر يوم مكون من شقين ليل ونهار:

هـل الدهر إلا ليلـةٌ ونَهارهـا		**وإلا طُلُوع الشمـس ثُم غِيـارها**(400)

ويقول الأعشى:

تَجلُو البوارقُ عن طَيـان مضطَمِرٍ		**تَخَالُـه كوكبـاً فِـي الأفْـق ثَقَابا**

(399) الطفيل الغنوي: **الديوان**، ص113.

(400) أبو ذؤيب: **الديوان**، ص115.

حتى إذا ذرّ قرن الشمس أو كربتْ		أحس من ثعل بالفجر كلابا(401)

استطاع الشاعر الجاهلي الأعشى أن يبين الحالة النفسية والآلام، والسهر المفزع الذي ينتاب الثور الوحشي ويسيطر عليه، والمطر يتساقط من فوقه، حائرا مكنيا عن شدة الليلة بقوله (يلوذ بها)، ويعتور قلبه قلق ويلفه فزع بحواس يقظة، فبقي في هذه الحالات النفسية والانفعالات إلى أن أشرقت الشمس.

وتنتشر ظاهرة التأثر والتأثير كثيرا في الشعر الجاهلي، فالشمس العامل المؤثر القوي في الحيوان الذي يمضي حياته بين أحضان الطبيعة الحية والمتجددة بنشاطها كل يوم، وأي أثر أقوى من أثر الحرارة والبرد القارص في حياة الصحراء ؟ فلا يجد حيوان الصحراء بداً من الاحتماء قدر الإمكان من شدة الشمس نهارا وبرد الليل مساء، هذا ما كان ظاهرا في الأبيات السابقة.

يتأثر الشاعر كعب بن سعد الغنوي عندما يرى الشمس وقد ظهرت للشروق، فيشعر بالشؤم والحزن كلما أشرقت، وما نود الإشارة إليه هنا هو أن دلالة صورة الشمس عند شروقها، ويجدد العواطف والمشاعر عند الشاعر في خلجات إنسانية واضحة:

وإنـي لباكيـه، وإنـي لصـادقٌ		عليـه وبـعض القائلين كـذوب
إذا ذرّ قرن الشـمس علّلتُ بالأسى		ويـأوي إلي الحزن حين تغيب(402)

جمعت الشاعرة جنوب صورا وتشبيهات في رثاء أخيها عمر ذي الكلاب، فشبهت أخاها عمر ذي الكلاب بالنهار، وأي نهار؟ إنه نهار مشمس لامع، جمعت بين أمور عدة من خلال صفاته العامة لعلاقة المشابهة، فلن تجد للشمس أقرب منها، علما أن الوقع على مثل هذه الصفات من وظائف العقل المميز، وليس من وظائف الخيال البعيد من الحقيقة، لأن الصورة هنا

(401) الأعشى، **الديوان،** ص 17 ـ 18.

(402) كعب بن سعيد الغنوي: **الديوان،** ص98.

بنيت على أساس قويم فكانت أكثر لمعانا ووضوحا لحالة نفسية مرت بها الشاعرة، فخرجت بمثل هذا التشبيه بإبداعها لينم عن رؤية ذاتية عميقة:

وكـانت النهـار بـه شـمسـه		بوجنـاء حـرف تشـكى الكلالا[403]

ويبدو في هذه اللوحة تصوير كلي متكامل بما فيها من مساحات زمنية ومكانية إضافة إلى عنصري اللون والحركة، وقد بنت الشاعرة صورة الحدث من خلال التصوير القصصي في هذه اللوحة.

ونورد أنموذجا شعريا لبيان دور الشمس في توضيح الصورة، للشاعر جزء بن ضرار، علما أن الشعر الجاهلي يخلو من لوحة متكاملة بعينها لصورة الشمس، بل كان وصفها يأتي من خلال وصف بعض الجوانب الأخرى كالمرأة والحرب والممدوح والحيوان و غيرها من الصور الأخرى.

وقد بين الشاعر جزء صورة الحرب من خلال وصف أدواتها التي تعد مفخرا للإنسان الجاهلي ورمزا لقوته من خلال صورة الشمس، يقول:

فَقَد أَصبحتْ عِنـدِي تِلاداً عقِيلَـةً		ومِـن كُـل مـالٍ متْلَداتٌ عقَائِـلُ
وَأَحبِسها مادام لِلزيـتِ عاصِـرٌ		وما طَافَ فَوقَ الأَرض حافٍ ونَاعِلُ
ومسفُوحـةٌ فَضفَاضـةٌ تبعِيـةٌ		وآهـا القَتِيـر تَجتَوِيها المعابِـلُ
دِلاصٌ كَظَهـرِ النونِ لا يستَطِيعها		سِنَانٌ و لا تِلْـك الحِظَـاء الدواخِلُ
مـوشحـةٌ بيضـاء دانٍ حبِيكُهـا		لَها حلَـقٌ بعـد الأَنَامِـل فَاضِـلُ
مشَهرةٌ تُحنَى الأَصابِـع نَحوهـا		إِذَا اجتَمعتْ يـوم الحِفَـاظِ القَبائِلُ
وتَسبِغَـةٌ فِـي تَركَـةٍ حِميرِيـةٍ		دلامِصةٌ تَرفَـض عنْـها الجنَـادِلُ

([403]) الهذليون: **الديوان،** 3 / 123.

كأن شُعاع الشمس فِـي حجراتِهـا		مصابِيح رهبـانٍ زهتْهـا القَنَـادِلُ
وجوب يرى كالشمس فِي طَخْيةِ الدجا		وأَبيض ماضٍ فِي الضريبـةِ قَاصِلُ
سـلافُ حدِيـدٍ ما يـزالُ حسامـه		ذَلِيقـاً وقَدتْـه القُرون الأَوائِـلُ[404]

يصور الشاعر جزء بن ضرار تصويرا كاملا لأدواته الحربية، مشيرا إلى اعتبار هذه الأدوات حصيلة مالية مادية مهمة، وقد احتفظ الشاعر بأفضل آلات الحرب وأجودها، المتقنة الصنع، إضافة إلى أن درع الشاعر رفيعة في جنسها، مزركشة بحلق أصفر يشار إليها بالبنان لجمالها، وتكون محور حديث الناس، قائلين: هذه ملكها فلان، وورثها فلان، ويصف الشاعر جزء التسبغة كأداة حربية، وكيف كان انعكاس الشمس عليها، فهو يشبه صورة ضوء الشمس بمصباح قديس، فاستخدم الشاعر جزء من شعاع الشمس صورا مليئة بالقوة والبأس.

ثم يواصل جزء بن ضرار رسم صورة ثانية للعتاد الحربي، حيث استخدم الشمس لرسم صورتها، فالترس يبرق ويضيء كالشمس اللامعة التي خفيت بسبب غبار الحرب.

وإذا كانت لوحة الحرب هي اللوحة الرئيسة، فلماذا ذكرت صورة الشمس؟ وما القيمة التي تمثلها الصورة في لوحة الشمس؟

لقد عاش الإنسان الجاهلي في الصحراء المترامية الأطراف في الجزيرة العربية، التي تمتاز بشدة حرارتها ووهجها، وكان الشاعر الجاهلي معنيا كل العناية أن يصف معاناته ومبينا الآثار المترتبة على ذلك، وإذا أراد الشاعر الجاهلي جزء بن ضرار أن يبين قوته الحربية، كان قد لجأ إلى ذكر الشمس المشعة القوية، فقوة ولمعان أدواته الحربية تتضح من خلال أشعة الشمس المنتشرة في أرجاء الكون، والتي لا تخفى على بشر.

([404]) التبريزي: **شرح المفضليات**:1/ 336ـ 341 (التلاد: كل ذلك المال القديم، العقيلة: كريمة كـل شـيء، مـسفوحة: الدرع المصبوبة، فضفاضة: واسعة، تُبعِية: مما استعمله تُبع، وآها القتير: أي أحكمها، تجتويها: تكرهها، المِعابـل: جمـع مِعبلَة:نصل عريض طويل كالمكنسة، الدِلاص: الدرع اللينة السهلة، النون: السمكة، الحِظاء: جمع حظْوةٌ،وهو سهم يلعـب به الصبيان، دانٍ حبيكها: أي ما حبك من طرائقها، الحِفاظ: الذب عن المحارِمِ، التسبِغَةُ: المِغفَر، التركَةُ: البيضة التـي لا قَونَس لها، الدلامِص: البراق اللماع، زهتها: رفَعتها، الجوب: الترس، الطخْيةُ: القَتَام يحول دون ضوء الشمس، الدجا: أراد بها ظلمة الليل، الأبيض: السيف، السلاف: خالصة الحديد).

وتأتي صورة الشمس في اللوحة السابقة أيضا لتبين حدة وجمال الأدوات الحربية عند الشاعر، هذا وقد وصل تأثير الحرب في كل جانب من حياة الإنسان الجاهلي، من هنا كانت الشمس في لوحة الحرب مصدرا أساسيا تأتي لبيان الصورة التي يعنى الشاعر بإظهارها.

كما بين الشعراء الجاهليون صورة الشمس في لوحة الثور الوحشي، فيبين كعب ابن زهير أثر الشمس في رحلته وتجواله في الطبيعة، ودور شروقها في إخراج الثور من مكمنه، بعد أن كان وادعا مرتاحا، إنها لحظة اجتماع زمني، حيث أثرت لحظات زمنية حرجة مع بعضها في طبيعة الثور الذي اضطر إلى مغادرة مكانه والاختفاء بعد أن لم يعد له مكان في هذا الوقت، لينتظر المساء مرة أخرى وتعود الكرة ثانية على حالها مرة أخرى، ويصور كعب الثور الوحشي موشم الجلد في قوائمه الأربع، وكأنها أشبه بجلود النمور، فيقول:

وإذا مـا أَشَـاء أبعـثُ مِنْـها		**مطْلع الشمس نَاشِطـاً مذْعورا**
ذَا وشُـومٍ كـأن جِلْـد شَــواه		**فِـي ديـابِيـج أو كُسِـين نُمورا**
أخْرجتْـه مِـن الليـالِـي رجوسٌ		**ليلـةً هـاجهـا السمـاك دروا**
غَسـلَتْـه حتَـى تَخَـالَ فَـرِيـداً		**وجمـانَـاً عـن متْنِـهِ محـدورا**
فِـي أُصول الأرطَى ويبدِي عروقاً		**ثَـئِدات مِثْـلَ الأعِنـةِ خُـوراً(405)**

جاءت لوحة الثور عنصرا أساسيا في رسم صورة الشمس، كما أتت داعمة لها، من هنا وجد الشعراء مجالا للغوص في صور متنوعة، من أجل إبراز عنصر ما من عناصر الطبيعة، فلم يكن للشعراء وصف مباشر للشمس، بل ألمحوا إليها من خلال صور شعرية متعددة، والدارس للشعر الجاهلي لا يجد شاعرا قصر في الحديث عن كوكب الشمس بشكل خاص وأثره في حياة الجاهليين.

لم يجد الشاعر الجاهلي في الطبيعة سوى الحيوان إلى جانب بني البشر، كما لم يجد أمامه بدأً من العناية بها واستئناسها، مما أمكن استئناسه واصطياد ما فر منها من أمامه، فقد عمل على وصف الثور وصفا دقيقا، مخصصا له جزءا غير يسير من أبيات قصائده، فصدح

---

(405) كعب بن زهير: **الديوان**، ص29.

فيه معبرا عن علاقته به من جانب ومن أثر البيئة عليه من ناحية أخرى، فخص الشمس بجانب مهم مبينا أثرها على هذه الحيوانات، فقد تعرض لها واصفا أثر أشعة الشمس اللافحة لوجهها وفي حركتها بشكل عام.

لم يكن المزج في حديث كل من الشاعرين الجاهليين جزء بن ضرار في لوحة الحرب أو كعب بن زهير في لوحة الثور بالشمس مجرد حديث خال من الصور، بل كان هدف كل منهما تصوير مصدر القوة في الطبيعة، وتوضيح صورة الشمس.

ويصور الشعراء الشمس وقد تكونت من أجزاء، فيمكن أن يظهر جزء منها دون الآخر، وأهم أجزائها وأقواها دون غيره هو شعاعها، ونورها المضيء الذي ما يبرح محاولا العبور والمرور نحو الأرض، هذا الشعاع وقد طال انتظار الشاعر له، ينتهي بظهوره الظلام والليل المرعب، وينتهي الزمن القاسي ليحل زمن مفعم بالحيوية والأمن، فالزمن في هذا البيت ينقسم إلى زمنين، زمن مطمئن بالخير وهو النهار وأما الآخر فتسيطر عليه الرهبة والخوف، وينتهي ببزوغ إشعاع الشمس الذي يترقبه الشاعر، فيقول:

وليلٍ، يقُولُ القَـوم مِن ظُلُماتِهِ:		**سواءٌ بصيراتُ العيون وعـورها**
كـأن لنَـا مِنْه بيـوتًا حصِينَـةً		**مسـوحٌ أعالِيـها وساجٌ كُسورها**
تَجـاوزتُـه حتَـى مضى مدلهمه		**ولاح من الشمس المضيئة نورها**[406]

لا تقوم العلاقة بين الإنسان والشمس في كل جوانبها على المثلية والتكافؤ، بل تقوم على التضاد، فالشمس كوكب سماوي والإنسان كائن أرضي، والشمس تبقى والإنسان هالك، فالشمس تمنح وتسلب، والإنسان يخضع للعطاء والسلب والمنع، بل ثمة صفة أخرى يخلعها الشاعر المتأمل على الشمس، لتصل العلاقة بين الطرفين إلى شكل من التأزم والتوتر، فهو يرى أن الشمس تسخر من البشر أو ربما تنتقم منهم، وقد يكون طلوع الشمس على الإنسان بداية لحلول

(406) الأعشى: **الديوان**، ص 70.

المصائب وكأن الشمس هي السبب كما في هجاء حسان لأبي البختري بن هاشم الأسدي:

وما طَلَعتْ شَمس النهار ولا بدتْ		عليك بمجـدٍ يا ابن مقْطُوعةِ اليدِ
َبوك لَقِـيطٌ ألأم النـاس موضِعاً		تَبنى عليْك اللؤم فِـي كُلّ مشْهدِ(407)

كان الشاعر الجاهلي ملما بكثير من الصور، لقد أبحر في دنا المجهول وغاص في ما لم يكن معروفا، وما كان مجهولا آنذاك، إنه صاحب رؤية تأملية ملية، فأتى بألفاظ مثقلة بوافر المعاني، في موضوع الحوادث، وقد شعر الشاعر بقسوة الحياة وقسوة الزمن وسيطرته عليه، وقد تمثلت بمثل هذه الظواهر، فظهرت عبقريته من خلال لغته الشعرية، فقد استجمع ألفاظه من لغة الحياة والطبيعة، لتكون لغته لغة معجمية حية أكثر صدقا وامتلاء وحيوية، لتدل على تغير أحوال الحياة وصعوبتها.

ونجد صفات الشمس الحسية مجسمة في صورة مادية حسية، تستطيع أن تقف على كثير من صفات القوة والسيطرة، فتراها قد ارتبطت بصورة حسية مشخصة، وهذا هو النهج العام في التشبيه.

(407) حسان بن ثابت: **الديوان**، 146.

المبـحث الثـاني

أبعاد صورة الشمس ودلالاتها في الشعر الجاهلي

أولا: البعد الديني الميثولوجي:

اشتمل الشعر الجاهلي كثيرا من الصور الشعرية ذات الأبعاد الدينية والنفسية والاجتماعية، تلك الأبعاد التي يستطيع دارس الشعر الجاهلي التعرف إليها، والغوص في آثارها، وتلمسها من خلال البحث والتقصي، لقد حملت الشمس أبعادا متنوعة من خلال حديث الجاهليين عنها ووصفها، تلك الأوصاف ساعدت في كشف كثير من عقائد الجاهليين الذين عبدوها كسابقيهم من الأمم الأخرى.

نظر الشاعر الجاهلي إلى الطبيعة من حوله بما فيها الشمس نظرة تمعن، لم تكن كنظرة أي إنسان عادي مجردة من المعاني العميقة، بل متأملا فيها محاولا استكناه الحقائق الكونية الكبرى، والقضايا الوجودية، فوقف أمامها وقفة مهابة وخشوع، لكنه لم يكتف بذلك، بل سعى إلى إيجاد علاقة بين الشمس والإنسان، من خلال الربط والمقارنة بين حالات الشمس في تغيرها من ظهور وغياب، وبما فيها من تناقضات، وما يعترض الإنسان في حياته من تقلبات وأحوال متنوعة.

لعل السبب الكامن وراء ذلك هو خلق الإنسان ضعيفا، فهو دائم البحث واللجوء إلى من هو أقوى منه، حبا في الحياة وتجنبا مما هو مجهول، لذلك تنوعت الرموز الدينية والأسطورية عند الأمم القديمة، وكان العصر الجاهلي حلقة من تلك الحلقات التي ارتبطت بتلك الديانة.

لعبت الشمس دورا مهما في كشف معاني كثيرة، صعب فهمها على الدارسين حتى عرفوا أهمية هذا الكوكب السماوي، الكوكب الذي ارتبط بالإنسان والحيوان والجماد، وسار بنو البشر في حياتهم ضمن تجارب عديدة معه، هذه التجربة لم تسع إلى استحضار العظمة والعبرة،

وتعميق المعنى الإيماني بقدر ما سعت إلى استجلاء معرفة قضايا الوجود الكبرى، فامتزجت التجربة بنظرة فلسفية عميقة، متجاوزة مجال الاعتبار.

ففي البعد الميثولوجي ألهت الشمس عند العرب القدماء، وعدت أما وأساسا في ثالوث مقدس احتل مكانة دينية رفيعة، واحتل القمر دور الأب، فسيطرت الشمس على أصحابها فترة زمنية طويلة، حتى بقيت آثارها حاضرة إلى يومنا هذا.

كان لعبادة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ تجلية واضحة أكدت عبادة هذا الكوكب عند القدماء وتأليهه، حيث قدسوه ورأوا أن في هذه الإلهة قوى وأثرا خطيرا في حياتهم، لهذا تبركوا بها وتقربوا إليها بالنذور والقرابين، واستمرت تلك العبادة فترة طويلة إلى أن جاء الشاعر الجاهلي الذي لم يهمل هذه الإلهة، بل خصص جزءا مهما من أشعاره للحديث عنها، ورسم لها رموزا متعددة أولها المرأة، التي أسبغ عليها أوصافا وألوانا كثيرة، فهي البيضاء تارة والصفراء تارة أخرى، فائقة الجمال، كالشمس والظبية وغيرها من الرموز، ترحل وتغادر الديار بكامل زينتها.

مثلت المرأة للشاعر والقبيلة الجاهلية رمزا من رموز الشمس الربة المعبودة، أصل سر الحياة والوجود والبقاء، إنها الأم الكبرى نفسها. "أيستطيع شاعر في عصر وثني أن يشبه المرأة بما يعبد إلا إذا كانت المرأة في شعره غير ما نظن ؟"[408].

لقد جسد الشاعر الجاهلي هذه المرأة المثال في رموز وصور حيوانية، باعتبارها نظائر مقدسة تحمل صفات الأنثى المثالية للربة الأم الكبرى الشمس، ومثلت الظباء رمزا آخر من رموزها، فسعى الشاعر إلى ترسيخ هذه الرموز في الذهن الجاهلي، من خلال صور ميثولوجية، محاكيا رمزيتها في نماذج متألقة ضربت في أعماق عصره، مكرسا معاني الأمومة، فجاء الشاعر بـ "صور مستمدة من عالم الطبيعة، في أوج خصوبتها وعطائها، فالعينان عينا (بقرة) مطفلة، رمز الإخصاب تنظر بحنان إلى صغيرها، (والبقرة) حيوان مقدس ذو ملامح أسطورية،

([408]) عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية**، ص 115.

والجيد جيد رئم"[409].

وفي حديث الشعراء عن حركة الكون ورحلة الدنيا، وقف الشعراء عند المقدمة الطللية كثيرا، وصوروا رحيل المحبوبة عن الديار، بأبهى صورها وحللها، وكأنها ذاهبة في عرس بهيج يحفه الأحباب. يقول الشاعر امرؤ القيس:

جعلن حوايـا واقتعـدن قعـائِـداً		وحففن من حوكِ العِراق المنَمق
وفَـوقَ الحوايـا غِزلـةٌ وجـآذِرٌ		تضمخن من مِسكٍ ذكي وزنبـق[410]

يطرح سؤال مهم، هل يهون على المحبوبة ترك الديار والوطن وترك ديار الحبيب وهي في فرح وسرور؟ إنها رحلة الحياة بعظمتها، رحلة الشمس التي تغيب كل مساء، والتي امتزج فيها الجمال الطبيعي بالجمال الأنثوي، يقول الدكتور نصرت عبد الرحمن: "إن رحلة المرأة في الشعر الجاهلي، هي رحلة الشمس كل يوم، ورحلتها في الصيف والخريف والشتاء والربيع"[411].

يتبين لدارس الشعر الجاهلي أن رحيل المرأة يؤدي بالديار إلى الموت والجدب والقحط، وغياب الخضرة، الذي يتبعه غياب للحيوان والإنسان، ألا يثبت ذلك أن مثل هذه الرحلة أكبر من رحلة امرأة بحد ذاتها، بل هي رحلة الكوكب الشمسي. ورحيل المحبوبة هو رحيل الشمس عن الوجود، وبقاؤها يعني بقاء الشمس واستمرار الحياة بقلبها النابض ؟ إن لم تكن الرحلة كذلك، فإنها تخالف الواقع والأمر الطبيعي.

يبدو أن فكرة الشمس في الوقفة الطللية هي ما خاب عقل الشاعر الجاهلي عندما تذكر المحبوبة. فالمرأة والشمس شيئان متنادان في ضميره، يبكي الشاعر المرأة، ويبكي الطلل، أو رحيل المرأة، وغياب الشمس. لذلك كانت وقفة الشاعر الجاهلي أمام الطلل وقفة تأمل في سر

(409) عوض، د.ريتا: **بنية القصيدة الجاهلية**،دار الآداب، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 204.

(410) امرؤ القيس: **الديوان**، ص133.

(411) عبد الرحمن: **الصورة الفنية**، ص131.

المرأة، وفي سر الشمس ورحيلها وسر الحياة الكونية، فوقف الشاعر على الأطلال واستوقف ودعا وتأمل.

كما اتجه الشاعر إلى ما اتجه إليه البشر من التأمل في مظاهر الطبيعة، بهدف الوصول إلى معرفة هذا الكون، فرأى الكوكب كله يتجه عادة من الشرق إلى الغرب فوق الطبيعة السحيقة، بوديانها وسهولها، وخضرتها وبصحراويتها، وجدب منازلها وأطلالها، كما رأى أن موكب الحبيبة لا يحط إلا في مكان تحيط به عيون الماء [(412)]. هناك سؤال يحق لكل دارس للشعر الجاهلي أن يسأله، إذا كانت هذه الرحلة حقيقية عند الشعراء فلماذا تخرج الحبيبة بأبهى زينتها وحللها في موكب بهيج، وهي على علاقة ود وشوق بالشاعر ؟ أبمثل هذه الحالة بما فيها من خراب وفراق وذكرى حزينة ومبعث الألم يمكن أن تقابل الرحلة ؟

عند الاقتراب من الغروب تعود الشمس بعد إنهاء يومها، إلى الغرب، حيث عرِفَ مكان غروب الشمس عند العرب بعين حمئة، وهو من خرافاتهم التي نسجوا حولها الكلام الكثير، وقاربت العرب بين الغرب والموت، فنرى أن "الغرب هو المكان الذي يقبل منه الموت في التصور الكنعاني"[(413)]. وبعد غروب الشمس يسود سكون نسبي في معظم الأرجاء، ويسجو الليل وكأن الحياة توقفت وحل الموت. فتسير الشمس وراء البحار، تركب سفينتها، وتجري في غياهب العالم السفلي، إلى أن تعود في صبيحة اليوم التالي، من الشرق، مكتسبة القوة والنشاط من جديد، كما رأى القدماء أن ذا القرنين بالغ في جريه وترحاله باحثا عن مكان غروب الشمس واختفائها، وهي القصة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى:" **وجدها تَغْرب فِي عينٍ حمِئَةٍ** "[(414)].

وفي التعرف إلى معنى الغراب، نرى أن سبب التسمية ناتج من الشدة في الشيء،

([412]) ينظر: زهير بن أبي سلمى، **شعره**، ص80.

([413]) الديك: د.إحسان، **الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي**، مجلة النجاح للأبحـاث / العلـوم الإنـسانية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 15/ 2001م.ص661.

([414]) **القرآن الكريم**: سورة الكهف، الآية 86.

كالسواد مثلا أو في كثرة البعد، والغرب كما هو معروف لا يدرك آخره.[415]

وقف الشعراء وراء الرحلة الكونية المتمثلة في رحلة الشمس وقفة خوف من الظلام ومن المجهول، وتأملوا ظهور الشمس وإتيان يوم جديد مفعم بالحيوية والنشاط. معتقدين أن الشمس تخرج كل صباح من وراء الجبال، فربطوا بين الجبال، وبين علو الشمس إلى وسط السماء، ومن ثم ميلها إلى الغرب واختفائها وراء الأفق مرة أخرى، وهكذا، مما جعلهم يعتقدون بقدسية الجبال وكأنها مكان للشمس، ورأوا أن هذه الجبال هي جبال الأمومة في الأرض، وأنها مكان مهم لنزول الآلهة وصعودها، وهي تمثل حلقة وصل بين الأرض والسماء، من هنا كانت الجبال مركزا مهما للمعابد الدينية لتكون قريبة من السماء ومن الإلهة الشمس، و أشار القدماء إلى أن الجبال هي مركز الأرواح والآلهة ومقر نزولهم، وأماكن التعبد فها، من هذا المنطلق كانت رحلة جلجامش، رحلة من أجل البحث عن الخلود، والحصول على نبتة الحياة، لذا كانت الحمر الوحشية إلى جانب الشاعر هي من يبحث عن الحياة وعن الخلود في قصائد الجاهليين، مع أن الخلود لم يستمر ولم يتحقق لجلجامش، فكانت فكرة الحياة والموت هي المسيطرة على ذهن الشاعر الجاهلي، يقول خويلد بن خالد في وصف حمار وحشي وقد رأى الشمس فوق البضيع:

وظَـل لهـا يـومٌ كـأن أُواره		ذَكا النار مِن فَيح الفُروع طَويلُ
فلما رأين الشمس صارتْ كأنها		فُويقَ البضيع فِي الشعاع خَمِيلُ
فهيجهـا وانْشَـام نَقْعـا كأنـه		إِذَا لفَـها ثُـم استمـر سحيـلُ[416]

لم تكن فكرة البحث عن الحياة بالشيء الجديد عند الشاعر خويلد، بل جاء ليرسخ بعض المعاني بأشكالها المختلفة، ولم تكن صفة الحياة والخلود في الشمس التي أشار إليها الشاعر وليدة لحظة ساعتها، بل متأصلة بجذور قديمة تضرب إلى البدء.

([415]) ينظر: **لسان العرب،** مادة (غرب).

([416]) الهذليون: **الديوان،** 2/ 119.

تظهر الشمس برموزها وبدلالاتها الاستعلائية، وكأنها تتحكم بصورة أخرى في مقدرات الإنسان ومصيره، فهي شاهدة على مأساته التي يراها ولا يعيها، ولا يدرك لها حق إدراك، فالإنسان يقبع لمصير مزعج يذكره بضعفه وعجزه وضآلته، وقد فجر هذا الوضع عواطف الشاعر وأهاج أحزانه وزعزع تماسكه.

والشمس هي التي تسقي الأسنان وتمنح المرأة أسنانا جديدة، من هذا المنطلق قام الشعراء بوصف أسنان محبوباتهم بأنها براقة، تتمتع بصحتها دون تثلم، لأنها تعنى بها أشد عناية، أما اللثة والشفة ففيهما حوة كأن عليهما كحلا، وكانت هذه العقدة الدينية منطلق الشاعر الجاهلي في وصفه أساس الجمال ومصدره، وأساس كل شيء حسن مميز في وجوده، في حين وصفها البعض أنها أساس المزن والمطر التي روت أسنان المحبوبة، فكانت الطبيعة هي مصدر الخصب والجمال وأساس كل منها الشمس، وفي ذلك أفصح الشعراء معبرين بأفضل صورة كما في قول طرفة:

وتَبسِـم عـن ألمى كأَـن منَـوراً		**تَخَـلَلَ حر الرمل دِعصٌ له نَدِي**
سقَتْـه إِيـاةُ الشـمس إلا لِثاتِـهِ		**أُسِف ولَـم تَكْدِم علَيـهِ بِإثمِـدِ**(417)

يستهل طرفة البيت الثاني بالسقيا، سقيا الإلهة الكبرى المقدسة، أساس الطبيعة الدنيوية، في بيئة عميقة، ليبعث ذلك الطقس الأمل في النفوس، فكان الشاعر الجاهلي خير من غدا مكتشفا ومتأملا في هذا الكون، ومن يعزز الأمنية في هذه السقيا. مستخدما الطقس الاستسقائي بدلالات ذات تأثير وبعد ديني، فذكر كلمة (سقته) تدل على معان عدة، وما يتبع السقيا من إخصاب ونماء للأسنان في هذا البيت، فالشمس إلهة خالقة ومانحة، كل ذلك ليتحقق الانتصار الفني للشاعر والبعد الميثولوجي على الأرض.

كما عمد طرفة إلى وصف خصوبة الشمس التي أمدت بها بني البشر بحيويتها، فهي تسقي بشرة الحسان، ثم جاءت مصدقة لما كان يعتقد به القدماء، فظهر تعطش الكاهن العاشق

(417) طرفة بن العبد: **الديوان**، ص20.

ومعشوقته المثلى ونزوعهما إلى تقليد الارتباط الإلهي.

تتنوع صورة المرأة المشرقة والمنيرة التي أساسها الشمس، وهي تبرز صفاتها الجميلة لعاشقها عند الشعراء، فطرفة بن العبد يصور محبوبته تصويرا فنيا مبدعا، أساسه الشمس، فهو "يعتمد على التضاد اللوني لإبراز صفات المحبوبة أو عناصر صورتها، فثغرها يجمع بين بياض الأسنان: النوار، وبياض ضوء الشمس، وبين دكنة اللثة واسودادها، ووجهها يجمع بين بياض الشمس وشعرها الفاحم كعناقيد البرير، كل هذا بين خضرة الخميلة وزبرجد الحلي، فكأن الصورة مساحات لونية من الأبيض والأسود والأخضر، ولكن تظل الصورة في نهاية الأمر مشيرة إلى أصلها الديني، مصورة: المرأة ـ الشمس، الغزال ـ أي المعبود ـ الأم "[418].

يتضح لنا من خلال أبيات طرفة السابقة أيضا أن الشاعر يوشك أن يقيم لنا تمثالا لامرأة بصورة جميلة، فنراه يركز على صورة الوجه، إذ يربطها مباشرة بالشمس التي تشبه وجه المحبوبة، لذا يعمد الشاعر إلى مقاربة بين وجه الإلهة ووجه المحبوبة، والشمس هي التي تمنح الأسنان، ليكون الشاعر قد لجأ إلى تشبيهها بنظائر مقدسة للشمس، كالغزالة التي يصورها بأنها أم أحوى وأم خذول، وذلك لما للظبي علاقة قوية بالشمس وصلة دينية.

أما المرقش فيقول:

تَـَراءتْ لنَا يـوم الرحِيل بِـواردٍ		وعـذْبِ الثنَايـا لْم يكُـن متَراكِما
سـقَاه حِبي المـزن فِـي متَهـدلٍ		مِن الشمس رواه رباباً سواجِما[419]

جاء كلام الشاعر المرقش مظهرا معنى من المعاني التي تقوم بها الشمس، وهو أن الشمس مصدر خصب لهذه الأسنان من شمس وماء، ووصف فعل الماء فيها، بعد أن أبدع في وصفها مبينا تناسقها وانتظامها بفعل الشمس، فهي مصدر الجمال وأساسه عند الشاعر ومعوانه في رسم صوره الغزلية.

([418]) البطل: **الصورة في الشعر العربي**، 70 ـ 71.

([419]) المرقشان، **الديوان**، 97 ـ 98.

ويلجأ الشاعر المرقش في البيتين السابقين إلى تفصيل صور من الأمل، مستخدما أفعال السقيا والري، وقد احتوى البيت الثاني عنصر التأصيل الديني، فخلف رحيل المحبوبة لدى الشاعر حسنا جميلا في صورتها، خلق الشاعر منه جوا فنيا وصورا إخصابية في البعد المكاني، ممتزجا بالأفق الزماني لحظة الرحيل، حيث انتقل الشاعر من وصف القحط والجدب الذي أدى بالقبيلة إلى الرحيل، لينتقل إلى تحدي جبروت القهر والموت والجفاف، فوصف الشاعر فعلي السقيا الظاهرين في كلامه، المرتبطة بالمحبوبة و هما (سقاه ورواه)، ولم يكتف الشاعر بالحديث عن الديار بل أشار إلى استسقاء الشمس ـ وهي رمز الخير ـ ليعم الخير على المحبوبة، هذا وأشار الشاعر بذكر (المزنة و الرباب، السواجما) إلى عموم الخير في ذهن الشاعر، وهما ذات بعد جذري لغوي مختلف، يفيدان معنى لغويا واحدا هو السحاب أي (المطر). كما يظهر من سياق الخطاب الشعري أن الشاعر يسعى نحو النماء، ودفع مظاهر الفناء والجدب. ونرى ترسخ ضمائر الغائب (الهاء) مع الفعلين (سقاه و رواه)، لنلمح التلامس في وجدان الشاعر وتدغدغ عواطفه، وربط المعنى بالشمس ذلك الكوكب الذي اكتسب نوعا من العطاء.

ويصف الشاعر عنترة بن شداد عشيقته بالإشراق والبهاء الجمالي الوضاء من خلال تشبيهها بالشمس، متخللا من نصه الشعري والبعد الديني لرسم صورة تجسد عبودية الشاعر الكاهن، فيذكر الشاعر الكاهن عبادة الإلهة الشمس مباشرة، فقد تم ذكر الفعل (سجدت) مقترنا بأداة الشرط والفعل (إذا طلعت)، فبطلوع هذه الإلهة يشع النور ويزول الظلام المخيم، ومن يستحق العبادة غير هذا الكوكب الذي لا يكل ولا يخفت ؟ لقد سجد لهذه الإلهة لحظة شروقها، ثم عند الغروب أيضا، هذه العبادة التي كانت شائعة عند العرب قبل الإسلام، يقول الشاعر عنترة:

شَمسٌ إذَا طَلَعتْ سـجدتُ جلالَـةً		**لِجمالِها وجلا الظلام طُلُوعها**[(420)]

تبدو صورة عنترة صورة مميزة، تجمعتْ فيها كل مزايا الفن، إذ إنها تقدم عالما روحيا خصبا مليئا بالعمق تستند إلى تجربة ذاتية حية. وتشير لحظات الصبح والمساء عند الشاعر إلى

(420) عنترة بن شداد: **الديوان**، ص251.

بعد ديني جديد إلى لحظات التأمل في ساعتي الإصباح والإمساء في الأم الكبرى الربة الكونية، وهما وقتا العبادة؛ لحظة شروق الشمس ولحظة غروبها، وقد تمت الإشارة لهذه العبادة في الفصل الأول.

ويصِفُ النابغةُ هو الآخَر حبيبتَه نُعماً بِأنها الشمس في جمالِها وجلائِها وسعدها، مختاراً لَها أجمل الصفاتِ وأرقها، في هذه الصورِ الجماليةِ يؤكد الشاعر الجاهِلي فيها قُدسيةَ المرأةِ التي استشفت هذهِ القيمة من خلال التَشبيهِ بالكوكبِ المقَدسِ (الشمس)، وكل مقدس معظم ـ بلا شك ـ وبياض محبوبة الشاعر وجمالها من بياض الشمس وجمالها، يقول النابغة:

بيضاء كالشمس وافَتْ يوم أسعدها		**لم تُؤْذِ أهلاً ولم تَفْحشْ على جار**(421)

وينطلق بعض الشعراء إلى المساواة بين المرأة والشمس، فالمرأة هي كالشمس نفسها، يبين مكانتها القدسية والدينية بشكل جلي واضح، لا فرق بينهما، جمالها من جمال الأم الكبرى، فالنابغة واحد من الشعراء الذين "كانوا في الغالب يفصلون بين الشمس و المرأة بما يفيد التشبيه أو ما يسمى بحرف التشبيه، في حين كانوا يحققون الاختلاط بينها وبين الغزال، على أساس أن الشمس هي المعبود الأصلي، و المرأة والغزال و غيرهما رموز لها يصح أن تتبادل مواقعها فيما بينها"(422).

يقول عنترة:

ويطْلع ضوء الصبح تَحتَ جبينها		**فيغْشَاه ليلٌ من دجى شَعرها الجعد**(423)

يعمد عنترة إلى تشبيه وجه محبوبته بالشمس مباشرة، وفي هذه الصفة تركيز مقصور على إبراز جانب الخصوبة والعطاء وإضفاء الإشراق على الكون، وأي امرأة يتحدث عنها

(421) النابغة: **الديوان**، ص38.

(422) البطل: **الصورة في الشعر العربي**، ص 109.

(423) عنترة: **الديوان**، ص 215.

عنترة؟ إنها الأم المعبودة الشمس التي تبدد الظلام مهما اشتد، لكن الشاعر عنترة لم يلجأ إلى تقديم صورة جامدة، بل رسمها من خلال صورة حية تحوي جوانبها الحيوية، صفات مثالية لامرأة حظيت بالتقديس، و حملت وظيفة الأم الأساسية الإلهة واهبة الحياة في الكون.

يركز عنترة على معاني الإشراق الأنثوي المثالي، فقد ربط بين المرأة الصبح، ووقت الصبح من الأوقات المقدسة وهو من أوقات العبادة، والجذر الثلاثي (صبح) ذو أبعاد دلالية ودينية عميقة تدل على صلة العلاقة بين المرأة والشمس، الشمس التي عبدت عند عرب الجنوب، باعتبارها ربة الخصب والحب وربة النهار.

لا يقتصر استخدام الشمس عند الشعراء للتدليل على مكانة المحبوبة وأهميتها، بل صور بعض الشعراء الرجل المرموق صاحب المكانة الاجتماعية بالشمس إشارة إلى منزلته الرفيعة، يقول الأعشى في علقمة بن علاثة معتذرا له، ومبينا شهرته، دون الحاجة للتعريف بصاحبه، فهو كالعلم، لقد أراد الشاعر أيضا أن يمجد ممدوحه ويبين علو مكانته ورفعتها مستمدا له صفات الرفعة والعلو والبهاء التي تتصف بها الشمس، فهذا علاثة واضح ومعروف في أعماله كالشمس التي لا يستطيع أحد أن ينكر وجودها، فالسيد يرمز لنور الشمس المؤلهة، يقول:

وإن فَحَـص النَّـاس عـن سيـدٍ		**فَسـيـدكُـم عنْـه لا يفْحَـص**
فَهلْ تُنْكَـر الشـمس فِي ضوئِها		**أَو القَمـر البـاهـر المبـرص**[424]

وأشار الشعراء الجاهليون إلى ظاهرة ترجل الشمس في دائرة الحديث عن المحبوبة، فقد وردت عند كل من الأعشى[425] وجران العود[426] والأفوه الأودي [427]، لقد أثرت المحبوبة في الإنسان تأثيرا بالغا، حتى أنها تكاد في بعض الأحيان أن تخلب عقل عاشقها، كل ذلك ممكن حتى لو لم ترتفع الشمس وتشتد أشعتها، فإذا أبرزت المحبوبة جمال جسدها بدت كأنها أشد

(424) الأعشى: **الديوان**، ص105.

(425) ينظر: **المصدر السابق**، ص146.

(426) ينظر: جران العود: **الديوان**،، ص39.

(427) ينظر: الأفوه الأودي: **الديوان**، ص 89.

لمعانا وظهورا وجمالا من الشمس، قبل ارتفاعها لتصل وقت الظهيرة، فقد اختار الأعشى وجه المقارنة بين الشمس قبيل اشتداد ضوئها وحال المحبوبة؛ لإبراز مدى إعجاب الشاعر بمحبوبته.

فالأعشى يساوي بين الشمس في طراوة شعاعها قبل ترجلها وليونة محبوبته الجميلة، فالإلهة الشمس تتميز بعدم الجفاء على من عبدها كحال المحبوبة الممثلة للربة الكونية.

وتتفاوت وجهات نظر الشعراء حيال الشمس، فوصل الأمر بالأفوه الأودي من شدة إعجابه بها و بجمالها، أن جعل "منها أنثى تتزين وتمشط شعرها السحري الجميل "[428].

ومن الممكن أن تقف المحبوبة إلى جانب البشر عند افتقادهم الشمس، فيقال في ترجل الشمس وتوقدها: ترجل لمن استعد وتَهيأ: "ترجل القوم إذا نزلوا عن دوابهم في الحرب للقتال"[429]، وقد اكتسب المعنى من المشي والوقوف على الأرجل، إضافة إلى الصلابة والقوة.

ويصف عوف بن المنتفق العقلي شجاعته وقد زعمت بنو جعفر أنه الذي قتل لقيط بن زراره يوم شعب جبلة قبيل اشتداد أشعة الشمس [430].

كما ربط الشعراء بين الشمس والملوك، فرمزوا بالشمس إلى الملك الكبير في الأساطير العربية، وقد جاء في الميثولوجيا القديمة أن الملوك عمال للآلهة على الأرض، يقومون بما يسند لهم من أعمال، يمارسون الحكم نيابة عن الآلهة، وخير مثال على ذلك الملك حمورابي في الديانة البابلية، ومن هذا المنطلق نجد أن الشعراء شبهوا الملوك والعظماء وكل شيء شامخ بالشمس. ولا أدل على ذلك من الصفات التي كان يوصف بها السادة والقادة، فيحق لهم مالا يحق لأبناء القبيلة، فممدوح النابغة شمس تأخذ منه الملوك القوانين وتستمد منه التشريعات، ليشبه الكواكب التي تأخذ ضوءها من الشمس، فلولا الشمس لما أضاءت الكواكب. وقد عثر قديما على نصوص تبين حمورابي وهو يتسلم دستوره وشريعته من الإله الشمس ـ كما ورد في مادة

([428]) الحسين: **انتربولوجية الصورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، قراءة تحليلة للأصول الفنية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1993م، ص 179.

([429]) **لسان العرب**، مادة (رجل).

([430]) ينظر، يعقوب: **أشعار العامريين الجاهليين**، ص 84.

الفصل الأول ـ مثل هذا القول كان مصدرا مهما يمكن أن يكون داعما لما جاء به النابغة في معلقته التي يمتدح فيها النعمان بن منذر:

فإنّــك شَـمسٌ والملُـوك كَـواكِبٌ		إذَا طلَعــتْ لَــم يبد مِنْهن كَوكَب[431]

فالشمس عندهم رمز للملوك ذو نفس أبية مترفعة، وهي أصل القمر والكواكب، حتى مثلوها بصنم بيده جوهرة بلون النار، فكانوا قد بنوا لها مكانا للعبادة يأتون إليه زائرين.

يقول الأعشى مشيراً إلى أهمية القمر والشمس:

وما كَـان فِيها مِـن ثَنَاءٍ ومِدحةٍ		فأعنِي بِها أبـا قُدامةَ عامِـدا
فتَى لو ينَادِي الشمس ألقَتْ قِنَاعها		أو القمر الساري لألقى المقالِدا[432]

الساميين الغربيين والعرب الجنوبيين تركز على أهمية عبادة القمر، ومن الممكن أن تكون المناداة التي أشار إليها الشاعر تدل على العبادة والابتهالات، وكذلك قوله (ألقت قناعها) يمكن أن يدل على ظهور مثل هذا الكوكب دون اختفاء، بل لربما قامت لتلبي مثل هذه الطلبات، إنها الإلهة القريبة من البشر، لتتخذ منزلة كبرى وعظيمة، إنها الإلهة الشمس المتمثل في قول الشاعر (ألقت). كما يظهر من قول الشاعر (لألقى) ذكورة القمر ورجولته وقوته في تلبية أي طلب، الإله والرب السماوي، فالذكر له طاقة على تحمل المصاعب والمشاق والمسؤولية أكثر من الأنثى، ونرى تدرج الشاعر في ذكر قوة الآلهة بدءا بالشمس الإلهة الأنثى، ولينتقل من ثم إلى الإله الذكر القمر.

تتعدد صنوف الطوطم في الشعر الجاهلي كثيرا، ويرتبط تفسير مثل هذه الظاهرة بالتفسير الأسطوري، إذ أن الشاعر الجاهلي ربما كان يقابل بين حيواناته و حيوانات السماء الكبرى المثال، من منطلق وحدة الوجود عند الشاعر القديم، مستفيدا في أشعاره من قصص

(431) النابغة: **الديوان**، ص 14.

(432) الأعشى: **الديوان**، ص46.

وحكايات حدثت عن حيوانات أخرى عند أمم بائدة من قبله، فوصف الشعراء حيواناتهم، وأعجبوا بها مركزين على ظاهرة القوة فيها وقدرتها على تخليص أصحابها من المخاطر، أو تلبية حوائجهم وطلبهم للوصول إلى يدي الممدوح، لذلك لم تكن حيواناتهم مجردة كباقي حيوانات الجزيرة العربية، إنما كان وراءها رصيد من الأفكار الأسطورية التي يصعب على الإنسان العادي فهمها إن لم يكن ذا بعد ميثولوجي.

وارتبطت الشمس بحيوانات كثيرة في فكر الجاهليين، بالفرس والغزالة والمهاة، فظهرت الشمس في أشعار الجاهليين غزالا بقرن واحد أو بقرنين، وكان الشاعر بذلك يتحكم من منطلق نظرة طقوسية دينية أو ما يشبه هذا المنحى، فهو كاهن صاحب عقيدة، وللشمس في شعره قرن، (طال قرن الشمس)، بل للشمس قرون كثيرة، ومن هنا ظهر الحيوان الطوطم الذي بقي مقدسا لفترات طويلة في أشعارهم، يقول لبيد:

طَـالَ قَـرن الشـمس لما طلَـعتْ		**فَإذَا ما حضـر الليـلُ اضمحـلّ**[433]

ويقول المرقش الأكبر:

وفي الحـي أبكَـارٌ سـبين فُؤَاده		**عـلالةَ مـا زودن، والحب شاَغِفِي**
دِقَاقُ الحضـور لـم تُعفـر قُـرونُها		**لِشَجو ولم يحضرن حمى المزالِفِ**[434]

من خلال الأبيات السابقة نرى أن "المرقش يعبر عن الشعر، (بالقرون) (لم تعفر قرونها لشجو) ذلك لأن الغزالة وهي ذات (قرون) صورة من صور الشمس"[435].

ذكر كثير من الشعراء الجاهليين أن للشمس قرنا، أو أكثر "فالغزالة رمز للشمس وللشمس قرن (حتى إذا ذر قرن الشمس) و(حتى إذا ظن قرن الشمس غالبة) و (كما صان قرن

([433]) لبيد: **الديوان**، ص141.

([434]) المرقشان: **الديوان**، ص 59.

([435]) البطل: **الصورة في الشعر العربي**، ص 63.

شمس غمام)، بل للشمس قرون (كأن قرون الشمس عند ارتفاعها) والمرأة رمز للشمس، والشمس ترجل شعرها وفيها كل الصفات الأنثوية فهي تُحِب وتُحب، وتتحلى بضروب الحلي وتتعطر وتتطيب وتتسوك"[436].

وتتأكد قداسة الظباء في الفكر الجاهلي من وجودها في الكعبة المقدسة، لكونها تجسيدا للصورة الحيوانية المقدسة على المستوى الأرضي، فالشاعر طرفة "يضعنا أمام صورة تتحقق فيها الصورة المثال للمرأة، بعدة تشبيهات تربطها بالنظائر المقدسة للشمس في الدين القديم: مثل الظبي - أحوى - وهي ظبية أم - خذول - وأخيرا فالشمس قد ألقت رداء الضوء والنضارة على وجهها، وبين الشمس والغزال صلة دينية وثيقة، فهما شيء واحد أو صورتان لمعنى واحد معبود هو معنى الأمومة"[437].

ومما يؤكد قداسة الغزال "أن شعراء الجاهلية على كثرتهم وتعدد قبائلهم لم يذكروا أنهم قد صادوا غزالا، ففي عدم صيده ما يدل على أنه حيوان مقدس"[438] وكان أساس هذه الصور قدسية الغزال الذي وجدت له دمى في محاريب العبادة، عند الأمم السابقة ومنهم الجاهليون، فكان الشاعر يقدم صلواته ويقيم طقوس عبادته في محاريب الآلهة بما فيها محراب الشمس، ليعم الخير على البشر.

يصف الأعشى المرأة بالظبية، وليس عبثا أن يصور الشاعر المرأة بصورة بعض الحيوانات، كما تميزت هذه الظبية بكونها أما مطفلة ذات وليد صغير ليدل على أنها مخصبة، ذات تجربة بالأمومة، لقد صورت بالظبية لما لها من قداسة في ديانة الجاهليين:

ظَبيةٌ مِن ظِبـاءِ بـطْن خُسـافٍ		**أُمِّ طِفْـلٍ بِالجـو غَيـر رِبِيبِ**[439]

وتتحد الظبية مع الأصل النباتي الكامن وراء تلك الربة الكونية الكبرى وهي الشمس،

([436]) عبد الرحمن: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص 121.

([437]) البطل: **الصورة في الشعر العربي**، ص70

([438]) عبد الرحمن: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص 113.

([439]) الأعشى: **الديوان**، ص 27.

فتعود إلى شجر الأراك لتحظى ببعض حسنها وخصوبتها. ويؤثر الزمن في الحركة والاختفاء، وباقتراب الشمس من مغربها تبدأ الحيوانات بالسكون وتتوجه الظباء كباقي الحيوانات والاختفاء، فلا تجد سوى الغابات سترا ووقاء لها، لكن الشاعر يذكر الظبية المقدسة إلى جانب الشمس؛ ليقارب بين حضور الظبية المقدسة في رمزيتها والحضور الأمومي الديني. يقول خداش بن زهير:

ِذَا الشمس كَانَتْ رنْوةً مِن حِجابِها		تَقَتْها بِأَطْرافِ الأَراكِ وبِالسـدر[440]

كما يقول أبو دؤاد الأيادي:

ويصـن الـوجوه فِي الميسنَانِـ		ـي كَما صان قَرن شَمسٍ غَمام
وتَـراهن فِـي الهـوادِج كالغِـز		لان مـا إِن ينَـالهـن السـهام[441]

ومثلت الناقة صورة من صور الشمس، فالشماخ يصف ناقته وقد تمتعت بمثل هذه الصفات، وقد أنعلتها الشمس وغطتها ومنحتها العز والسمو وأكسبتها هذه المكانة، هذا ناشئ من اعتزاز الشاعر بناقته وإحساسه بعلو الشمس ورفعتها، يقول:

ِإذَا وردتْ ماء هـدوءاً جِمامـه		أَصـاتَ سرِيسـاها بِـهِ، فَتَشَـورا
وقَد أَنْعلَتْها الشـمس ظِلاً كَـأَنه		قَلُوص حبارى زِفهـا قَد تَمورا[442]

هذا وعبدت الناقة في الجاهلية لكونها رمزا للشمس، وقد حملت معاني الخصوبة والأمومة، يقول الدكتور قصي الحسيني في حديثه عن الناقة: "كان الشاعر يستكمل صورتها في صورة ثور الوحش، وحمار الوحش... وما عرف عند النقاد بالاستطراد لربط الشاعر الجاهلي بين الناقة وبعض الحيوان والطير، أو بينها وبين المرأة أو بينها وبين التل والرمل والقصر، إنما

---

(440) يعقوب: **أشعار العامريين الجاهليين**: ص35.

(441) الأصمعي: **الأصمعيات**، ص 157.

(442) الهادي: **الشماخ بن ضرار الذبياني**، ص 183.

هو استكمال لبناء صورة الناقة رمز الأمومة والخصوبة قرينة المرأة / الشمس"(443).

من الممكن الإشارة إلى علاقة الناقة بالشمس من خلال الحديث عن رحلة المحبوبة، حيث تشكل الناقة جزءا مهما فيها، فالمرأة تعلو ظهر الناقة في رحلتها لتكمل مشوارها في رحلتها وتحط بالقرب من عيون الماء، فهي حيوان مهم في الرحلة، فبالتالي عدت الناقة حيوان الرحلة بين مختلف الشعوب القديمة.

ونرى "أن اللغة ترمز للشمس بالمهاة، فها هو ذا العقد يكتمل ويجعل المرأة شبيهة بالشمس، فالشعراء يشبهون المرأة بالشمس مباشرة أو بما يرمز إلى الشمس كالغزالة والمهاة، أيمكن أن تكون المرأة في الشعر الجاهلي رمزا للشمس ؟ "(444).

ويرد ذكر المهاة بجمالها، فتشترك صورة الغزال بالمهاة في مستوى من السمو والرقة، وتميزهما بقرنيهما وجمالهما، هذا الاتحاد مشابه لاتحاد الشمس بالمرأة، فجاءت هذه الرموز مختلطة بين الإنسان والحيوان مع بعض قوى الطبيعة، التي امتازت بقوتها فوق قوى البشر. ولتتشارك في رأي الشاعر بين الخصوبة والجمال والقوة، ورأوا أن مثل هذه السمات لا بد وأن تجتمع في إلهة عظيمة ألا وهي الشمس. يقول الأعشى في وصف محبوبته التي أشبهت المهاة:

فَـبـان بِحسـنَـاء بـراقَـةٍ		**علَـى أَن فِـي الطرفِ مِنْها فُتُورا**
مبتلَـةِ الخَـلْـق مِثْـلَ المهـا		**ةِ لَـم تَـر شَـمساً ولا زمهريرا(445)**

وكان الثور عند الساميين يلعب دورا مهما كحيوان الشمس المقدس، لذلك فهو يسد مسد الشمس في بلاد العرب الجنوبية، كما تم المزج بين الثور في السماء والكواكب الأخرى إضافة للشمس، لتتيح العلاقة بين السماء والأرض.

ويصور بعض الشعراء العلاقة بين الثور والشمس أيضا إلى جانب الغزالة والمهاة، فـ

(443) الحسين: **انتربولوجية الصورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 243.

(444) عبد الرحمن: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ص115

(445) الأعشى: **الديوان**، ص87.

"الثور دائما يعالج الظلمة، ويبحث عن الشمس، والشمس في المعتقد الجاهلي هي الإلهة الأم التي عبدها العرب، وأقاموا لها الهياكل والمعابد، والثور (القمر) هو الإله الأكبر أو الإله الأب. وقد نرى في بحث الثور عن الشمس وترقبه لها إشارة إلى المعتقد القديم، وتجسيدا لمفهوم الجاهليين لطبيعة هذين الإلهين: الذكورة والأنوثة، وبحث كل منهما عن الآخر لذلك كان بزوغ الشمس أمرا محتوما في قصة ثور الوحش"(446). و تظهر البقرة الوحشية مع الثور الوحشي ليشكلا رمزا إخصابيا حيا وبعدا ميثولوجيا، إشارة إلى الثنائية الزوجية في المجمع الإلهي الخصب.

كما صور الشعراء الجاهليون انقضاض الثور بانقضاض الكوكب الدري؛ ليتم الربط بين الشمس والقمر من خلال تبيان علاقة الشمس بالثور، يقول زهير بن أبي سلمى في معرض حديثه عن الثور:

زرقُ العيون طَواها حسن صنْعتِهِ		مجوعاتٌ كما تَطْوِي بِها الخِرَقَـا
حتّى إذَا طَلَن قَرن الشمسِ غَالِبه		وخَافَ مِن جانِبيهِ النهز والرهقا(447)

وتربط الديانة الميثولوجية القديمة عند العرب بين الشمس والقمر، إذ يبدأ الصراع مع بدء الضوء الأول في الصباح حيث يقوى ضوء الشمس على ضوء القمر، فيعمد الشعراء إلى تصوير الثور خارجا من تحت شجرة الأرطى مع أول بزوغ للشمس، وارتباط الثور بهذه الشجرة هو بمثابة مكان العبادة الذي ينزوي فيه الثور متعبدا ومتأملا مترقبا، ويختار الشاعر له التهجد والتعبد، وكأن لجوء الثور إلى شجرة الأرطاة وخروجه من تحتها هو طقس عبادة دأب عليه الشعراء في قصة الثور الوحشي، ويوصلنا الشاعر في تصويره وبنائه الفني باللقاء النباتي والحيواني و التوحد بينهما.

أشار الشعراء في أشعارهم إلى الخيل المقدسة باعتبارها رمزا من رموز الشمس الربة الكبرى، فقدسوها وقدسوا غيرها من عناصر الطبيعة الأخرى، وجاء ذكرها في القرآن الكريم،

(446) أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**، دار عمار، عمان ط1، 1987م، ص 169.
(447) زهير بن أبي سلمى: **شعره**، ص70.

قال تعالى: "**والعاديات ضبحا**"[448]. وألمحوا إلى دورها الإخصابي وسماتها المثالية. فتنوعت صفاتها وقدراتها، لتصبح أداة للحرب الأولى في المعارك، الأداة المتحركة، وتقوم الفرس الرمز بوظائف قتالية في ميادين المعركة ليتمثل دورها في الحرب باعتبارها رمز الربة الكونية الكبرى المحاربة، التي تلعب دورا رياديا في القتال ضد الأعداء، كما في شعر امرئ القيس، أضف إلى دورها الإخصابي ليصب الأرض بالخير ويهبها البركة، فالشاعر الكاهن امرؤ القيس يقرن وجود الخير بصورة صريحة بالخيل، فيقول:

والخَير ما طَلَعتْ شَمسٌ وما غَربتْ		**مطَلَبٌ بِنَواصِي الخَيل معصوب**[449]

"وقد عبر عن الشمس بـ (الفرس)، والفرس من الحيوانات التي قدسها قدماء الساميين، وقد كان العرب الجنوبيين يتقدمون بتماثيل الخيل؛ تقربا إلى الآلهة ومنها الإلهة (ذت بعدن)، و(ذات البعد) أي البعيدة، وهي الشمس"[450].

يقول سلامة بن جندل:

وكَرنَا خَيلَنَا أَدراجهـا رجـعاً		**كُس السنَابِـكِ مِـن بدءٍ وتَعقِيـبِ**
والعـادِياتُ، أَسـابِي الـدماءِ بِها		**كـأن أَعنَاقَها أَنْصـاب تَرجِيـ ـبِ**
مِن كُل حت إِذَا ما ابتَل ملُبده		**ضافِي السبِيبِ أَسِيل الخَد يعبوبِ**[451]

تمثل الفرس في قول الشاعر سلامة "رمز الأمومة والخصوبة، فالذعر الملازم له والدم الذي يشبه الخضاب بالحناء، وملاحظة الصلة الدقيقة والوثيقة، القائمة بين العناصر: الدم والضوء والولادة، ترجع كلها إلى كون الفرس في التراث الديني القديم عند العرب، وكما عاش في الذاكرة الثقافية عند شعراء العصر الجاهلي، هو حيوان مقدس يرمز للإلهة الأم

(448) **القرآن الكريم**، سورة العاديات، آية: 1.

(449) امرؤ القيس: **الديوان**، ص78.

(450) علي: **المفصل في تاريخ العرب**، 6 / 169.

(451) سلامة بن جندل: **الديوان**، 94ـ 96.

/الشمس"[452].

ويقرر الدكتور نصرت تأكيد حقيقة قداسة الفرس قائلا: "إذا كان الشعراء الجاهليون قد أطالوا في وصف الفرس حبا للخيل فلماذا شبهوا فرسهم بالقطاة التي لا يستطيع النسر أو العقاب أن ينالها ؟ ولماذا شبهوها بأنثى العقاب التي تستطيع أن تقنص الثعالب والأرانب ولا تقنص معها القطا ؟ هل كانوا يعدون القطاة أقوى من الثعالب ؟ إن الفرس ـ رمز الشمس ـ موجود مثلها في السماء، في تلك المجموعة النجمية التي تسمى الجوزاء أو الجبار"[453].

لقد اقترب الشعراء بوصف بيضة النعام في نقاء لونها بالشمس، لما لها دور الحفظ و الستر، فالبيضة تجمع البياض والصفرة، والشمس في ضحوتها تجمع بين اللونين أيضا. فيصور لنا كل من علقمة بن عبدة [454]، وسحيم عبد بني الحسحاس[455] العلاقة القائمة بين المرأة وبيضة النعام التي يرعاها الظليم، فيبين علقمة الشمس وقد ارتفعت وسدت مسد من يحتفظ ويرعى البيضة، لتلقي بدفئها عليها، لأن البيضة تحتاج إلى رعاية وارتفاع حرارتها لتخصب، فقامت الشمس بإكمال العملية الإخصابية، وابتعد الظليم عنها ناظرا إلى بيضه متأملا هذه العملية التي تقوم بها الشمس الربة الكونية وهي عملية إكمال الإخصاب في البيضة، لتدب فيها الحياة، هذه البيضة التي لعبت ومثلت رمزا مهما للشمس، فـ "بيضة النعام تمثل صورة من صور الشمس وقرينا للمرأة الأم"[456]، ليكون الشاعر قد جمع قوتين إلهيتين ورمزين من رموز الشمس هما المرأة وبيضة الظليم.

أما سحيم فيصور محبوبته ببيضة الظليم وقد ابتعد عنها؛ لتظهر للشمس وقت الضحىً.

خص الشعراء المرأة بلونين مميزين بين البياض والصفرة، فكان "مزج المرأة بالشمس، والاصفرار هنا ليس عيبا وإنما هو من صفات المعبود المقدس ـ الشمس ـ فالبيضة، بما

([452]) الحسين: **انتربولوجية الصورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، 263.

([453])عبد الرحمن: **الصورة الفنية**، ص 140.

([454]) ينظر: علقمة: **الديوان**، ص54.

([455]) سحيم عبد بني الحسحاس: **الديوان**، ص18.

([456]) البطل: **الصورة في الشعر العربي**، 145.

تجمعه في غرقئها من بياض ومح أصفر إنما هي جماع لسر الشمس في ضحوتها وعشيتها، وغلافها الرقيق الهش يماثل رقة بشرة المرأة، وملاسة أديمها وصفائه ونضرته وخلوه من أثر الزمن وتجاعيد السن. وهي محاطة بالرعاية والعناية"[457].

أطلق الشعراء على الشمس ألفاظا دينية، وقد حملت هذه المسميات بعدا دينيا، لتبين أنها ذات الحر واللهب المتوهج، (ذات حمم) و (ذات الحميم)، إضافة لأسماء أخرى كثيرة متعددة منها "الجوناء" و"الضحى" والشارق" وذكاء. وكانت هذه الأسماء أساسا مهما في عبادتهم، كما ورد عند لبيد العامري وقد أتى بالفعل " ذكيت " من الاسم "ذكاء" ذات الحرارة واللهب [458].

لم تكن علاقة الشاعر الجاهلي بالشمس وبمظاهر الطبيعة والبيئة علاقة جافة مجردة من المعاني والأبعاد الميثولوجية، بل أتى في أشعاره بكلمات تكرس وتدل على معتقدات ذات أصل عميق في الموروث العقائدي، وربما جاء الشاعر أيضا بمعان وصور أسطورية خفية ذات دلالات مليئة بالمعاني، لكنها جميعا تنم عن عظمة الشمس وقدسيتها، كما ذكروا الشمس في معرض حديثهم عن الحياة بجوانبها المتعددة من جدب وخصب، ومن حياة وموت، فكانت الشمس أصدق شاهد على حياتهم.

([457]) البطل: **الصورة في الشعر العربي**، ص 80.

([458]) ينظر: لبيد: **الديوان**، ص31.

ثانيا: الـبعـد النفسـي

يحمل الزمن في طياته كثيرا من الأحوال المتناقضة من خير وسعادة، من شؤم وتفاؤل وقسوة وليونة، وألم وأمل إضافة إلى معانٍ مختلفة، يمكن القول إن الشمس هي أساس تكون الزمن، واستمرار الحياة، فارتسمت صور كثيرة في ذهن الشاعر الجاهلي بشكل دائم، أخذ الشاعر يفكر في وجود هذا الكوكب، في ظهوره صباحا واختفائه مساء، في حياة مليئة بالصراع الذي يسيطر عليها الموت في النهاية، لكن حب الحياة والتفاؤل هما أساس الاستمرار في عيش مهدد بالموت في كل لحظة.

أثرت الشمس في حياة الإنسان الجاهلي تأثيرات مختلفة، كغيرها من مظاهر الطبيعة، بل فاق تأثيرها تأثير القمر والنجوم والمطر، فللشمس تأثير يومي متجدد، ومع كل يوم متجدد يلمس البشر تأثيرا جديدا، لقد اتصفت بميزات تدل على سرها في الحياة، لتضيف آثارا نفسية تدل على الأمان والسير في حياة وادعة. والشمس حقيقة لا يمكن تجاهلها، فهي ذات تأثير بالغ في نفسية مضطربة مترددة حسب تأثيرات الطبيعة، رغم ضعف صاحبها أمام مؤثرات الحياة، وأمام الموت الذي لا راد له، من هنا أخذ الشاعر يفكر في هذا الكوكب الذي لا غنى عنه، وفي سر الكون، لنسج تلك المعاني في خيوط شعرية متقنة.

لعل من أهم تلك المعاني التفاؤل والتشاؤم، إلى أن وصل بهم الأمر الاحترام والتقديس لكوكب الشمس، هذا الكوكب الذي قصد الشاعر به رموزا متعددة ـ وقد ذكرنا سابقا ـ من بينها المحبوبة، ففي الليل ومع حلول الظلام تستطيع المحبوبة أن تتغلب على هذا الظلام، فتضفي جوا مريحا على الشاعر، لتخيم الألفة والسعادة، وتبث السكينة في نفسه، فوجب عليه الاستسلام أمام قوة سيطرت على نفسه، يقول عنترة:

كم ليلـةٍ عانَقْتُ فِيهـا غَـادةً		**يحيـا بِها عِنْدَ المنـامِ ضجيعها**

شَمسٌ إِذَا طَلَعَتْ سجدتُ جلالةً		لِجمالِها وجـلا الظـلام طُلُوعها(459)

كما يمكن أن يكون النهار مدعاة للأمل والفرح، فتخفف الشمس بظهورها حالة الخوف التي تلم بالشاعر بعد أن كان قد شد إزاره للرحيل، حيث يصور الأعشى في موقع آخر كيف أمضى ليلته مرتحلا، وما لاقاه من عناء السفر والوحدة، إلى أن أشرقت الشمس ولاح شعاعها في الأفق، فخفت لوعة الشاعر وهدأت قريحته، حيث يتبين التفريغ النفسي عند الشاعر من استخدامه الفعل (لاح) الذي يدل على انفراج وبزوغ من وسط ظلمة وكبت مر بهما، ويدل اجتماع حرفي (الألف) و(الحاء) على تفريغ لضغط نفسي يمر به الشاعر، فجاء نور الشمس مصدرا مهما من مصادر الراحة عنده، فيقول:

ولَيـلٍ، يقُـولُ القَـوم مِن ظُلُماتِهِ:		سواءٌ بصِيراتُ العيون وعـورها
كـأن لنَـا مِنْهـُ بيـوتًا حصِينـَةً		مسـوحٌ أعالِيـها وساجٌ كُسورها
تَجاوزتُـه حتَـى مضى مدلهمـُه		ولاح من الشمس المضيئةِ نورها(460)

فأشعة الشمس الذهبية أساس مهم في بدء الحياة عند الشاعر من خلال الحديث عن الحيوانات، وهي إعلان ولادة يوم جديد، مع التحرر من ظلام دامس محاط بالخوف، فبانتشار الأشعة المشرقة يتخلص العالم من سجن الظلام للانتقال إلى حياة مفعمة بالأمل.

وتختلف وجهات نظر الشعراء حيال الشمس، مع أن العامل الأساسي هي الظروف المحيطة بالبشرية، فإن كان الإنسان مغرقا بالأحزان رأى أن طلوع الشمس مجدد لهذه الهموم، فكعب بن سعد الغنوي يصاب بالأحزان والهموم، ويعلل نفسه بالأسى على فقد أخيه أبي المغوار عند شروق الشمس، ليرى أن الحزن دائم ومتجدد عند شروق الشمس وغروبها، والأحزان تلاحق الشاعر في كل الأوقات، وكأن الشمس اختصت في طلوعها بتذكير الشاعر بهذه المناسبة، وبظهور الشمس يستمر البكاء والعويل، وتجيش النفس بعواطفها الحزينة وتثقل بالهموم، بينما تجف وتخف الدموع باختفاء الشمس، من هنا كانت الشمس مصدر شؤم وهم عند

(459) عنترة بن شداد: **الديوان**، ص251.

(460) الأعشى: **الديوان**، ص 70.

الشاعر، فيقول:

وإنـي لباكِـيـهِ، وإنـي لصـادِقٌ		عليـهِ وبعض القَائِـلِين كَـذُوب
إذَا ذَر قَرن الشمس عللْتُ بالأسى		ويأوي إلي الحزن حِين تَغِيب[461]

من جانب آخر رأت الخنساء هي الأخرى أن الشمس مصدر شؤم، فهي مبعث الحزن والتأسي لفقد عزيز على قلبها، وتتذكر الخنساء مع كل فجر أخاها صخرا، وكأن الشمس تعيد ذكريات مرت على الشاعرة، ومما يعزي نفس الشاعرة كثرة أولئك الباكين الذين يبكون على موتاهم، فالشاعرة في حالة بائسة دائمة البكاء والعويل، تسيطر عليها حالة من الحزن، فتقول:

يذكـرني طلُـوع الشـمس صخْرا		وأذْكُـره لِكُـل غُروبِ شمـس[462]

وتحرك الشمس مشاعر الإنسان والشاعر الجاهلي على السواء، الذين عاشوا بين ضروب الصحاري، كما كان من الطبيعي أن تتأثر طبيعة نفس الكائن الحي من الحيوان والنبات بالذبول، والشعور بالملل من شدة حرارة الشمس، فيصف الشاعر جران العود ناقته بقوتها ليلا وبفتور حركتها نهارا عندما تكون الشمس في وسط السماء، فقد لجأ الشاعر إلى إبراز دور الشمس في نفس الحيوان، وكأن الشاعر على دراية بأحاسيسه ومشاعره، يبين الشاعر أثر الملل الذي يصاب به الحيوان والإحباط، فيقول:

حم المآقِي علـى تَهجِيج أعينهـا		إذَا سمون وفِـي الآذَان تَألِيـلُ
حتى إذَا متَعتْ والشـمس حامِيـةٌ		مدتْ سوالِفَها الصهب الهراجِيلُ[463]

يمكن معرفة حالة الحيوانات النفسية إلى جانب حالة البشر، فكما أثرت الشمس في البشر أثرت في حيواناتهم، فعرض عدد من الشعراء بعض الصور التي تعرض خطوطا عريضة في قصة الثور الوحشي بصورة جزئية، في حين فصل فيها كثير منهم، لكن الأسس التي تقوم عليها قصصهم تثبت حاجة الثور للحظة شروق الشمس، فهو بين تردد وخوف وهلع وتوتر وغضب،

(461) كعب بن سعيد الغنوي، **شعر**، ص98.
(462) الخنساء وليلى الأخيلية: **ديوان الباكيتين**، ص114.
(463) جران العود: **الديوان**، ص 59.

وبين صبر وجزع، وإشراق وجهه وفوزه في محاولة الخلاص من كلاب الصيد، فالثور "ينتظر الشمس بفارغ الصبر، فيضيء الصبح ويدخل فيه محبورا. فتنطلق خلفه كلاب الصائد المجوعة، وقبل أن تأفل الشمس يكر عليها طعنا ومشقا في صدورها وجواشِنَها ويتركها صرعى"[464] وتظهر الصورة نفسها عند زهير [465].

ويصف مضرس بن ربيعة بن لقبط الأسدي ظباء خلدت للراحة، بعدما أضناها التعب، وقد تدلت الشمس فوق رؤوسها، وكأنها تتعبد بين الأشجار، وتقوم بأعمالها على أكمل وجه، لكنها تعاني من تعب وإرهاق شديدين، فهي أشبه بمن أصيب بصداع [466].

ويرسم مضرس شدة المعاناة من الحر والسراب وقد غطى الفلاة وكل ما جاورها، ولا شك أن النفس في مثل هذه الحالة الجوية الصعبة تمل وتشعر بضنك العيش، يبحث فيها الإنسان عن سبل كفيلة بتخفيف حر الصحراء، كما كثيرا ما ينخدع بصر الإنسان باعتقاده بوجود ماء في تلك الأماكن، التي ينعكس عليها السراب، فينقلب الأمل إلى أمل وتحسر وخذلان بعد هذا التعب، بعد أن كان قد عقد آمالا كثيرة ليذهب الحلم سدى، مما يزيد من شدة المعاناة، ويترك نفسية معانية متألمة، ومن أساس هذه الظاهرة غير الشمس ؟ [467].

ويتبين لنا شدة ما يعانيه الراحلون من أشعة الشمس وحرارتها الوهاجة، فقد أشار المثقب العبدي أنه سيحاول ويخاطر برحلته رغم ما سيعانيه من صعوبات بالغة، علما أنه في مثل هذه الأحوال يتجنب الإنسان خوض الصحراء والمرور منها [468].

تتجدد ذكريات المحبوبة في نفس العاشق ليلا مع غروب الشمس، ومن الممكن **أن** تتنوع العواطف والمشاعر بين البشر، فإذا ذكر الطفيل الغنوي أثر ظهور الشمس على محبوبته

([464]) أبو سويلم: **المطر في الشعر الجاهلي،** ص 150.

([465]) ينظر: زهير بن أبي سلمى: **شعره،** ص70، 71.

([466]) ينظر: بنو أسد: **الديوان،** 2 / 284، 285.

([467]) ينظر: **المرجع السابق،** 2/ 273، 274.

([468]) ينظر: المثقب العبدي: **شرح الديوان،** ص43.

نهارا[469]، نجد أن حاتم الطائي يبين أثر غياب الشمس ورحيلها على نفسيته بعد أن رحلت محبوبته، وعلى عواطفه التي لاتكل، وتبقى في ثوران متجددة، ليبقى في لحظة توتر نفسي، لما فيها من استعادة لذكريات عابرة أليمة، يصعب نسيانها وكأنها حفرت شوقا في قلبه، هذه المشاعر تتحرك في نفس الشاعر عندما تبدأ الشمس بالمغيب، كما يشعر الشاعر بفجوة ونقص شديدين يبحث عمن يملأ له هذا الفراغ، يعاني فيه من عطش الرؤية والوصال، في نفسية متعبة من بعد النوى، وحرقة الفرقة التي تبدأ مع كل غياب، يبدأ فيها حاتم الطائي بتذكر الأطلال[470].

ويعاني الأعشى من شدة الوجد لمحبوبته زينب، وهاج في نفسه العذاب والأحزان، وقد استعرت نار الفرقة في قلب الشاعر، وشكى البعد وألم الفراق، هذه الحالة التي أحس الشاعر أكثر بكثير مما كانت عليه بداية العاطفة تجاه من عشق [471].

وهذا امرؤ القيس هو الآخر يعاني من حالة نفسية مر بها في ليلة ماطرة، بعدما غارت الشمس، واحلولك الظلام، فنزل إلى جوار فرسه القائم أسفل الوادي، وقد لفت الشاعر حالةٌ من الهيبةِ والخوف من الظلام الموحش، نستشف من هذه الصورة وكأن الشاعر يعكس لنا في هذه الحالة ما يعانيه فيه من ظروف صعبة، ليصور قصة حياته التي عاشها بين رخاء وترف في ظل حياة والده، وبين الحالة الصعبة التي ألمت به بعد مقتل والده، ولم يبق إلى جانبه سوى فرسه كاتم أسراره، فعرف صديقه من عدوه، وكشفت له المصائب عن مخادعيه[472].

كما لم ينس الشعراء سرد قصص حيواناتهم التي شاطرتهم همومهم ومصاعبهم الجمة، ووصفوا أيضا حيوانات الصحاري التيلطالما حاولوا اصطيادها، وملاحقتها متفحصين في نفسية بعضها، فمع بدء الظلام وغياب الشمس تبدأ الانفعالات النفسية بالاضطراب والخوف، لحظة الخوف مع غياب الشمس، لربما يصادف الثور أثناء نومه كلابا صائدة تنقض عليه، فتحتم عليه أن يبقى دائما في ترقب وحذر، أيمكن التسليم للنوم ؟ من هنا كان شعور الثور يزداد خوفا

([469]) ينظر: الطفيل الغنوي: **الديوان**، ص 65.

([470]) ينظر: حاتم الطائي:**الديوان**، ص97.

([471]) ينظر: الأعشى: **الديوان**، ص14.

([472]) ينظر: امرؤ القيس: **الديوان**، ص 127.

بازدياد الظلام، فربط الشاعر الصراع والحركة بدوران الحياة الدائبة الجريان التي لم تتوقف، ونفس الثور لا تستقر ولا تعرف السكون. والثور أساس الخلود عند الشاعر، ومن الحيوانات المهمة التي لفتت نظره فرأى ضرورة تكرار صورتها ووجودها في قصائده، وملازمتها للأشجار الخضراء، فجاء ربط الشاعر الأعشى [473] بين الخلود وبين نفسه التي تعاني مما يعانيه أبناء بيئته وحيواناتهم، فكان المتحدث بلسان المجتمع الجمعي، ورأى الشاعر أن الثور قد جذب انتباهه في مقاومة الفناء.

أيقن الشاعر الجاهلي فكرة البقاء والخلود وأثرها على نفسيته وعلى الأمم البائدة، واعتقد أنه لا راد للموت الذي يمثل جوهر الحياة، ولا مفر منه، فهو قادم لا محالة، لقد ألم بجده وبوالده من قبل حتى وصل من حوله فشمل كل شيء، ولم يسلم منه الحيوان والنبات أيضا، فعاش في سلسلة من الصراعات، وجاء الشاعر الجاهلي أبو ذؤيب الهذلي مضمنا لهذا الإحساس في شعره، ورأى أن الدهر عبارة عن يوم يبدأ بطلوع الشمس صباحا وغيابها ليلا، وكأن الشاعر في حال يأس وإحباط من الحياة التي لا تسر أحدا، وأساس هذه الرؤية هو التشاؤم من الحياة فيقول:

هـل الـدهـر إلا ليلـةٌ ونَهارهـا		**وإلا طلُوع الشمـس ثُم غِيـارها**[474]

تكشف الألوان وأبعادها هي الأخرى عن جوانب انفعالية خفية مختلفة، ومن يدرس الشعر الجاهلي، دون شك يلمح البعد اللوني جليا في أبيات الشعراء الجاهليين التي تحتاج العمق في الدراسة، ولا نريد في هذه الدراسة أن نعود إلى ما أشار إليه السابقون في دراساتهم، بل نشير إلى بعض الألوان التي خصت بكوكب الشمس، وأشهرها اللونين الأصفر والأبيض، إضافة إلى اللون الأسود والأبعاد الكامنة وراءه.

([473]) ينظر: الأعشى، **الديوان**، ص 17 ـ 18.

([474]) أبو ذؤيب الهذلي: **الديوان،** ص 115.

دلت العرب على الشمس بلونها الأبيض، مما يدل على إشراك الرمز المقدس والتجسد الكوكبي في صفة البياض، فالربة المثال (الشمس) بيضاء في نظر الشعراء الجاهليين كمحبوباتهم، والشمس و المرأة صنوان مقدسان متحدان في ضمير الشاعر، لذلك كانت وقفة الشاعر مع المرأة، وقفة تأملية، واصفا إياها في أجمل لحظاتها وأبهى صورها.

لقد استخدم الشعراء اللون الأبيض للشمس من خلال وصفهم بشرة المحبوبة وأسنانها وثيابها، ففي هذا الجانب يقول طرفة:

بدلتْـه الشـمـس مِـن منْبِتـهِ		برداً أَبيـض مصـقُولَ الأُشُـر [475]
سـقَاه حِبي المـزن فِـي متَهـدلٍ		مِن الشمس رواه ربابأ سواجِما [476]

يرى الشعراء أن للشمس قوة فائقة في الخصب والعطاء، ومن حظي بهذا العطاء نال الرضا والفوز، فسعد وفرح، فهي إلى جانب كونها مصدرا لجمال الوجه ومشابهته فهي أيضا من يمنح الثنايا الجميلة الناصعة كحب البرد، المعشق بالمسك، فتكون قد سكنت واطمأنت نفسه. كما أشار الشعراء إلى أن الشمس منحت محبوباتهم أسنانا بيضاء اللون، للدلالة على نقائها وسلامتها وشباب صاحبها، ووجود البياض تكريس لقيم الحسن ورمز للخصب والنماء، وإن كانت محبوبة الشاعر عندهم تضحك حتى تبدو نواجذها، فذلك لا بد من أن يترك على الشاعر هو الآخر الذي صورها بهذه النفسية بأن يسر ويفرح بفرح من يهوى، كما يدل على سعادة الشاعر النفسية لما منحت محبوبته أسنانها العذبة [477].

ويبين النابغة أن محبوبته بيضاء في لونها كلون الشمس، وقد أشرنا إلى ما يحمله اللون الأبيض من معان فيما سبق، من نقاء وجمال، حيث تستريح لها نفس الشاعر، وهو اللون الذي يتوق إليه والمفضل لديه، ليضفي على الشاعر شعورا مفعما بالفرح والإعجاب، ولم يتوقف عند

([475]) طَرَفَةُ: **الديوان**، ص41.

([476]) المرقشان، **الديوان**، 97ـ 98.

([477]) ينظر: **المرجع السابق**، ص 57.

بيان هذا اللون بل أكد الشاعر ما يحمله هذا اللون من هدوء وارتياح، فربط بين هذا اللون وعدم الإيذاء للبشر، وبما يتضمنه من معاني السلام وعدم الفحش، حتى عدنا نرى أن هذا اللون يستخدم في عصرنا رمزا للسلام، فيقول:

بيضاء كالشمس وافَتْ يوم أسعدها		**لم تُؤْذِ أهلاً ولم تَفْحشْ على جارِ**(478)

كما سجل الشعراء ترف المحبوبة ومتعتها وليونتها، التي أساسها الشمس مانحة الوجه المضيء، هذا لم يكن ليدال على نفسية متعبة، بل دوام الراحة والخلود وتواصل العيش الرغد، والحياة الهانئة السعيدة، وقد بني على هذه الصفات الحسية راحة نفسية، فهي ذات وجه مشرق لا يشوبه شائبة وبسر ناظره، ويبعد عنه الشك في بهائه، وتبعث الأمل لضجيعها. ويترك هذا التشبيه بالشمس وافتخار الشاعر بمحبوبته أثرا عميقا في نفس من يسمع هذا القول عند أبناء مجتمعه، مما يضفي واقعا متغيرا عما كان عليه المجتمع من قبل، والسير نحو قيم متميزة في نفس المحب، فهذه الصورة كصورة الشمس التي تشرق بهية في أجمل أحوالها بعد هطول المطر.

يحمل اللون الأصفر الوارد في أشعار الجاهليين إلى جوارالشمس، دلالات متعددة منها الخير وأخرى الشر، فلون الصفرة في وصف المحبوبة عند قيس بن الخطيم (479)، وعند حميد بن ثور الهلالي(480)، وقد جاء مع وقت المساء، إشارة إلى تطيب المحبوبة لترتسم بمسحة من الحسن والوسامة، وقد أعجب الشاعر بها ذاكرا شباب المحبوبة المميز عن غيرها، كما يحمل بعدا نفسيا يشعر بالراحة والسرور، وهو بهذا يصفها بالمرأة المثال المميزة التي تبعث الأمل والهدوء في نفسية من يلتقي بها، فهي كالشمس المصفرة في المساء التي تمثل أساسا للجمال.

وللألوان أبعاد مهمة في توضيح الحالة النفسية عند الشاعر الجاهلي، ونلاحظ في هذه

---

(478) النابغة: **الديوان،** ص38.

(479) ينظر: قيس بن الخطيم: **الديوان،** ص 57ـ 58.

(480) ينظر: حميد بن ثور الهلالي: **الديوان،** ص 99.

الدراسة اختيار اللون الأبيض في تشبيه الرجل والمرأة بالشمس، وقد عرف عن اللون الأبيض أنه لون الطهارة والشرف والنقاء، وهو لون النور ورمز الحياة والقداسة والديانة، يثير البهجة والسرور في نفس الشاعر، لأنه يساعد في اهتداء الشاعر في لحظات الظلام الشديد، فلا نكاد نجد بيت شعر ذكر فيه البياض إلا ودل على كرم وشرف صاحبه، مما يعكس ارتياح النفس لرؤيته، فالخنساء تصف صخرا بلونه الأبيض كالشمس، ولبياضه تشتاق النفس وتتمنى رؤيته وتفرح له[481].

جاء حديث الخنساء عن اللون الأبيض على الصعيد الرجولي والقوة والشجاعة، ناهيك عن الكرم والشهرة، لكن عنترة من جانب آخر يصف نقاء اللون في الجانب الأنثوي، وكأن الجمال يقتصر على النساء، لذلك حرم منه، فكان عبدا أسود، ولم يصرح بهذا اللون الذي اتصفت به محبوبته، وكأن هذا اللون قد خرج من بيئة الشاعر الطبيعية [482].

يبين عنترة أيضا أثر الظلام واللون الأسود في نفسه، محاولا التخلص منهما بشتى الوسائل، مع أن الليل أساس السكون والاضمحلال، إلا أن الشاعر جاء بكلمة (أسود) التي تحمل أبعادا دلالية عميقة مع ذكر الشمس، والسواد مرتبط بالتحول والجدب والموت، بينما يحارب الشاعر هذا التأثير محاولا التخلص منه، وقد أشرنا إلى أن المرأة رمز الإشراق، فهي البديل عند غياب الشمس، من هنا يتبين لنا أن نفسية الشاعر لا تحب الظلام، وتتشاءم منه وتنفر لما يثيره من هموم وأحزان، بل تتوق شوقا للشمس وبدائلها. وكأن الشمس لا تريد أن يبقى الكون يسيطر عليه الظلام، لتبقى متعة الحياة مستمرة، بعيدا عن الذكريات المؤلمة، وعن الليل الكئيب. كما تبدو نقمة عنترة على اللون الأسود وعلى الظلام، وكأن الحياة كلها سوداء مظلمة، لأنه عبد أسود لاقى من المجتمع الجفاء لسواده حتى كان سببا عائقا في تزويجه من عبلة، فكان ناقما على السواد، الذي يبدأ بغروب الشمس.

---

(481) ينظر: الخنساء، **ديوان الباكيتين**، ص89.

(482) ينظر: عنترة بن شداد: **الديوان**، ص215.

لقد كان اللونان الأبيض والأسود متناقضين، وهما مركز اهتمام الشعراء، فعنترة الذي عايش مرارة الحياة إضافة إلى لونه الأسود حاول الجمع بين هذين اللونين، والإشارة إلا أن الحياة مزيج بينهما، مؤكدا على ضرورة مقاومة ضنك العيش وإثبات وجوده. كما لجأ إلى إدخال الشمس في الحوار لتبدد الظلام وتضفي جوا من اللين.

ثالثاً: البعد الاجتماعي

نورد في هذا البعد ما تحمله بعض الجوانب من أبعاد على المستوى الاجتماعي، وخاصة من يصور ويوصف باللون الأبيض أو الأصفر أو من يشبه بالشمس، فيمثل اللون الأبيض في البشرة عند المحبوبة بلون الرفعة والشرف والارتقاء إلى مرتبة السادة والشرفاء، في حين نرى أن اللون الأسود يمثل لون العبيد، ولا جدال في أن الشعر الجاهلي يعد سجلا حافلا بالعديد من الدلالات الاجتماعية، فقد حظيت الشمس كغيرها من عناصر الطبيعة بمكانة اجتماعية مهمة، من هنا كان من الطبيعي أن يوصف بها كل من حسنت صورته، وحظي باهتمام في المجتمع الجاهلي إذ من المتعارف عليه عرفا بين الناس أن من يشبه بالشمس لا خلاف في مكانته.

نجد من خلال تشبيه صورة الممدوح بالشمس، أن هذا الكوكب قد اختير أنموذج تشبيه مميز لمن شبه به، فكان الشاعر يلجأ إلى صورة الشمس ذات المكانة المرتفعة العالية ليدل بها على مكانة صاحبه أو الملك أو الممدوح.

صور النابغة [483] ممدوحه بالشمس، للإشارة والدلالة على شرف ورفعة وسمو مكانة صاحبه، فهو يفوق سواه من أقرانه مرتبة ومكانة، ومثل هذه الأوصاف تحمل معنى عميقا يدل على سلطة صاحبها، وتمتعه بمكانة مرموقة بين أبناء عصره، وإلا لما استحق أن يوصف بمثل هذه الأوصاف.

وقد اكتسب هذه الدلالة الاجتماعية من أصل ديني وهو أن الملوك كانت تأخذ منزلة الآلهة، فتؤله وتعبد، فصاحب النابغة مشهور في فعاله كالشمس مساو لها في القيمة في مجتمعه، و يؤكد قيمة الممدوح وعلاقته بالشمس قول أمية بن أبي الصلت [484]، فيشير إلى أن ممدوحه مرتفع حتى تساوى مع الشمس في المكانة، تلك المنزلة التي لا يصل إليها أحد، ولم يدانيه فيها أحد، تلك المكانة أهلته لأن يكون صاحب منزلة رفيعة.

([483]) ينظر: النابغة: **الديوان**، ص 14.

([484]) ينظر: أمية بن أبي الصلت: **الديوان**، ص 31.

فأمية يشير بوضوح أن من كان يحظى بقيمة مميزة كان في مكانة الشمس وارتفاعها، ومن ثم لا يستطع أن ينافسه بشر في صفاته ومكانته، وبذلك يقلون منزلة عن ممدوح الشاعر.

لكن زهير بن أبي سلمى يبين أن ممدوحه يفوق الشمس، بل أشهر منها ويعلوها في شهرته وفي منزلته، ويكون بذلك قد بالغ في وصف صاحبه وبيان مكانته في المجتمع، حتى من يشبه بالشمس يبقى أقل منزلة من ممدوح الشاعر[485].

يتكرر حديث الشعراء عن أن الشمس هي أساس شرف البشر و أصالتهم، فمن كان في أصله كالشمس أضحى في عز وسلطان، لا تشوبه شائبة، وفي ذلك إشارات واضحة إلى القبيلة التي ربما ينتمى إليها الشاعر، وأن كل شيء مرده لأصله، وهذا واضح عند كعب بن زهير [486].

لجأ بعض الشعراء كالأعشى[487]إلى الاستشهاد على قيمة الممدوح الاجتماعية ورفعته، فهو يساوي الشمس في ضوئها. فممدوح الأعشى لا أحد يستطيع نكران مكانته، ونسيان أفعاله.

ونجد أن المرأة المشبهة بالشمس قد حظيت بنصيب وافر مقارنة بالرجل الذي شبه بالشمس أيضا، فلم تكن المحبوبة التي شبهت بهذا الكوكب المنير في بياضها أمة أو جارية، بل هي من أصل شريف كريم، هذا واستخدم الشعراء اللون الأسود للدلالة على الإماء والجواري وعلى طبقة العبيد، ولم يقترن وصف المرأة باللون الأسود مع الشمس، بل وصفت المحبوبة بأنها بيضاء كالشمس، كما هي عند النابغة:

بيضاء كالشمس وافَتْ يوم أَسعدها		**لم تُؤْذِ أَهلاً ولم تَفْحشْ على جار**[488]

([485]) ينظر: زهير بن أبي سلمى: **شعره،** ص282.

([486]) ينظر: كعب بن زهير: **الديوان**، ص80.

([487]) ينظر: الأعشى: **الديوان،** ص105

([488]) النابغة: **الديوان،** ص38.

وجعل اللون الأبيض في قول النابغة إلى جانب الشمس يختص بالشرفاء، للدلالة على النعيم والدعة والراحة، والبعد عن الانهماك في الأعمال التي تلوث الملابس، كما فيها دلالة على البعد عن الابتذال.

أما تشبيه المحبوبة باللون الأصفر، لم يقصد به الشاعر قيس بن الخطيم[489] مجرد وصف لهذا اللون، لأن من يوصف بوجه أصفر من يعاني من آلام وضعف في البنية، لكن الشاعر يرفض مثل أن توصف بهذه الصفات محبوبته، وإنما جاء بهذا اللون في إشارة إلى الترف والنعيم الذي تتمتع به محبوبة الشاعر، ويدل هذا اللون أيضا على رائحة العطر والتزين، كما يدل على أن المرأة لم تشاهد الشمس كثيرا، إشارة إلى بعدها عن العمل، وأنها مخدومة، ومن تتصف بمثل هذه الصفات لا يشك في أنها تربى في بيت مفعم بالراحة، ليدل على مكانة أهلها الاجتماعية، وخاصة رؤساء العشائر والأمراء.

إن وصف قيس للمرأة بهذا اللون وتشبيهها بالشمس لأقوى دليل على مكانة هذه المرأة الاجتماعية وشرفها، فكان لزاما على الشاعر أن يتعهدها بالحفظ والصيانة، لأنها ترفعت بنفسها وحافظت على شبابها وتعهدته بالحفظ والصيانة.

يمكن استخدام الشمس للدلالة على إعجاب القبيلة وافتخارها بأبنائها، للتدليل على كثرة أعداد القبيلة، وأن هذه القبيلة متحدة متعاونة في كل شؤون حياتها، فهي على الخير وعلى الشر تحت لواء واحد، كما يشار إلى أن هذه القبيلة منجابة حسنة النسل، يمتاز أفرادها بالشجاعة، لا يتقاعس أحدهم عن أداء واجبه، ما ذا أدعون دعوتهم لملمة ألفيتهم يأتون من كل حدب وصوب، وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت:

وإذَا دعـوتهـم لِكُـل ملمـةٍ		**سدوا شُعاع الشمس بِالفُرسان**[490]

([489]) ينظر: قيس بن الخطيم: **الديوان**، ص:57ـ 58.

([490]) أمية بن أبي الصلت: **الديوان**، ص68.

وفي قول الشاعر مالك بن خالد الخُناعى الذي يعتز بقوة بني عمرو بن خزاعة وقد غزوا بني لحيان، ما يؤكد كرامة هذه القبيلة التي تدافع عما يشين سمعتها، فهذه القبيلة لا تدع للزمن المرور دون الانتقام، فقبل أن ترتفع الشمس وقبل أن يسير الزمن لصالح الأعداء، ما تلبث قبيلة الشاعر إلا وتوقع الشرور بأعدائها، فيقول:

فَضـاربهـم قَـومٌ كِـرامٌ أَعِـزةٌ		**بِكُل خُفَافِ النصل ذِي ربدٍ عضبِ**
فَما ذَر قَـرن الشـمس حتى كَـأَنهم		**بِذَاتِ اللظَى خُشْبٌ تُجر إلى خُشْبِ[491]**

([491]) الهذليون: **الديوان،** 16/3.

الخاتمــــة

بلغت النجوم منزلة علية في الديانات القديمة، ومن ثم تعلق بهـا الجـاهليون، فكـانوا ينسبون إليها كل ما يحل بهم من خير وشر، يقرون بأثرها في حياتهم، كما تمحورت الـديانات القديمة حول الإلهة الشمس، فعبدتها ومجدتها، وكان الشرق منطقة لميلاد حياة جديدة والغـرب منطقة للموت والحياة لما بعد الموت، فتمتعت الشمس بمكانة مميزة عند الأمـم القديمـة رغـم اختلاف الحضارات القديمة، وقد ساهمت الأم والربة الكونية (الشمس) في بنـاء الحـضارات القديمة، فكانت فضلا عن كونها نور العالم في النهار مصدر إلهام لكثير منهم ومـصدرا لتفـتح قرائحهم، فأسهمت في بناء العقائد الميثولوجية.

تواصلت عبادة الشمس بين الساميين والمصريين و اليونانيين والرومان عبر فترات زمنية متعاقبة، ثم تتابعت بعد ذلك في البلاد الغربية في اليمن وفي أرجاء البلاد المختلفة، فأنثت في العربية الجنوبية لتمثل إلهة، في حين ذكرت في العربية الشمالية وفي كتابات تدمر، ومثلت أحد ثلاثة كواكب مقدسة كونت عائلة من الآلهة، أب وأم وابنهما في الأعم الأغلب في الطور الطوطمي.

خلص البحث إلى أن الشمس في أشعار الجاهليين تنتظمها أمور عدة أهمها:

1. كان الشعر الجاهلي سجلا للحياة العربية في ذلك العصر، لذلك فهو حافل بكثيـر مـن الإضاءات والدلالات والرموز والصور التي تبين مكانة الشمس وإن لم تكن مباشـرة، وظهرت صورة واضحة للشمس عند الشعراء الجاهليين من خلال تفاصـيل صـورتها المادية الواقعية المتنوعة، وعلاقتها بالإنسان والحيوان.

2. ارتبطت صورة الشمس بنظائرها المقدسة، فهي امرأة ونخلة وغزالة ومهاة وفرس، كلها تمثل صوراً مختلفة للأمومة والخصوبة عند العرب، وقد وقف الشعراء الجاهليون على الجوانب الإخصابية لتلك الرموز المقدسة، التي عدت خير نظير من أجل تحقيق الغايـة الإخصابية، وعبر عن الشمس بأسماء عدة (الإلهة) و(ذت حمم) و(يحموم) وغيرها مـن

الأسماء المختلفة، وتسمى كثير من الأشخاص باسمها كعبد شمس.

3. بنى معظم شعراء الجاهلية صورة الشمس من خلال عناصر مقدسة كانت تكتنف الحياة الطقسية عند الشعوب القديمة، لأنها القاعدة المتينة لحياتهم، فكانت المرأة أقوى هذه القواعد، تشكل الجوهر الفكري الذي يملأ تفكيرهم، وقد ربط الشعراء بين المرأة والشمس، فهي في كثير من الحالات معبودة رمز للشمس الأم، مما جعلنا نتقبل صورة المرأة المثال في طهرها وجمالها وصفاء بشرتها، فهي بيضاء في الصباح وفي الضحى وصفراء في المساء وعند الغروب، لتمثل الشمس بعينها.

4. مثل الشاعر الجاهلي دور الكاهن العابد في تقديس الشمس، فحاول السمو بها إلى مكانة مميزة، منوعا في طرق تعبده، كما حاول تطبيق هذه الديانة في أماكن متنوعة وأزمنة مختلفة، فاتخذ لها أصناما مختلفة لإمكانية استمرارها مع كل عصر، ثم نوع في رموزها المختلفة ما بين الإنسان والحيوان والنبات.

5. كان تصوير الملك بالشمس في أشعار الجاهليين وتصوير المرأة بالقمر من بقايا المعتقدات القديمة السحيقة، وهو من تداخل الديانة السامية الشمالية عند البابليين والآشوريين بالديانة السامية الجنوبية عند عرب الجنوب، فكانت مصدرا للخصب والحياة، وشكلت أنموذجا مميزا للقوة والعلو فوق البشر أو للجمال والحيوية.

6. لم نجد شاعرا جاهليا يفرد لوحة شعرية في قصيدته الجاهلية للحديث عن الشمس، بل جاءت في حديث الشعراء في باب الغزل ووصف المرأة المثال وفي وصفهم لشجاعتهم في الحرب وأثر الشمس عليهم في الصباح والظهيرة وعند المساء، كما وردت في أغراض الشعر المختلفة من مدح ورثاء وفخر وهجاء، ولم ينس الشعراء بيان دور الشمس في الرحلة أو في أثناء حديثهم عن حيوانات البيئة الجاهلية ونباتاتها.

7. نوع الشعراء في رسم صورة الشمس المقدسة، وكانت صورهم مستمدة من واقع حياتهم، ممثلة بالعنصر الإنساني والحيواني والنباتي، كما صورت الشمس بصور عدة،

لونية تحمل معنى النقاء والصفاء متمثلة في اللونين الأبيض والأصفر، وصور حسية ترمز إلى الكوكب الوجودي، وصور بصرية تبين أثر أشعة الشمس على البيئة.

8. كانت القصيدة الجاهلية لدى معظم الشعراء الجاهليين محاولة تهدف إلى معرفة مستقر الرحلة الكونية التي كثيرا ما تنتهي عند غدير الماء، فقد ربط الشعراء بين رحلة المحبوبة، التي غالبا ما تترك الديار بأبهى زينتها، وبين رحلة الشمس الأم الكبرى، وفي هذا إشارة إلى حركة الكون و حرارة الحياة وديناميكيتها.

المصـادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس (العهد القديم)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، مصر، (د.ت).

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب: **الأصمعيات**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، (د.ت).

الأعشى، ميمون بن قيس: **الديوان**، تحقيق: لجنة الدراسات في دار الكتاب اللبناني، إشراف: كامل سليمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت).

الأفوه الأودي: **الديوان**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرح وتصحيح وضبط: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، (د.ت).

إمام، عبد الفتاح إمام: **معجم ديانات وأساطير العالم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، (د.ت).

امرؤ القيس: **الديوان**، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).

أمية بن أبي الصلت: **الديوان**، المطبعة الوطنية، بيروت، لبنان، ط 1، 1934م.

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر(د.ت).

أوس بن حجر: **الديوان**، تحقيق: الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1979م.

إيمارا، أندريه، وأوبوايه، جانين: **تاريـخ الحضـارات العام**، إشراف: موريس كروزيه، ترجمـة: فريد داغر، فؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط3، 1994م.

بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة: د.إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د.عبد

الغفار مكاوي، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1996م.

الباش، حسن: **الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي**، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.

البخاري: أبو عبد ا محمد بن اسماعيل: **الصحيح بحاشية السندي**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).

بدج، والاس : **آلهة المصريين**، ترجمة: محمد يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1998م.

بريستد، جايمس هنري: **العصور القديمة**، ترجمة: داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983م.

بريستيد، جيمس هنري: **فجر الضمير**، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1999م.

بدوي، أحمد: **في موكب الشمس**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1946م.

بشر بن أبي خازم :**الديوان**، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1995م.

البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني للهجرة**، دار الأندلس، بيروت، لبنان ط3، 1983م.

البلتاجي، محمد الأنوار أحمد: **من وصايا القرآن الكريم**، دار التراث العربي للطباعة، ط2، 1985م.

بنو أسد: **الديوان، أشعار الجاهلين والمخضرمين**، تحقيق: د.محمد علي دقة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

بوفرحـات، هـدى: **قصـة وتاريـخ الحضارات العربيـة ـ العـراق والأردن ـ** الناشر: (Editor Creps INI)، بيروت، لبنان، 1998م ـ 1999م.

تأبط شرا: **الديوان،** إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني: **شرح المفضليات**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة، مصر، (د.ت).

توكاريف، سيرغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة: د.أحمد فاضل، الأهالي للطباعة والنشر، ط1، 1998م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السوْد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

الجارم، محمد نعمان: **أديان العرب في الجاهلية**، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1923م.

الجبوري: يحيى، **الشعر الجاهلي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1997م.

جران العود: **الديوان**، رواية أبي سعيد السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 2000م.

جريمال، نيقولا: **تاريخ مصر القديمة**، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة: د.زكية طبوزاده، دار الفكر للدراسات، القاهرة، مصر، ط1، 1991م.

الجندي، د.علي: **شعر الحرب في العصر الجاهلي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1963م.

حاتم الطائي: **الديوان**، دار صعب، بيروت، لبنان، 1980م.

حاتم، محمد عبد القادر وآخرون: **الموسوعة المصرية**، وزارة الثقافة والإعلام، مصر، (د.ت).

الحارث بن حلزة: **الديوان**، شرح: مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

حاوي، إيليا: **فن الوصف**، وتطوره في الشعر العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط3، 1980م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1993م.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد: **المحبر**، رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، المكتب

التجاري، بيروت، لبنان (د.ت).

حِتي، فيليب: **موجز تاريخ الشرق الأدنى**، ترجمة:د.أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت).

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الإسلامية، مصر، ط1، (د.ت).

حداد، حسني وآخرون: **بعل هداد ـ دراسةٌ في التاريخ الديني السوري**، دار أمواج، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

حسان بن ثابت: **الديوان**، شرح: د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

حسن، حسين الحاج :**الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998م.

الحسين، قصي: **انتربولوجية الصورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، قراءة تحليلية للأصول الفنية، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1993م.

الحطيئة: **الديوان**، شرح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

الحلو، عبد ا : **صراع الممالك في التاريخ السوري القديم**، بيسان للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

حميد بن ثور الهلالي: **الديوان**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1951م.

ابن حنبل، أحمد: **مسند أحمد**، دار المعارف، مصر، ط2، 1980 م.

الحوت، سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، دار النهار، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.

الحوراني، يوسف: **البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الأسيوي القديم**، دار النهار، بيروت، لبنان، 1978م.

الحوفي، د. أحمد محمد: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر، (د.ت).

=   =   = : **الحياة العربية من الشعر الجاهلي،** مكتبة نهضة مصر، مصر، ط3، (د.ت).

خليل، د.خليل أحمد: **معجم المصطلحات الدينية،** دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

الخنساء وليلى الأخيلية: **ديوان الباكيتين،** شرح: د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

داود، الأب جرجس: **أديان العرب قبل الإسلام،** المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

دغيم، سميح: **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام،** دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

دلّو، برهان الدين: **حضارة مصر والعراق، التاريخ الاقتصادي ـ الاجتماعي ـ الثقافي والسياسي،** دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.

ديورانت، ول :**قصة الحضارة،** ترجمة: محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ط3، 1969م.

أبو ذؤيب الهذلي، **الديوان،** شرح وتقديم: سوهام المصري، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

ذو الرمة: **الديوان،** المكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، 1934م.

رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية،** مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1982.

زكي: أحمد كمال: **الأساطير دراسةٌ حضاريةٌ مقارنةٌ،** دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1979م.

زهير بن أبي سلمى: **شعره،** تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

سالم، د. السيد عبد العزيز :**دراســاتٌ في تاريــخ العرب قبل الإســلام،** مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، (د. ت).

سامسون، چوليا :**نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد**، ترجمة: مختار السويفي، مراجعة وتقديم: د.محمد جمال الدين مختار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط2، 1998م .

سحيم عبد بني الحسحاس: **الديوان**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1950م.

السهلي، محمد توفيق، والباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، دار الجليل، دمشق، سوريا، (د.ت).

سلامة، أمين: **معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية**، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1955م.

سلامة بن جندل: **الديوان**، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط2، 1987م.

السليك: **شعر**، جمعه حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني، بغداد، ط1، (د.ت).

سليمان، د. توفيق**: دراساتٌ في حضارات غرب آسـية القديمـة**، دار دمشق، = = سوريا، ط1، 1985م.

سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، أبو الربيع: **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول ا والثلاثة الخلفاء**، تحقيق:د.محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1997م.

السواح، فراس: **دين الإنسان**، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا.(د.ت).

السويفي، مختار**: مراكب خوفو ـ حقائق لا أكاذيب ـ** الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1989م.

أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**، دار عمار، عمان، ط1، 1987م.

الشواف، قاسم: **ديوان الأساطير ـ سومر وأكاد وآشور ـ** دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

الشيخ، حسين: **مصر تحت حكم اليونان والرومان**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.

َصدقة، جان: **رموزٌ وطقوسٌ، دراسات في الميثولوجيا القديمة**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لندن، 1989م.

الصفار، ابتسام مرهون: **مالك ومتمم ابنا نويرة يربوع**، مطبعة الإرشاد، بغداد 1968م.

صعب، أديب: **الأديان الحية**، دار النهار، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

صفدي، مطاع وآخرون: **موسوعة الشعر العربي**، أشرف عليها: خليل حاوي، تحقيق: أحمد قُدامة، شركة خياط للكتب، بيروت، لبنان، 1974م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر: **التفسير**، طبعة دار الفكر، بيروت، 1405 هـ.

طرفة: **الديوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

الطعان، عبد الرضا: **الأبعاد المختلفة للفكر السياسي في العراق القديم**، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (د.ت).

الطفيل الغنوي: **الديوان**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، مطابع معتوق إخوان، بيروت، لبنان، 1968م.

عباس، إحسان: **تاريخ دولة الأنباط**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1987م.

عبدة بن الطبيب: **شعره**، جمع وتحقيق: د.يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، العراق، 1971م.

عبد الحافظ، د.صلاح: **الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره**، دراسة نقدية نصية، دار المعارف، مصر، ط1، 1983م.

عبد الحكيم: شوقي، **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، (د.ت).

عبد الرحمن، إبراهيم: **الشعر الجاهلي ـ قضاياه الفنية والموضوعية**، دار النهضة العربية،

بيروت، لبنان، 1980م.

عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1976.

عبد ا ، يوسف محمد :**ترنيمة الشمس**، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط1، 1989م.

عبيد بن الأبرص: **الديوان**، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

عجينة، د.محمد: **موسوعـة أساطـير العرب عن الجاهليـة ودلالاتها**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1994 م.

عروة بن الورد: حاشية **الديوان**، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م.

العريبي، محمد: **الديانات الوضعية المنقرضة**، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

عصفور، د. جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.

عكاشة، ثروت: **الإغريق بين الأسطورة والإبداع**، دار المعارف، مصر (د.ت).

= = : **تاريخ الفن المصري**، دار المعارف، مصر، (د.ت).

علقمة بن عبدة: **الديوان**، شرح: سعيد نسيب مكارم، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م.

علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، (د.ت).

علي، عبد اللطيف أحمـد: **التاريـخ اليونانـي ـ العصر الهلادي** ـ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1971م.

علي، فاضل عبد الواحد: **عشتار ومأساة تموز**، الأهالي للطباعة، دمشق، سوريا، ط1، 1999م.

عمرو بن قميئة: **الديوان**، شرح وتحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.

عنترة بن شداد: **الديوان**، شرح: د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ت).

عوض، د. ريتا: **بنية القصيدة الجاهلية**، دار الآداب، بيروت، لبنان، (د.ت).

العويدات، حسين: **الموت في الديانات الشرقية**، الأهالي للطباعة، دمشق، سوريا، ط4، 1995م.

عياش، عبد القادر: **تقديس الماء وعبادة القمر**، دير الزور، سورية، (د. ت).

الفاسي، هتون أجواد: **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**، الرياض، السعودية، 1993م.

فخري، أحمد: **دراساتٌ في تاريخ الشرق القديم**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1963م.

فريحة، أنيس: **ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس شمرا)**، دار النهار للنشر، بيروت لبنان، 1980م.

الفيومي، محمد إبراهيم: **الفكر الديني الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب :**جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق: علي محمد البجاوى، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة، مصر، (د.ت).

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: **التفسير**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، 1372 هـ.

القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985م.

قطب، محمد علي: **مختصر سيرة ابن كثير**، طبعة دار السيرة، بيروت، لبنان، 1982م.

القمني، سيد: **الأسطورة والتراث**، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1992م.

قيس بن الخطيم: **الديوان**، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، لبنان، 1967م.

القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، دار الإرشاد، بيروت لبنان، ط1، 1970م.

ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين: **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).

كعب بن زهير، **الديوان**، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

كعب بن سعيد الغنوي: **شعره**، تحقيق: عبد الرحمن محمد الوصيفى، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1998م.

ابن الكلبي، هشام بن محمد: **كتاب الأصنام**، تحقيق: د.محمد عبد القادر، وأحمد محمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د.ت).

كلنغل، هورست: **حمورابي ملك بابل وعصره**، ترجمة: د.غازي شريف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987م.

ج. كونتنو: **الحضارة الفينيقية**، ترجمة: د.محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، (د.ت).

لبيد بن أبي ربيعة: **الديوان**، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ت).

ابن ماجة، أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ت).

الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1999م.

= = : **الدين السومري، سلسلة التراث الروحي للإنسان**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998م.

مازيل، جان: **تاريخ الحضـارة الفينيقيـة والكنعانيـة**، ترجمة: ربا الخش، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1998م.

المثقب العبدي: **شرح الديوان،** تحقيق: حسن حمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

مجموعة لجنة من أدباء الأقطار العربية: **الوصف،** دار المعارف، مصر (د. ت)

محمود، أبو إياس محمود بن عبد اللطيف: **الجامع لأحكام الصلاة**، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، ط2، 2002م.

مراد، د.سعيد: **المدخل في تاريخ الأديان**، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ط1، 2000م.

المرقشان: **الديوان،** تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م.

مسعود، ميخائيل: **الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

مظهر، سليمان: **قصة الديانات**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1998م.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل: **لسان العرب**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1993م.

المهلْهل: **الديوان**، شرح وتحقيق: أنطوان محسن القوال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

موسى، محمد العزب: **أسرار الهرم الأكبر، دراسة تاريخية عن هرم خوفو وعصره**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، (د.ت).

الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، الجمهورية اليمنية، تنفيذ: دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ط1، 1992م.

الميسري، عبد الوهاب محمد :**موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999م.

النابغة: **الديوان**، قدم وعلق على حواشيه: سيف الدين الكاتب وآخرون، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1989م.

نعمة، حسن: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات**، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1994م.

نور الدين، عبد الحكيم: **تاريخ وحضارة مصر القديمة**، الخليج العربي للطباعة والنشر، مصر، ط3، 1999م.

نونج، أريك هور: **وادي الملوك أفق الأبدية ـ العالم الآخر لدى قدماء المصريين ـ** ترجمة: محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1996م.

النوري، قيس: **الأساطير وعلم الأجناس**، أكاديمية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، العراق، (د.ت).

نيلسون، ديتاف وآخرون: **التاريخ العربي القديم**، ترجمة: فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1958م.

الهادي، صلاح الدين: **الشماخ بن ضرار الذبياني**، حياته وشعره، دار المعارف، مصر، 1968م.

الهاشمي، طه: **تاريخ الأديان وفلسفتها**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1963م.

هامرتن، السيرجون: **تاريخ العالم**، ترجمة: وزارة المعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (د.ت).

الهذليون: **الديوان**، الدار القومية للطباعة، القاهرة، مصر، 1965م.

ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد: **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1411هـ .

هووك، صموئيل هنري: **منعطف المخيلة البشرية**، ترجمة: صبحي حديدي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1983م.

وافي: **الأدب اليوناني القديم**، دار المعارف، مصر، 1960م.

يعقوب، عبد الكريم إبراهيم: **أشعار العامريين الجاهليين**، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1982م.

ب: الدوريات:

بدر، عبد الرحيم: **عن العرب والنجوم**، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، ع7، السنة 1982م.

جور، ريك :**فراعنة الشمس**، ترجمة: حمدي أبو كيلة، مجلة الثقافة العالمية، ع109، السنة: 2001م .

الديك: د.إحسان، **الهامة والصدى**، صدى الروح في الشعر الجاهلي، مجلة النجاح للأبحاث/ العلوم الإنسانية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ع15، السنة: 2001م.

عبد الرحمن، إبراهيم: **التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي**، مجلة فصول، ع1، مج 3، الـسنة: 1981م.

قلعه جي، عبد الفتاح رواس: **رموزٌ وأساطير من الموروثات الشعبية**، مجلة التراث العربي، دمشق، 68/ 1997م.

القمني، سيد محمود: **القمر الأب أو الضلع الأكبر في الثالوث**، مجلة الكرمل، نيقوسيا، قبرص، 26/ 1987م.

المطلبي، عبد الجبار: **قصة ثور الوحش وتفسير وجودها في القصيدة الجاهلية**، مجلة كلية الآداب، بغداد، العراق، 12/ 1969م.

ج: الرسائل الجامعية:

أمل محمود عبد القادر أبو عون: **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2003م.

الرباعي، يوسف أحمد يوسف: **الثور الوحشي في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 1985م.

Al-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Sun in the Pre – Islamic Poetry

Submitted by
Kamal Fawwaz Ahmad Salman

Supervised by
Dr. Ihsan Al-Deek

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic Language and literature, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2004

The Sun in the Pre – Islamic Poetry

Submitted by
Kamal Fawwaz Ahmad Salman

Supervised by
Dr. Ihsan Al-Deek

Abstract

In chapter one, the researcher shows the religious status of the sun which companies one of the three bases of holiness in the beliefs of the ancient nations in the Sumerian, Babylonian, Assyrian, Phoenician, Egyptian, Greek, Roman and Hebrew thinking in addition to Yemeni and Arabs in the pre- Islamic era. The researcher also discusses the relationship of the major universal gods through their transformational symbols between flora and finoa. He also deals with the atlpagarism of this belief and its revelations in addition to know what this planetary religion reached in the ancient civilizations. He also refers to what the previous researchers and archeologists discovered to study a nation whose civilizations was lost due to the various factors of change.

This study is distinguished by adopting the mythological methodology in order to understand the religious value of the sun among the individuals of the ancient ages, which was dominated by the mythological thought.

In chapter two, the researcher discussed the places where the sun was mentioned in the poetry of pre- Islamic poets without concentrating on any

specifies poet. In addition, he tries to know some of the points of agreement between poets in showing certain cases through studying the sun symbols in the pre – Islamic poetry and the places where the poets concentrated on mentioning the sun.

He also discusses the poets interest in the woman and her relationship with the sun in order to know the role of the sun through the various purpose of the sun. Then he describes the state of the sun during wars and the living nature including its flora and Fiona.

Chapter three is divided into two parts. In the first part, the researcher discusses the images of the sun in the pre- Islamic poetry in relation with the similes and images that help in giving a beautiful images of the artistic ability of the pre – Islamic poet. He then investigates the sources of these images. In the second part, the researcher discusses the dimensions of the image whether they are my theological, religious psychological or social in addition, he investigates the effects of the sun upon the ancient people and the bares of these dimensions.